

لِقَاءُ الْعَشْرِ الْأَوَّلِ  
بِالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ  
(٢٤٠)

# بِلَايَةِ الْقَبَارِي فِي خَيْرِ الْجَارِي

لِلْإِمَامِ الْعَلَامَةِ

مُحَمَّدُ نَاصِرُ الدِّينِ بْنِ سَالِمِ بْنِ عَلِيٍّ الطَّبَّلَاوِيِّ  
الْمُصَرِّي الْأَزْهَرِيِّ الشَّافِعِيِّ  
(٨٦٦ - ٩٦٦ هـ رحمه الله تعالى)

قُوبِلَ عَلَى أَصْلِ مُؤَلَّفِهِ مَعَ نُسخِ أُخْرَى  
قُرِئَ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَفِي الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الْمُبَارَكِ

اعْتَقَنِي بِهِ وَعَلَّقَ عَلَيْهِ

د. مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ الْجَوَارِي الْعَسْقَلَانِي

أَسْهَمَ بِطَبْعِهِ بَعْضُ أَهْلِ الْخَيْرِ مِنَ الْحَرَمَيْنِ الشَّرِيفَيْنِ وَتُجِبُهُم

بِإِذْنِ الشَّيْخِ الْإِسْلَامِيِّ

# جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى  
١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م

لا يسمح بإعادة نشر هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي شكل من الأشكال، أو نسخه، أو حفظه في أي نظام إلكتروني أو ميكانيكي يمكن من استرجاع الكتاب أو أي جزء منه، دون الحصول على إذن خطي مسبقاً.

دار الباشا

للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م.

أسسها الشيخ رمزي دمسقية رحمه الله تعالى

سنة ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٣ م

بيروت - لبنان - ص.ب: ١٤/٥٩٥٥

هاتف: ٩٦١١/٧.٢٨٥٧ فاكس: ٩٦١١/٧.٤٩٦٣

email: info@dar-albashaer.com

website: www.dar-albashaer.com

ISBN 978-614-437-193-0



9 786144 371930

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## إهداء

فمن نَعَمَ الله على العبد أن يُوفِّقه لإخوانٍ صَلَحاءَ،  
يَبْذُلونَ عِلْمَهُمْ وَفَضْلَهُمْ في خدمةِ أهل العلم، وَمِنْ خَيْرٍ مَنْ  
اجْتَمَعَتْ معهم على مائدةِ خدمةِ العلم وتراثِ مخطوطاته،  
مشايخُ نُبلاءَ، ومُحَقِّقونَ فضلاءَ، انتظموا في جمعٍ عظيمٍ،  
كَعَقْدٍ لَوْلُؤِيَّ كَرِيمٍ:

«مجموعة المخطوطات الإسلامية»

والتي يشرف عليها أخونا الشيخ المفضل:

عادل بن عبد الرحيم العوضي

نفع الله به، وبارك في جهوده ومساعيه، جزاه الله خيراً.  
فإليكم أحبتي هذا الجهد المتواضع؛ أدامَ الله أُخُوَّتَنَا  
ومَحَبَّتَنَا، وجمعنا وإيَّاكم يوم القيامة في ظِلِّ عَرْشِهِ، يوم  
لا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ.

أخوكم المُحِبُّ

محمد بن يوسف الجوراني عسقلاني





## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### تقريظ فضيلة الشيخ المحدث شعيب الأرناؤوط

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله؛ نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد..

فإنَّ صحيح الإمام البخاري رَحِمَهُ اللهُ قد حاز الرُّتبةَ العالية، والمنزلةَ الرَّفِيعَةَ بين دَواوِينِ السُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ، وكان محلَّ اهتمام العلماء في كافَّةِ العصور، حتَّى جاوز ما أَلْفَه العلماءُ خدمةً لهذا الكتاب المبارك المئات من التَّصانيف والرسائل العلميَّة المُفيدة، ما بين مُطوَّلَةٍ ومختصرة، ولا شك أنَّ أعظم الكتب التي اعتنت بهذا الكتاب ما صنَّفه الإمام الحافظ ابن حجر العسقلاني رَحِمَهُ اللهُ: «فتح الباري بشرح صحيح البخاري»، حتَّى صار كتابه يُعدُّ «قاموس السُّنَّة» حيثُ أتي فيه بالفوائد والفرائد ما يُعزُّ نظيره.

ومن بَيَّن هذه التَّصانيف المفيدة على «صحيح البخاري» تصانيف الختم، وهي مجالس يعقدها الشيخُ أو الأستاذ في آخر مجلس له بعد تدريسه وشرحه «للصحيح»، يُبيِّن فيها مناقب البخاري رَحِمَهُ اللهُ، وشيئاً من المسائل العلميَّة المُتعلِّقة بـ«صحيحه»، ثم يشرح آخرَ باب أو حديثٍ بيان الفوائد، ويذكر الرِّقائق المُتعلِّقة به.

وقد تتبّع صاحبنا المُحقّق موضوع الختم والرسائل المُصنّفة فيه على البخاري رحمه الله خاصة، فأحصى ممّا كتبه أهل العلم في ذلك العشرات، ومن بين هذه الرسائل: رسالة الشيخ العلامة محمد ناصر الدّين الطّبرلاوي رحمه الله، وهو من أفراد العلم الذين اشتُهِروا في مصر في القرن العاشر، وتخرّج به جمعٌ من أهل العلم الكبار من علماء الشافعية، وبلغ منزلة لا ينالها إلّا القلّة من العلماء.

ورسائله مفيدةٌ نافعة، أبان فيها الشيخ الطبرلاوي رحمه الله عن تفنّنه في مسائل العلم، لاحتوائها على فوائد جمّة، وفرائد طيّبة، وهذا ما دعى صاحبي الوفي الأثير الشيخ محمد الجوراني العسقلاني أن يتّجه إلى تحقيقها عن أربع نسخ خطية، إحداها بخط مؤلّفها رحمه الله ويطبّعها لأول مرة.

وكان قد قرأها عليّ بعد تحقيقها والتعقيب والتعليق عليها بما يكفي ويشفي، في مجلسين من مجالس يوم الثلاثاء، فسرّني في تعليقاته وتعقيباته التي كشف فيها عن منزلة علميّة مُتقنة، مُتّبعة للكتاب والسُنّة، وسلف الأمة، فجزاه الله خيرًا.

وإنّ من مميّزات تعليقات الشيخ أبي العالية أنه تعقّب الشيخ ناصر الدّين الطبرلاوي رحمه الله فيما ذهب إليه، أو نقله عن غيره ممّا هو مخالفٌ لمنهج السلف الصالح رضوان الله عليهم، ومباينٌ لأصوله، مما جعلها أقرب إلى الصواب.

وهذا المنهج الذي اتّبعه صاحبي في تحقيقه لهذه الرسالة، هو المنهج الذي ينبغي أن يتّبعه كلٌّ من يتصدّى لتحقيق آثار العلماء

بُحْسَنَ فَهْمُ، ودراية واسعة، وأدب مع أهل العلم، فإنَّ الإنسانَ مهما بلغ من العلم ما بلغ فلا بُدَّ أن تقع منه بعض المسائل العلمية التي يندُّ فيها عن الصواب، إلَّا أنَّ الصواب في علمهم أكثر من الخطأ، وهم في خطئهم مُجتهدون مأجورون؛ لأنهم بلغوا الأهلِيَّة التي تُبوِّؤهم هذا الاجتهاد في مسائل الدِّين، ولا يمنع ذلك من تعقُّب ما جانبوا الصواب فيه مع تقديرنا لِعِلْمِهِمْ وَفَضْلِهِمْ، فإنَّ هذا الْمَسْلَكُ هو الْمَسْلَكُ الذي يُوصَفُ بأنه خيرُ المسالك وأرضاها في باب العلم والأدب.

فأسأل الله سبحانه وتعالى أن يُبارك في عمل صاحبي الطَّيِّب ويحمد خطاه، ويُسدِّد مسعاها، ويُوفِّقه لنشر وبث العلم النَّافع، الذي أكرمه الله به، وأنَّ يُخرج ما مَنَّ الله به عليه مِنْ علوم الشريعة في تحقيقات نافعة، أو تأليفات ماتعة بين المسلمين، والله الْمُوفِّق، وصلى الله وسلم على نبيِّنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أملى هذه المقدمة لكتاب «بداية القاري في ختم صحيح البخاري» للشيخ الطللاوي على صاحبه الشيخ أبي العالية الجوراني العسقلاني، والله الموفق

شعيب بن محرم الأرناؤوط

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم  
الحمد لله الذي هدانا لهذا  
التي كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله

شعيب بن محرم الأرناؤوط

شعيب بن محرم الأرناؤوط

١٩/١/١٤٣٦ هـ





## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ  
أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ  
فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ  
مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾  
[آل عمران: ١٠٢].

﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا  
رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾  
[النساء: ١].

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ  
أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾  
[الأحزاب: ٧٠، ٧١].

فإنَّ أصدق الحديث كتابُ الله تعالى، وخير الهدى هدى  
محمد ﷺ، وشرُّ الأمور مُحدثاتها، وكلُّ مُحدثة بدعة، وكلُّ بدعة  
ضلالة، وكلُّ ضلالة في النار.

أَمَّا بَعْدُ:

فَإِنَّ الْعُلُومَ كَثِيرَةً، وَالنَّافِعُ مِنْهَا لَدَى اللَّهِ يَسِيرٌ، وَالرُّسُومَ غَزِيرَةٌ،  
وَلَيْسَ لَنَا سِوَى مَا رَسَمَهُ السَّيِّدُ الْبَشِيرُ؛ فَالسَّعِيدُ كُلُّ السَّعِيدِ مَنْ أَقْبَلَ  
عَلَيْهِ كُلَّ إِقْبَالِهِ، وَقَصَرَ عَلَيْهِ جَلِيلَ أَفْكَارِهِ، وَجَمِيلَ آمَالِهِ، أَلَا وَهُوَ عِلْمُ  
الشَّرِيعَةِ الْمُطَهَّرَةِ، الَّتِي هِيَ الْقُرْآنُ وَالْحَدِيثُ، الْمُنَوَّهَ بِشَأْنَهُمَا  
وَالْمَعْمُولُ بِهِمَا وَجُوبًا فِي الْقَدِيمِ وَالْحَدِيثِ؛ إِذْ بِهِمَا كَمَالُ التَّرَقِّي إِلَى  
أَوْجِ التَّادِيبِ، وَتَمَامُ التَّوْقِي مِمَّا يُوجِبُ التَّنْقِيبَ وَالتَّهْذِيبَ، فَهُمَا نُورُ  
الْعُيُونِ، وَضِيَاءُ ظُلْمَةِ الْقُلُوبِ، وَهُمَا الْوُضْلَةُ الْعُظْمَى بَيْنَ الرَّبِّ  
وَالْمَرْبُوبِ، وَلِذَلِكَ لَمْ تَزَلْ أَكْبَرُ الْعَارِفِينَ يَبْذُلُونَ فِي تَطَلُّبِهَا نَقْدَ حَيَاةٍ  
الْمُهْجِ، وَأَفَاخِرُ الْعُلَمَاءِ الْعَامِلِينَ يَخُوضُونَ فِي الْعَمَلِ بِهِمَا بِحُجَجِ  
الْبُحُورِ وَبُحُورِ اللَّجَجِ؛ حَتَّى أَصْبَحَتْ لَدَيْهِمْ مَنَاهِجُ هَذِهِ الْمَقَاصِدِ  
الْمُحَمَّدِيَّةِ سَهْلَةً الْوُضُولِ، وَمَدَارِجُ هَذِهِ الْمَعَارِجِ الْأَحْمَدِيَّةِ جَامِعَةً بَيْنَ  
الْأَمْلِ وَالْمَأْمُولِ<sup>(١)</sup>.

وَقَدْ قَيَّضَ اللَّهُ سَبْحَانَهُ لِسُنَّةِ نَبِيِّهِ ﷺ عُلَمَاءَ كِبَارًا، نَصَبَهُمْ لِحِفْظِهَا  
وَنَشْرِهَا؛ فَصَنَعَهُمْ عَلَى عَيْنِهِ، وَأَمَدَّ بَعُونَهُ، فَدَوَّنُوا الدَّوَاوِينَ، وَصَنَّفُوا  
التَّصَانِيفَ؛ حَتَّى تَنَوَّعَتْ هَاتِهِ الْمُؤَلَّفَاتُ فِي «صِحَاحٍ» وَ«مَسَانِيدٍ»  
و«سُنَنِ» وَ«مُوطَّاتٍ»، وَ«مَعَاجِمٍ» وَ«مُسْتَخْرَجَاتٍ» وَ«أَجْزَاءٍ»، ثُمَّ عَكَّفُوا  
عَلَى إِضْاحِهَا فِي «شُرُوحٍ»، وَ«حَوَاشٍ»، وَ«تَعْلِيقَاتٍ» وَمَا إِلَى غَيْرِ  
ذَلِكَ.

(١) تَضْمِينٌ مِنْ: «نَتِيجَةُ الْفِكْرِ فِيمَنْ دَرَسَ تَحْتَ قُبَّةِ النَّسْرِ» لِلْعَلَامَةِ عَبْدِ الرَّزَّاقِ  
الْبِيطَارِ رَحِمَهُ اللَّهُ (ص ٥٢).

وكان من لطيف تيك الإسهامات في خدمة المؤلفات، ظهور فن «المدخل» و«الافتتاحيات» و«الختمات» للمُصنّفات.

والمعني هنا: «الختمات»؛ إذ الختم زبدة مفيدة، وخلاصة وجيزة عن الكتاب ومؤلفه من حيث مكانته، ومناقبه، وشرطه، وبعض نهجه، وتبيان مزاياه، أو من حيث شرح آخر ترجمة فيه، أو حديث يُبين فوائده ومراميه<sup>(١)</sup>.

والختم أنواع؛ وقد برعت ختوم السماع كثرة، وتلتها ختوم مجالس الإملاءات، ووصفت في قصائد وأبيات، وتفنن أهل الحديث في طرق هذا اللون من العلم، حتى ارتقت لهذه المجالس مكانتها العالية، وحرص عليها الناس كبيرهم وصغيرهم، ورجالهم ونساؤهم.

وها هو أبو القاسم ابن أبي دينار القيرواني رحمته الله يصف حرص الناس على ختم «صحيح البخاري»، فيقول: «لِخْتَمِ «صحيح البخاري» في بلدنا القيروان شأن عظيم، ومشهد كريم، ومن تعظيمهم إياه وإجلالهم له؛ أن يشتغلوا به عن أهم شيء لديهم، ويغلقوا حوانيتهم، وينادي المُنادي قبل ذلك: ألا إنَّ الختم غداً صُبْحاً أو عَشِيَّةً، في موضع كذا؛ فيفزع الناس، ويتسارعون لذلك، وتتسارع له النساء والصبيان والخاص والعام.

(١) تناولت الحديث عن موضوع الختم في الحديث من حيث نشأته وأنواعه والمُصنّفات في ختم الصحيح، في مقدمة تحقيقي لختم القسطلاني على البخاري، الموسوم: «تحفة السامع والقاري بختم صحيح البخاري» وسيطع لأول مرة على عدة نسخ، ضمن سلسلة: رسائل في ختم صحيح البخاري.

وَيَبْتَدِئُ الرَّاوي بما فيه تَعْظِيمٌ لَجَنابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ بعض سِيرِهِ وَمُعْجَزَاتِهِ، حَتَّى يَحْصُلَ لَذلك ضَجِيجٌ بَرَفِ الصَّوْتِ بِالصَّلَاةِ عَلَيْهِ والتَّسْلِيمِ<sup>(١)</sup>.

ثم يَذْكُرُ مَواعِظَ وِرْقاَئِقَ، وَيُخَوِّفُ النَّاسَ حَتَّى يَبْكُوا وَيَنْدُمُوا عَلَى ما فَرَّطُوا، وَرَبَّما حَصَلَ لِلْمُذْنِبِ بِسَبَبِ ذلك التَّوْبَةُ، ثم يَذْكُرُ مِنْ سَعَةِ رَحْمَةِ اللَّهِ ما يُحِبُّ بِهِ اللَّهُ لِعِبَادِهِ، ثم يُصَلِّي وَيُسَلِّمُ، ثم يَخْتُمُ بِالْجامِعِ الصَّحِيحِ، فَرَبَّما اشْتَغَلُوا بِذلك مِنْ طُلُوعِ الشَّمْسِ إِلَى قُرْبِ الزَّوالِ<sup>(٢)</sup>.

بل بَلَغَ مِنْ حُبِّهِمُ الْعَمِيقَ لِلْحَدِيثِ وَمِجالِيسِ إِملائِهِ؛ أَنْ ذَكَرَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي أَحْداثِ عام (٣١٤هـ) قال: «في يوم الأحد لثمانِ خَلَوْنَ مِنْ شِوال - وهو اليَوْمُ السَّابعُ مِنْ كانون - : سَقَطَ بِبَغدادِ ثَلْجٌ كَثِيرٌ، وَقَبْلَ هذا اليَوْمِ بَسَّتْهُ أَيامُ بَرَدِ الهِواءِ بَرَدًا شَدِيدًا، ثم زاد شِدَّةً بَعْدَ سَقُوطِ الثَّلْجِ، وَأَفْرَطَ في الشَّدَّةِ جَدًّا حَتَّى تَلَفَ أَكْثَرُ نَحْلِ بَغدادِ وَسِوادِها وَجَفَّ، وتَلَفَ شَجَرُ الأُتْرُجِّ والتينِ والسَّدرِ، وَجَمَدَ الشَّرابُ

(١) وَمِنْ ذلك ما نَظَّمَهُ الحافِظُ ابْنُ حَجَرٍ العسْقلانيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ كما في «ديوانه» (ص ٩٧ ط: فردوس) قَسَمَ النُّبُويات: القَصيدة الأولى: يمدح النَّبيَّ ﷺ ويذكر ختم «صحيح البخاري»، وقَصيدة تليها في مدح الشَّمايل مع ختم «سنن أبي داود».

(٢) «تأهَّب الرَّاوي الفَصيحُ لِفَتْحِ الجامِعِ الصَّحِيحِ» (ص ١٩٣)، وهو مِنْ أَوْسَعِ الخُتُومِ التي تَنالَتْ سيرة البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ، وَمِزايا «الصَّحِيحِ» وَبعضُ غِوامِضِ مَنهْجِهِ، وَمِناسِباتِ تَراجُمِهِ، وَذَكَرَ شَيْءٌ مِنْ طَرائِقِ أَهْلِ الْعِلْمِ في مَحَلَّتِهِ في الخِتمِ وَأَحوالِهِ.

والمأورذ، والخل، وجمدت الخُلجان الكبار من دجلة ببغداد، وجمد أكثر الفُرات بنواحي الرقة، وجمدت دجلة بأسرها بالموصل، حتى عَبَرَت الدَّوَابُّ عليها، وحتى جلس المَعْرُوفُ بابن زَكْرَةَ المُحَدِّث في وسط دجلة على الجَمْد، وكتب عنه الحديث، ثم انكسر البردُ بريح جنوب ومطرٍ غزير»<sup>(١)</sup>.

فبالله عليكم أيُّ هَمَّةٍ عليَّةٍ في حبِّ مجالس التَّحْدِيثِ كهذه في هذا اليوم المثلج؟

يقول ابنُ فارس اللُّغوي رَحِمَهُ اللهُ:

إذا كان يُؤْذِيكَ حَرُّ المَصِيفِ وَيُبْسُ الخَرِيفِ وَبَرْدُ الشِّتَا وَيُلْهِيكُ حُسْنَ زَمَانِ الرَّبِيعِ فَأَخْذُكَ لِلْعِلْمِ قُلْ لِي مَتَى؟<sup>(٢)</sup>

ولأجل هذه المنزلة السَّامِيَّةِ لهذه الرُّتَبِ العِلْمِيَّةِ العَالِيَةِ، حَدَا الشَّوْقُ بِالْمُلُوكِ أَنْ يَتَطَلَّعُوا إِلَى هَذَا الشَّرَفِ الْكَبِيرِ لِأَهْلِ الْحَدِيثِ ذَوِي الْفَضْلِ الْأَثِيرِ.

يقول شيخُ الإسلامِ ابنُ حَجَرٍ الهَيْتَمِيُّ رَحِمَهُ اللهُ، يَحْكِي مُنِيَّةَ أَحَدِ الْمُلُوكِ وَشَهْوَتِهِ لِمَجَالِسِ أَهْلِ الْحَدِيثِ، يَقُولُ عَنْهُ:

(١) «الْمُنْتَظَمُ فِي تَارِيخِ الْمُلُوكِ وَالْأُمَمِ» (١٣/ ٢٥٥) وفيه: «بأبي زكرة» تحريف.

وابن زكرة: هو الإمام الحافظ المؤرِّخ، أبو زكريا يزيد بن محمد الأزدي، له «تاريخ الموصل»، قال عنه الذهبي في «تذكرة الحفاظ» (٣/ ٨٩٤): «استفدت كثيراً من تاريخه»، توفي قريباً من سنة (٣٣٤هـ).

(٢) «صفحات من صبر العلماء» لأبي غدة رَحِمَهُ اللهُ (ص ٣٦٩).

«ألا ترى إلى ما وقع لبعض أكابر الخلفاء النّاظرين إلى ذلك: أنّه لما تصوّر أنه لا أشرف من عِلْم الحديث، لاسيّما عند مجالس الإماء والإسماع والرواية والدّراية؛ تأسّف على أن فاتَهُ ذلك، وأفاد أنّ عِزَّ المُلْكِ وأُبّهتَه لم يُعْنِ عنه، وأنّ لذّة هذا لا تُوازي لذّة ذاك بوجه، وذلك أنه قيل له: يا أمير المؤمنين، قد أنالك الله من كلّ مَطْلَب، وحقّق لك كلّ مرغوبٍ ومأرب، فهل بقيت لذّة أو بُغية من نعيم الدُّنيا ولذاتها لم تنلها، أو حليّة من حُلا العِزِّ والمهابة لم تلبسها؟

فقال: نعم؛ بقيت عليّ لذّة واحدة هي أعلى من جميع ما نلته، وأفخم من كلّ ما باشرته، بل لم تقترب منها فضلاً عن أن تُساويها لذّة من لذات الدُّنيا، ولا مرتبة من مراتب الخلافة العُليا، وهي:

أن أجلسَ مجلساً كمجلس مشايخ الحديث، الذي لم يزالوا عليه مُتفاخرين فيه في القديم والحديث، تحضر طبقات السّماع والرواية والدّراية بين يديّ، ثم يُسأل مني الإماء على حديثٍ مُقترح عليّ، من غير أن يكون في خلدي، بل ولا خطر في وهمي أن أُسأل عنه، ولا يُطلب مني الكلام عليه.

ثم يجلسُ المُستملي بين يديّ بحضرة أهل الإماء والمُتأهّلين؛ لتلقّي ما أتكلّم به على ذلك الحديث، ومع كلّ مخبرته وطرسه يكتبون ما يتلقّونه مني.

ثم يقولُ المُستملي بعد أن يذكّر خطبةً لائقةً بالمجلس، فيها براعةً استهلالٍ بذكر ما يتعلّق بالشيخ، والمجلس، والعلم، ونحو ذلك ممّا لا يخفى على البليغ الأريب، ثم يقولُ عقبَ هذه الخطبة مخاطباً

لي: «مَنْ ذَكَرْتَ يَرْحُمَكَ اللَّهُ»<sup>(١)</sup>.

فأشروع حينئذ في خطبة أبلغ من خطبة المُستَملي، ثم أذكر طُرُقَ سَنَدِي لهذا الحديث، وما يتعلّق برجال تلك المَسانيد، ثم أذكر ما يتعلّق بالحُكْم على ذلك الحديث من صِحّة أو حُسْن أو ضَعْف وإرسالٍ واتّصالٍ وعُضْلٍ وانقطاعٍ وغير ذلك من أنواع العِلْم وتفاريعه التي لها تعلّق بتلك المَسانيد.

ثم أذكر فِقْهَ الحديث وفوائده، وما اشتملَ عليه من الحِكم والمعارف، والتّوادرِ واللّطائف، وغير ذلك ممّا يفتَحُ الله به على مَنْ فَتَحَ، وَيَمْنَحُ به مَنْ مَنَحَ، ثم أَخْتِمُ المجلسَ بِمُناسباتٍ ومُتمّاتٍ. هذا حاصلُ ما يتعلّق بالإملاء.

وبالجُملة: فهذا كان شأنُ الإملاء، واستمرَّ إلى زمنِ شيخِ شيوخنا أمير المؤمنين في الحديث؛ الشَّهابِ بنِ علي بن حَجَرٍ رَحِمَهُ اللهُ؛ فأُملى مجالسَ كثيرة، ولم يَقْدِرْ أحدٌ بعده على القيام به<sup>(٢)</sup>.

(١) أسند الخطيب البغدادي رَحِمَهُ اللهُ في «الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع» (٥٦/٢) عن النّضر بن شَمِيل، يقول: سمعتُ المأمون أمير المؤمنين يقول: «ما أَسْتَهِي من لذات الدُّنيا إلّا أن يجتمع أصحابُ الحديث عندي وَيَجِيءَ المُسْتَملي فيقول: مَنْ ذَكَرْتَ أَصْلَحَكَ اللهُ»، وانظر: «شرف أصحاب الحديث» له (ص ١٠٤).

ويقول يحيى بن أكثم قاضي القضاة رَحِمَهُ اللهُ: «جالستُ الخلفاء، وناظرتُ العلماء، فلم أَر شيئاً أحلى من قول المُسْتَملي: مَنْ ذَكَرْتَ يَرْحُمَكَ اللهُ». «أدب الإملاء والاستملاء» للسمعاني (٤٣١/٢).

(٢) انظر: «ثبت الإمام شيخ الإسلام ابن حجر الهيثمي» له (ص ٦٣ - ٦٥).

وما أحلى ما أنشدَهُ الحافظُ ابنُ عساكر رحمَهُ اللهُ <sup>(١)</sup>:

لَقَوْلُ الشَّيْخِ: أَنبَأَنِي فُلَانٌ      وَكَانَ مِنَ الْأُئِمَّةِ عَنْ فُلَانٍ  
إِلَى أَنْ يَنْتَهِيَ الْإِسْنَادُ، أَحْلَى      لِقَلْبِي مِنْ مُحَادَثَةِ الْحِسَانِ  
وَمُسْتَمَلٍ عَلَى صَوْتٍ فَصِيحٍ      أَلَذُّ إِلَيَّ مِنْ صَوْتِ الْقِيَانِ  
وَتَزْيِينِي الطُّرُوسَ بِنَقْشِ نَقْصٍ      أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَقْشِ الْعَوَانِي  
وَتَخْرِيجُ الْفَوَائِدِ وَالْأَمَالِي      وَتَسْطِيرُ الْغَرَائِبِ وَالْحِسَانِ  
وَتَصْحِيحُ الْغَوَالِي مِنَ الْعَوَالِي      بَنَيْسَابُورَ أَوْ فِي أَصْفَهَانَ  
أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَخْبَارِ لَيْلَى      وَقَيْسِ ابْنِ الْمُلُوحِ وَالْأَغَانِي  
فَإِنَّ كِتَابَةَ الْأَخْبَارِ تَرْقَى      بِصَاحِبِهَا إِلَى غُرَفِ الْجَنَانِ  
وَحِفْظُ حَدِيثِ خَيْرِ الْخَلْقِ مِمَّا      يُنَالُ بِهِ الرِّضَا بَعْدَ الْأَمَانِ  
فَأَجْرُ الْعِلْمِ يَنْمُو كُلَّ حِينٍ      وَذِكْرُ الْمَرْءِ يَبْقَى وَهُوَ فَانٍ

فانظر رحماني الله وإياك إلى هذا الشرف الزاهر، والمجد الغابر  
لأهل الحديث العالمين به، العاملين بما فيه.

وتأتي هاته الرسالة الأولى، ضمن موضوع الختم في الحديث  
- وسيثُلُوها رسائلُ إن شاء الله -، وقد تناولتُ مجلساً لختم أصح  
كتب الحديث قاطبة: «صحيح الإمام البخاري» رحمَهُ اللهُ، فجاءت على  
سمت أهل الحديث، في طرُق مضمونه وتنوع فنونه؛ فعقد الإمام  
ناصر الدين الطبرلاوي رحمَهُ اللهُ مجلس ختم للصحيح، ثم شرع في إيضاح

(١) أوردتها معزوة له القاسمي في «قواعد التحديث» (٦٦٣)، والكتّاني في  
«فهرس الفهارس» (٤٥/١) مع بعض تغاير في ألفاظه.



آخرِ تَرْجُمَةٍ فِيهِ، وَتَبْيَانِ مَرَامِيهِ؛ فَحَوَتْ مِنَ الْفَوَائِدِ وَالْفَرَائِدِ مَا أَسْمَعُ،  
وَمِنْ جَمِيلِ اللَّطَائِفِ مَا أَبَدَعُ.

وَلَمَّا أَحَبَّتِ النَّفْسُ أَهْلَ الْحَدِيثِ، تَأَقَّتْ لِلدُّخُولِ فِي جَمْعِهِمْ؛  
بِخِدْمَةِ مُصَنِّفَاتِهِمُ الْعِلْمِيَّةِ، مِنْ خِلَالِ نَشْرِ هَاتِهِ الرِّسَالَةِ الَّتِي تَخْدُمُ تَرَاثَ  
الْإِمَامِ الْبُخَارِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ وَالْعَلَّامَةِ نَاصِرِ الدِّينِ الطُّبْلَاوِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ؛ سَعِيًّا فِي  
نَشْرِهَا وَبَعَثَهَا لِأَوَّلِ مَرَّةٍ، فَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى تَوْفِيقِهِ.

**وقد كسرتُ العمل في هذه الرسالة على قسمين:**

**أولاً:** مهَّدتُ بين يدي الرسالة تمهيداً، عرَّضت فيه لـ:

١ - ترجمة موجزة للماتن الإمام البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ، مع التعريف  
الموجز بـ «صحيحه»<sup>(١)</sup>.

٢ - ترجمة للشارح رَحِمَهُ اللَّهُ، ومن توفيق الله وحده أنك لن تظفرَ بها  
بهذا الجمع والتفصيل والتعليق في غير هذا المكان، وذلك الفضلُ  
من الله رَحِمَهُ اللَّهُ.

٣ - دراسة للكتاب ونُسَخه الخَطِّيَّة.

(١) وذلك لأنَّ منهج كتب الختم أن تتناول في الغالب التعريف بالبخاري رَحِمَهُ اللَّهُ  
وببعض المسائل التي تتعلق بـ «صحيحه» من حيث مكانته وشروطه وغير  
ذلك، وحيث أنَّ المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ لم يتناول ذلك؛ أَحْبَبْتُ عَرَضُ شَيْءٍ مِنْ  
ذلك بِإِيجَازٍ؛ تَوْطِئَةً بَيْنَ يَدَيِ النَّصِّ الْمُحَقَّقِ؛ لِتَكْتَمَلَ مَعَالِمُ مِنْهَجِ الْخَتْمِ  
فِي هَذِهِ الرِّسَالَةِ؛ لِذَا جَرَى التَّنْوِيهِ.

ثانيًا: ضَبُطُ النَّصِّ المحقق.

وفي الختام: فإنِّي أحمدُ المولى جلَّ في عليائه أنْ منَّ عليَّ العناية بهاته الرسالة المباركة، ويسَّرَ وذَلَّلَ الصُّعوبات في إخراجها لأوَّل مرَّة، بعد أن بذلتُ فيها جُهدِي في ضَبُطها وتوثيقها والتَّعليق عليها، فما كان في ذلك من صواب فمن الله تعالى وحده، وأحمدُ ربِّي عليه، وما كان من خللٍ وزَللٍ بعد اجتِهَادٍ فأرجو الله أن لا يحرمني فيه الأجر، ورحم الله قارئًا فطِنًا، وناصِحًا بصيرًا أَهْدَى إِلَيَّ زَلِّي، وأوقفني على خَلِّي.

رَاجِيًا أن يكون ذلك خالصًا لله تعالى، وممَّا أَسْرُّ به في ميزاني ووالديَّ وأهلي وذُرِّيَّتي والمسلمين، وفضل الله واسع، والله ذو الفضل العظيم، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

وكتب الفقير إلى عفو ربه القدير



عضو رابطة علماء أهل السُّنَّة

## ترجمة موجزة لإمام المحدثين البخاري رحمته الله مع التعريف بصحيحه<sup>(١)</sup>

### \* اسمه ونسبه:

هو الإمام العلم، الحجة، أحفظ الحفاظ، وشيخ النقاد، وإمام المحدثين، وأمير المؤمنين في الحديث: أبو عبد الله، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بَرْدِزْبَه البخاري.

والبُخاريُّ: نسبة إلى مدينة بُخارى، وهي مدينة مشهورة من أعظم مُدن ما وراء النهر<sup>(٢)</sup>.

### \* مولده:

وُلد الإمام البخاري في مدينة بُخارى.  
قال أبو عمرو المستنير بن عتيق: سألت أبا عبد الله محمد بن إسماعيل: متى وُلدت؟ فأخرج إليَّ خطَّ أبيه: وُلد محمد بن إسماعيل

(١) مستفاد من ترجمتنا للإمام البخاري رحمته الله في تحقيقنا «الجامع الصحيح» والذي صدر عن مؤسسة الرسالة العالمية - الإصدار الأول -، بإشراف شيخنا العلامة المحدث شبيب الأرناؤوط، أدام الله سعده ومجده ونفعه.

(٢) بُخارى: مدينة عامرة فيما يعرف اليوم بـ: أوزبكستان، التي هي إحدى الجمهوريات الإسلامية في آسيا الوسطى، وبُخارى تقع شرقي سمرقند، وتبعد عنها ٢٦٠ كم تقريباً.

يوم الجمعة، بعد الجمعة لثلاث عشرة ليلة مضت من شوال سنة أربع وتسعين ومئة<sup>(١)</sup>.

وكان البخاري رحمه الله قد نشأ يتيماً، فتربى في حجر أمه رحمها الله، وقد ذهب بصره في صغره، قال أحمد بن الفضل البلخي: ذهبت عيننا محمد بن إسماعيل في صغره، فرأت والدته في المنام إبراهيم الخليل عليه السلام، فقال لها: يا هذه، قد ردّ الله على ابنك بصره لكثرة بكائك - أو كثرة دعائك -؛ فأصبحنا وقد ردّ الله عليه بصره<sup>(٢)</sup>.

### \* عنايته بتحصيل العلم:

حبّ الله تعالى العلم والحديث إلى الإمام البخاري رحمه الله، حتّى ألهم حفظ حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وهو صغير، وأعانه ذكاؤه المفطر على التفقه فيه، وقد رحل في طلبه إلى سائر محدثي الأمصار. يقول ورّاقه محمد بن أبي حاتم، سمعتُ حاشد بن إسماعيل يقول: كان أبو عبد الله محمد بن إسماعيل يختلفُ معنا إلى مشايخ البصرة وهو غلامٌ فلا يكتب، حتّى أتى على ذلك أيام، نقول له: إنك تختلفُ معنا ولا تكتب، فما معنك فيما تصنع؟ فقال لنا بعد ستّة عشر يوماً: إنكما قد أكثرتما عليّ وألححتما، فأعرضا عليّ ما كتبتما؛ فأخرجنا ما كان عندنا، فزاد على خمسة عشر ألف حديث، فقرأها كلّها عن ظهر قلب، حتّى جلسنا نُحكّم كُتُبنا من حفظه، ثم قال: أترون أني اختلفُ هذراً، وأضيعُ أيامي؟ فعرفنا أنه لا يتقدّمه أحد.

(١) «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٢٢/٢٥).

(٢) «سير أعلام النبلاء» للذهبي (١٢/٣٩٣).

قال: وكان أهل المعرفة من أهل البصرة يَعُدُّون خلفه في طلب الحديث وهو شابٌ، حَتَّى يَغْلِبُوهُ على نفسه وَيُجْلِسُوهُ في بعض الطريق، فيجتمع عليه أُلُوفٌ أَكْثَرُهُمْ مِمَّنْ يُكْتَبُ عنه.

قال: وكان أبو عبد الله عند ذلك شابًا لم يخرج وجهه<sup>(١)</sup>.

قال أبو جعفر محمد بن أبي حاتم الورَّاق: قلت لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري: كيف كان بدء أمرك في طلب الحديث؟ قال: أُلْهِمْتُ حفظَ الحديث وأنا في الكُتَّاب.

قال: وكم أتى عليك إذ ذاك؟

فقال: عشر سنين أو أقل، ثم خرجتُ من الكُتَّاب بعد العَشر فجعلتُ أختلف إلى الدَّاخِلِيِّ وغيره. وقال يومًا فيما كان يَقْرَأ للناس: «سفيان، عن أبي الزبير، عن إبراهيم»، فقلتُ له: يا أبا فلان، إنَّ أبا الزبير لم يَرَوْ عن إبراهيم؛ فانتهرني، فقلتُ له: ارجع إلى الأصل إن كان عندك؛ فدخلَ ونظرَ فيه ثم خرج، فقال لي: كيف هو يا غلام؟ قلتُ: هو الزبير بن عدي، عن إبراهيم؛ فأخذ القلم مني وأَحْكَم كتابه، فقال: صدقت. فقال له بعضُ أصحابه: ابنُ كم كنتَ إذ رددتَ عليه؟ قال: ابن إحدى عشرة.

فلما طعنْتُ في ستِّ عشرة سنة، حفظتُ كُتُبَ ابن المبارك ووكيع، وعرفتُ كلام هؤلاء، ثم خرجتُ مع أُمِّي وأخي أحمد إلى مكة، فلما حججتُ رجع أخي بها، وتخلَّفتُ في طلب الحديث.

(١) «تاريخ بغداد» للخطيب البغدادي (٢/٣٣٤).

فلما طعنتُ في ثمانِي عشرة سنة جعلتُ أصنّف قضايا الصحابة والتابعين وأقاويلهم، وذلك أيام عبيد الله بن موسى، وصنّفتُ كتاب «التاريخ» إذ ذاك عند قبر رسول الله ﷺ في الليالي المُقْمِرة<sup>(١)</sup>.

وقال: قَلَّ اسمٌ في «التاريخ» إلّا وله عندي قِصّة، إلّا أني كرهتُ تطويل الكتاب<sup>(٢)</sup>.

بهذا الكدّ والتّعب في التّحصيل، والسفر والرّحلة في نيل العلم بلغ الإمام البخاريُّ ما بلغ، بل كان في موطنه وفي مكان الرّاحة دأبه العلم والفكر فيه، حتّى حكى ورّاقه محمد بن أبي حاتم عن حاله في تحصيل العلم عجباً!

قال: كان أبو عبد الله، إذا كنتُ معه في سفر يجمعنا بيتٌ واحد إلّا في القَيْظِ<sup>(٣)</sup> أحياناً، فكنتُ أراه يقوم في ليلةٍ واحدةٍ خمس عشرة مرّةً إلى عشرين مرةً، في كلِّ ذلك يأخذ القدّاحة فيُوري ناراً بيده ويُسرج، ثم يُخرج أحاديث فيُعَلِّم عليها ثم يضع رأسه<sup>(٤)</sup>.

### \* مناقبُه وسَعَةُ حَفْظِه وعِلْمُه:

للإمام البخاري رحمه الله مناقبٌ جليّة، رَفَعَتْ من شأنه ومكانته

(١) وليس في هذا تعبُدٌ، وغاية أمر الإمام البخاري رحمه الله الإخبار بذلك من باب الضبط؛ فتنبّه.

(٢) «تاريخ بغداد» للخطيب (٢/٣٢٤).

(٣) القَيْظُ: شدة الحرّ.

(٤) «تاريخ بغداد» للخطيب (٢/٣٢٢).

حَتَّى فِي صِغَرِهِ، وَتِلْكَ نِعْمَةٌ مِّنَ اللَّهِ بِهَا عَلَيْهِ، لِصِدْقِهِ فِي الطَّلَبِ، وَحِرْصِهِ عَلَى حِفْظِ أَحَادِيثِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

يقول يوسف بن موسى المروزي: كُنْتُ بِالْبَصْرَةِ فِي جَامِعِهَا؛ إِذْ سَمِعْتُ مُنَادِيًا يَنَادِي: يَا أَهْلَ الْعِلْمِ، قَدْ قَدِمَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ الْبُخَارِيُّ؛ فَقَامُوا فِي طَلَبِهِ وَكُنْتُ مَعَهُمْ، فَرَأَيْتُ رَجُلًا شَابًّا لَمْ يَكُنْ فِي لَحِيَّتِهِ شَيْءٌ مِنَ الْبَيَاضِ، يَصَلِّيْ خَلْفَ الْأُسْطُوَانَةِ، فَلَمَّا فَرَغَ مِنَ الصَّلَاةِ، أَحَدَقُوا بِهِ وَسَأَلُوهُ أَنْ يَعْقِدَ مَجْلِسَ الْإِمْلَاءِ، فَأَجَابَهُمْ إِلَى ذَلِكَ، فَقَامَ الْمُنَادِي ثَانِيًا فَنَادَى فِي جَامِعِ الْبَصْرَةِ: قَدْ قَدِمَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ الْبُخَارِيُّ، فَسَأَلْنَاهُ أَنْ يَعْقِدَ مَجْلِسَ الْإِمْلَاءِ فَقَدْ أَجَابَ بِأَنْ يَجْلِسَ غَدًا فِي مَوْضِعِ كَذَا.

قال: فَلَمَّا أَنْ كَانَ بِالْغَدَاةِ حَضَرَ الْفُقَهَاءُ وَالْمُحَدِّثُونَ، وَالْحَقَّافُ وَالنُّظَّارُ، حَتَّى اجْتَمَعَ قَرِيبٌ مِنْ كَذَا وَكَذَا أَلْفًا، فَجَلَسَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ لِلْإِمْلَاءِ، فَقَالَ قَبْلَ أَنْ أَخَذَ فِي الْإِمْلَاءِ قَالَ لَهُمْ: يَا أَهْلَ الْبَصْرَةِ، أَنَا شَابٌّ، وَقَدْ سَأَلْتُمُونِي أَنْ أُحَدِّثَكُمْ، وَسَأَحَدِّثُكُمْ بِأَحَادِيثٍ عَنْ أَهْلِ بَلَدِكُمْ تَسْتَفِيدُونَ الْكُلَّ.

قال: فَبَقِيَ النَّاسُ مُتَعَجِّبِينَ مِنْ قَوْلِهِ، ثُمَّ أَخَذَ فِي الْإِمْلَاءِ فَقَالَ: أَنْبَأْنَا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَثْمَانَ بْنَ جَبَلَةَ بْنَ أَبِي رَوَّادٍ الْعَتَكِي بَلَدِيَّكُمْ، قَالَ: أَنْبَأْنَا أَبِي، عَنْ شُعْبَةَ، عَنْ مَنْصُورٍ وَغَيْرِهِ، عَنْ سَالِمِ بْنِ أَبِي الْجَعْدِ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ: أَنَّ أَعْرَابِيًّا جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، الرَّجُلُ يُحِبُّ الْقَوْمَ؛ ثُمَّ ذَكَرَ الْحَدِيثَ: «الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ». ثُمَّ قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ: هَذَا لَيْسَ عِنْدَكُمْ، إِنَّمَا عِنْدَكُمْ عَنْ غَيْرِ مَنْصُورٍ عَنْ سَالِمٍ.

قال يوسف بن موسى المروزي: وأملى عليهم مجلسًا على هذا النَّسَق، يقول في كل حديث: روى شعبة هكذا، والحديث عندكم كذا، فأما من رواية فلان فليس عندكم؛ أو كلامًا ذا معناه<sup>(١)</sup>.

وقال ابنُ عَدِي: سمعتُ عِدَّةَ مشايخ يحكُّون: أنَّ محمدَ بن إسماعيل البخاريَّ قدم بغداد، فسمع به أصحابُ الحديث، فاجتمعوا وعَمَدُوا إلى مئة حديثٍ فقلَّبُوا مُتُونَهَا، ودفعوا إلى عشرةِ أنفسٍ إلى كلِّ رجلٍ عشرةَ أحاديثٍ، وأمرُوهم إذا حضروا المجلس أن يُلقوا ذلك على البخاريِّ، وأخذوا الموعد للمجلس، فحضر المجلس جماعةُ أصحابِ الحديث من الغُرباء من أهل خُراسان، وغيرهم من البغداديين، فلما اطمأنَّ المجلس بأهله انتدبَ إليه رجلٌ من العشرة فسأله عن حديثٍ من تلك الأحاديث، فقال البخاريُّ: لا أعرفه؛ فسأله آخرُ، فقال: لا أعرفه؛ فما زال يُلقِي عليه واحدًا بعد واحدٍ حتَّى فرغ من عشرته، والبخاريُّ يقول: لا أعرفه.

فكان الفُهماءُ ممَّن حضر المجلس يلتفتُ بعضهم إلى بعضٍ ويقولون: الرَّجلُ فُهم؛ ومن كان منهم غير ذلك يقضي على البخاريِّ بالعجز والتقصير وقلةِ الفُهم.

ثم انتدب رجل آخر من العشرة، فسأله عن حديثٍ من تلك الأحاديث المقلوبة، فقال البخاريُّ: لا أعرفه؛ فسأله عن آخر، فقال: لا أعرفه؛ فسأله عن آخر، فقال: لا أعرفه؛ فلم يزل يُلقِي عليه واحدًا

(١) «تاريخ بغداد» للخطيب (٢/٣٣٥).

وحديث: «المرء مع من أحب» أخرجه البخاري (٦١٧١).



بعد آخر حتى فرغ من عشرته، والبخاري يقول: لا أعرفه.

ثم انتدب الثالث والرابع إلى تمام العشرة حتى فرغوا كلهم من الأحاديث المقلوبة، والبخاري لا يزيدهم على: لا أعرفه؛ فلما علم البخاري أنهم قد فرغوا التفت إلى الأول منهم فقال: أمّا حديثك الأول فهو كذا، وحديثك الثاني فهو كذا، والثالث والرابع على الولاء حتى أتى على تمام العشرة، فردّ كلّ متنٍ إلى إسناده، وكلّ إسنادٍ إلى متنه، وفعل بالآخرين مثل ذلك، وردّ متون الأحاديث كلّها إلى أسانيدها، وأسانيدها إلى متونها، فأقرّ له الناس بالحفظ وأدعّوا له بالفضل.

فكان ابنُ صاعدٍ إذا ذُكر محمد بن إسماعيل يقول: الكبش النّطّاح<sup>(١)</sup>.

(١) «تاريخ بغداد» للخطيب (٢/٣٤٠).

وهذه قصة مشهورة عن الإمام البخاري رحمه الله تناقلها أهل التراجم والسّير بلا نكير، حتى قال ابن ناصر الدّين الدمشقي في «تحفة الأخباري بترجمة البخاري» (٤٦): وهذه القصة مشهورة عند العلماء قاطبة، ولم يُذكر أنّ أحدًا تكلم فيها، اهـ.

ومثل هذه الأخبار والسّير لا يُتكلّف في التّظّر في أسانيدنا، لا سيّما وقد حكاها جمعٌ من المحدثين الكبار دون نكير، فالسّعي وراء ذلك فيما لا يُخالف أصلاً شرعيّاً تكلفٌ، وقد وقع للإمام البخاري بالأسانيد الصّحاح ما يعظّم عن هذه الحادثة في سيرته، فلا غرو فهو إمام المحدثين، وجبل الحفظ رحمه الله، وقد قال الحافظ ابن حجر رحمه الله في «هدي الساري» (٤٨٦): هنا يُخضّع للبخاري، فما العجب من ردّه الخطأ إلى =

وقال محمد بن حَمْدَوِيَه: سمعتُ محمد بن إسماعيل يقول: أحفظُ مئةَ ألفِ حديثٍ صحيح، وأحفظُ مئتي ألفِ حديثٍ غير صحيح<sup>(١)</sup>.

وقال أبو حامد الأعمشي: رأيتُ محمد بن إسماعيل البخاريَّ في جنازةٍ ومحمد بن يحيى الذُّهلي - يعني شيخَ البخاري وإمامَ نيسابور - يسأل عن الأسماء والكُنَى وعلل الحديث، والبخاريُّ يمرُّ فيها مثل السَّهم كأنه يقرأ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾<sup>(٢)</sup>.

وقال محمد بن يوسف الفَرَبْرِي: سمعتُ النجم بن الفضيل - وكان من أهل الفَهْم - يقول: رأيتُ النَّبِيَّ ﷺ في المنام ومحمد بن إسماعيل خلفه، فكان النَّبِيُّ ﷺ إذا خَطَا خطوة يخطو محمد بن إسماعيل ويضع قدمه على خطوة النبي ﷺ ويتبع أثره<sup>(٣)</sup>.

فإن قلتَ: ومن أي شيء كان حفظ الإمام وسَعَتَه، وكيف أحسن نيلَ العلم؟

فيُجيبُك ورَّاقه محمد بن أبي حاتم فيقول: بلغني أن أبا عبد الله شرب البَلَاذُرَ للحفظ، فقلتُ له: وهل من دواءٍ يشربه الرجل للحفظ؟ فقال: لا أعلم؛ ثم أقبل عليَّ وقال: لا أعلم شيئاً أنفعَ للحفظ من نَهْمَةِ الرجل، ومداومة النَّظَر، وذلك أني كنتُ بنيسابور مقيماً، فكان

= الصواب، فإنَّه كان حافظاً، بل العجبُ من حفظه للخطأ على ترتيب ما ألَفَّه عليه مرة واحدة، اهـ. فذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

(١) «تاريخ بغداد» للخطيب (٢/٣٤٦).

(٢) «تهذيب الأسماء واللغات» للنووي (١/٢٠٩).

(٣) «تاريخ بغداد» للخطيب (٢/٣٢٨).

يَرِدُ إِلَيَّ مِنْ بُخَارَى كُتِبَ، وَكُنَّ قَرَابَاتٌ لِي يُقَرَّنُ سَلَامُهُنَّ فِي الْكُتُبِ، فَكُنْتُ أَكْتُبُ إِلَى بُخَارَى، وَأَرَدْتُ أَنْ أَقْرَهُنَّ سَلَامِي، فَذَهَبَ عَلَيَّ أَسَامِيَهُنَّ حَتَّى كَتَبْتُ كِتَابِي وَلَمْ أَقْرَهُنَّ سَلَامِي، وَمَا أَقَلَّ مَا يَذْهَبُ عَنِي مِنَ الْعِلْمِ.

قال الحافظ الذهبي رحمته الله: يعني: ما أقلَّ ما يذهب عنه من العلم لمداومة النَّظَرِ والاشتغال، وهذه قراباته نَسِيَ أَسْمَاءَهُنَّ، وغالب الناس بخلاف ذلك، فتراهم يحفظون أَسْمَاءَ أَقْرَبِهِمْ ومعارفهم، ولا يحفظون إِلَّا اليسير من العلم<sup>(١)</sup>.

### \* عِبَادَتُهُ وَأَخْلَاقُهُ:

وَأَمَّا فِي مِيدَانِ الْعِبَادَةِ وَالزُّهْدِ بِالدُّنْيَا، فَلِلْإِمَامِ رحمته الله حُظٌّ وَافِرٌ مِنْ ذَلِكَ، وَقَدْ ذَكَرَ أَهْلُ السِّيَرِ طَرَفًا مِنْ أَخْبَارِهِ فِي الْعِبَادَةِ وَالزُّهْدِ.

فَقَدْ كَانَ الْبُخَارِيُّ رحمته الله إِذَا كَانَ أَوَّلَ لَيْلَةٍ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ يَجْتَمِعُ إِلَيْهِ أَصْحَابُهُ فَيُصَلِّيُ بِهِمْ وَيَقْرَأُ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ عَشْرِينَ آيَةً، وَكَذَلِكَ إِلَى أَنْ يَخْتِمَ الْقُرْآنَ، وَكَانَ يَقْرَأُ فِي السَّحَرِ مَا بَيْنَ النُّصْفِ إِلَى الثُّلُثِ مِنَ الْقُرْآنِ، فَيَخْتِمُ عِنْدَ السَّحَرِ فِي كُلِّ ثَلَاثِ لَيَالٍ، وَكَانَ يَخْتِمُ بِالنَّهَارِ كُلَّ يَوْمٍ خَتْمَةً، وَيَكُونُ خَتْمُهُ عِنْدَ الْإِفْطَارِ كُلِّ لَيْلَةٍ، وَيَقُولُ: عِنْدَ كُلِّ خَتْمٍ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ<sup>(٢)</sup>.

وقال بكر بن منير: كان محمد بن إسماعيل يصلي ذات يوم

(١) «تاريخ الإسلام» (٦/١٤٨).

(٢) «تاريخ بغداد» للخطيب (٢/٣٣١).

فلسعه الزُّنبور سبع عشرة مرة، فلما قضى صلاته قال: انظروا أيّس هذا الذي آذاني في صلاتي؟ فنظروا فإذا الزنبور قد ورّمه في سبعة عشر موضعًا، ولم يقطع صلاته<sup>(١)</sup>.

وحكى الحاكم أبو عبد الله، عن أبي عبد الله محمد بن علي: سمعتُ البخاريّ يقول: أقمتُ بالبصرة خمس سنين معي كتبي أُصْنَف، وأحجُّ في كلِّ سنة وأرجع من مكة إلى البصرة. قال البخاريّ: وأنا أرجو أن يبارك الله تعالى للمسلمين في هذه المُصَنَّفَاتِ<sup>(٢)</sup>.

وقال بكر بن منير: سمعتُ أبا عبد الله البخاريّ يقول: أرجو أن ألقى الله ولا يحاسبني أني اغتبتُ أحدًا<sup>(٣)</sup>.

قال الحافظ الذهبي: صدقَ ﷺ، ومن نظر في كلامه في الجرح والتَّعديل عَلِمَ وَرَعَهُ في الكلام في الناس وإنصافه فيمن يُضَعِّفُهُ، فإنَّه أكثر ما يقول: منكر الحديث، سكتوا عنه، فيه نظر؛ ونحو هذا، وقلَّ أن يقول: فلانٌ كَذَّاب، أو يضع الحديث؛ حتَّى إنَّه قال: إذا قلتُ: فلان في حديثه نظرٌ؛ فهو مُتَّهَمٌ واوٍ.

وهذا من قوله: لا يحاسبني الله أني اغتبتُ أحدًا، وهذا هو والله غايةُ الورع<sup>(٤)</sup>.

(١) «تاريخ بغداد» (٢/٣٣١).

(٢) «تهذيب الأسماء واللغات» للنووي (١/٢٢٠).

(٣) «طبقات الحنابلة» لابن أبي يعلى (١/٢٧٦) ط: دار المعرفة.

(٤) «سير أعلام النبلاء» (١٢/٤٣٩).

## \* ثناء أهل العلم عليه:

قال الإمام النووي رحمته الله: اعلم أن وصف البخاري رحمته الله بارتفاع المحلّ والتّقدم في هذا العلم على الأمثال والأقران، مُتفقٌ عليه فيما تأخّر وتقدّم من الأزمان، ويكفي في فضله أن معظم من أثنى عليه ونشر مناقبه شيوخه الأعلام المبرّزون والحُذّاق المتقنون<sup>(١)</sup>.

قال محمد بن أبي حاتم: سمعتُ محمد بن إسماعيل البخاريّ يقول: لَمَّا دخلتُ البصرة صرْتُ إلى مجلس محمد بن بشار فلما خرج وقع بصره عليّ، فقال: من أين الفتى؟ قلتُ: من أهل بُخارى؛ قال: كيف تركتَ أبا عبد الله؟ فأمسكتُ، فقال له بعضُ أصحابه: رحمك الله، هو أبو عبد الله؛ فقام فأخذ بيدي وعانقني، وقال: مرحباً بمن أفتخرُ به منذ سنين.

وقال نعيم بن حمّاد: محمد بن إسماعيل فقيه هذه الأُمَّة. وقال محمد بن سلام للبخاري: انظر في كُتُبِي، فما وجدت من خطأ فاضربْ عليه كي لا أرويه. ففعل ذلك، وكان محمد بن سلام كتبَ عند الأحاديث التي أَحْكَمَهَا محمد بن إسماعيل: رَضِيَ الْفَتَى؛ وفي الأحاديث الضَّعِيفَة: لَمْ يَرْضَ الْفَتَى؛ فقال له بعضُ أصحابه: مَنْ هذا الفتى؟ فقال: هو الذي ليس مثله: محمد بن إسماعيل.

وقال الإمام عبد الله بن عبد الرحمن الدّارمي: رأيتُ العلماء بالحرَمَيْن والحجاز والشّام والعراق، فما رأيتُ فيهم أجمعَ من أبي عبد الله البخاريّ.

(١) «تهذيب الأسماء واللغات» (١/٢١٣).

وقال الإمام محمد بن خزيمة: ما رأيت تحت أديم السماء أعلم بحديث رسول الله ﷺ من محمد بن إسماعيل.

قال الحافظ أبو الفضل محمد بن طاهر المقدسي: وحسبك بإمام الأئمة ابن خزيمة يقول فيه هذا القول مع لُقيّه الأئمة والمشايخ شرقاً ومغرباً.

قال أبو الفضل: ولا عَجَبَ فيه، فإنَّ المشايخ قاطبة أجمعوا على تقدُّمه، وقدَّموه على أنفسهم في عُنفوان شبابه، وابنُ خزيمة إنما رآه عند كبره وتفرُّده في هذا الشأن<sup>(١)</sup>.

وقال الإمام مسلم صاحب «الصحیح»: أشهدُ أنه ليس في الدنيا مثله<sup>(٢)</sup>.

### \* مشايخُه وتلاميذه:

روى الإمام البخاريُّ رحمه الله في تطوافه في مجمل رحلاته العلمية عن أكثر من ألف شيخٍ من أصحاب الحديث.

قال محمد بن أبي حاتم عنه: كتبتُ عن ألفٍ وثمانين نفساً ليس فيهم إلَّا صاحب حديث. وقال: لم أكتب إلَّا عمن قال: الإيمان قولٌ وعملٌ<sup>(٣)</sup>.

(١) انظر هذه الأقوال السابقة عنه في «تهذيب الأسماء واللغات» (١/٢٠٣) فما بعدها.

(٢) «البدایة والنهاية» لابن كثير (١٤/٥٣١) ط: دار هجر.

(٣) «هدي الساري» (٤٧٩).

وأخرج في كتابه «الصحيح» عن ثلاث مئة وأربعة وعشرين شيخاً منهم على التحقيق إن شاء الله، بين رواية مُتَّصِلَة أو مُعَلَّقة، مرفوعة أو موقوفة.

وقد كان الإمام البخاري رحمته الله ينتقي من أحاديث شيوخه ما صحَّ عنده، فقد قال ورَّاهه محمد بن أبي حاتم: سمعتُ محمد بن إسماعيل يقول: كان إسماعيل بن أبي أويس إذا انتخبتُ من كتابه نسخ تلك الأحاديث، وقال: هذه الأحاديث انتخبها محمد بن إسماعيل من حديثي<sup>(١)</sup>.

وقد أكثر الإمام البخاري رحمته الله في «الصحيح» من الرواية عن عشرين شيخاً تقريباً، أكثرهم حديثاً عنده:

- ١ - مُسَدَّد بن مُسْرَهْد، المتوفى سنة ٢٢٨هـ بالبصرة.
- ٢ - عبد الله بن يوسف التَّيْسِي، المتوفى سنة ٢١٨هـ بالشام.
- ٣ - قتيبة بن سعيد الثَّقَفِي، المتوفى سنة ٢٠٤هـ ببلخ.
- ٤ - علي بن عبد الله المَدِينِي، المتوفى سنة ٢٣٤هـ بالبصرة.
- ٥ - الحَكَم بن نافع الحمَصِي، المتوفى سنة ٢٢٢هـ بالشام.
- ٦ - موسى بن إسماعيل التَّبُودَكِي، المتوفى سنة ٢٢٣هـ بالبصرة.
- ٧ - إسماعيل بن عبد الله بن أبي أويس، المتوفى سنة ٢٢٦هـ بالمدينة.

(١) «سير أعلام النبلاء» للذهبي (٤١٤/١٢).

٨ - عبد الله بن محمد الجُعفي المُسندي، المتوفى سنة ٢٢٩هـ بُبْخارى.

٩ - آدم بن أبي إياس العسقلاني، المتوفى سنة ٢٢٠هـ بالشام.

١٠ - يحيى بن عبد الله بن بُكير، المتوفى سنة ٢٣١هـ بمصر.

١١ - محمد بن بشار (بُندار)، المتوفى سنة ٢٥٢هـ بالبصرة.

١٢ - أبو نعيم الفضل بن دُكين، المتوفى سنة ٢١٨هـ بالكوفة.

وأما تلاميذه أو مَنْ سَمِعَ منه، فخلاتُ يفوقون الحصرَ؛ فقد نُقِلَ عن محمد بن يوسف الفَرَبَري: أنه سَمِعَ «الصَّحيحَ» من البُخاريّ تسعون ألفاً<sup>(١)</sup>.

ومن أشهر مَنْ روى عن الإمام البُخاريّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: مسلمُ بن الحجاج، صاحب «الصَّحيح»، وإمام الأئمة أبو بكر بن خزيمة صاحب «الصَّحيح»، والحافظ صالح بن محمد جَزْرة، وغيرهم.

وأما الإمام أبو عيسى الترمذي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ صاحب «الجامع الكبير»، فقد تَلَمَذَ له وأكثر من الاعتماد عليه في كتابه.

ومَنْ روى عنه، رِوَاةُ «الصَّحيح» الأربعة الذين اشتهر «الصَّحيح» من رواياتهم، وهم:

- حمّاد بن شاکر النَّسَفي، المتوفى سنة ٢٩٠هـ.

- إبراهيم بن مَعْقِل النَّسَفي، المتوفى سنة ٢٩٤هـ.

(١) «هدي الساري» لابن حجر (٤٩١).



– محمد بن يوسف الفَرَبْرِي، المتوفى سنة ٣٢٠هـ، وهو أشهرهم<sup>(١)</sup>.

– منصور البَزْدَوِي، المتوفى سنة ٣٢٩هـ.

### \* تصانيفه:

لقد أثرى الإمام البخاري ﷺ المكتبة الإسلامية بكتب زاخرة، فكانت مُصنَّفاته العمدة في الباب، وقد طُبِع بعضها غير مرة، وبعضها في عِدَاد المفقود، ومن أشهر كتبه التي نسبها أهل العلم له:

«الجامع الصَّحيح»، و«الأدب المفرد»، و«رفع اليدين في الصلاة»، و«القراءة خلف الإمام»، و«التاريخ الكبير»، و«التاريخ الأوسط»، و«التاريخ الصغير»، و«خلق أفعال العباد»، و«الجامع

(١) وعن الفربري: اشتهر من خلال رواقٍ أخذوا «الصحيح» عنه: الفقيه أبو زيد المَرْوَزِي، وهو أَجَلُّ من روى عنه، والحافظ أبو علي بن السَّكَن، وأبو الهيثم الكُشْمِيهَنِي، وأبو محمد بن حَمُوِيه السَّرْحَسِي، ومحمد بن عمر بن شَبُوِيه، وأبو حامد أحمد بن عبد الله النعيمي، وأبو إسحاق إبراهيم بن أحمد المُسْتَمَلِي، وإسماعيل بن حاجب الكُشَانِي وهو آخرهم موتاً، ومحمد بن محمد بن يوسف الجُرْجَانِي، وآخرون. ومن أوثقهم: ابن حَمُوِيه، والمُسْتَمَلِي، والكُشْمِيهَنِي، وعنهم ضبط أبو ذر الهروي روايته.

انظر: «سير أعلام النبلاء» للذهبي (١١/١٥)، و«إفادة النَّصِيح» لابن رُشيد (٤٥)، ومقدمة «الجامع الصحيح» للبخاري بتحقيقنا (١/٥٠) ط: الرسالة العالمية – الإصدار الأول.

الكبير»، و«المسند الكبير»، و«التفسير الكبير»، و«الضعفاء»، و«أسامي الصحابة»، و«كتاب الأشربة»، و«كتاب الهبة»، و«المبسوط»، و«العلل»، و«الكنى»، و«الفوائد»، و«بر الوالدين»<sup>(١)</sup>.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: وقد ترك رَحِمَهُ اللهُ بعده عِلْمًا نافعا لجميع المسلمين، فعمله لم ينقطع، بل هو مَوْصُولٌ بما أسداه من الصالحات في الحياة، وقد قال رسول الله ﷺ: «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: من علم يُتَنَفَّعُ به»<sup>(٢)</sup>.

### \* وفاته:

قال أبو سعيد بكر بن منير: بعث الأمير خالد بن أحمد الذُّهلي والي بُخارى إلى محمد بن إسماعيل: أنِ احمل إليَّ كتاب «الجامع» و«التاريخ الكبير» وغيرهما لأسمع منك؛ فقال محمد بن إسماعيل لرسوله: أنا لا أُذِلُّ العلمَ ولا أحمله إلى أبواب الناس، فإن كانت لك إلى شيء منه حاجة فاحضرني في مسجدي أو في داري، وإن لم يُعجبك هذا فأنت سلطان فامنعني من الجلوس ليكون لي عذرٌ عند الله يوم القيامة؛ لأنني لا أكتُمُ العلمَ لقول رسول الله ﷺ: «من سئل عن عِلْمٍ فكتمه، ألجم بِلجامٍ من نار».

(١) «بر الوالدين» كان في عداد المفقود، وطبع حديثًا، عن دار الحديث الكتانية.

(٢) «البداية والنهاية» (١٤/٥٣٣).

والحديث أخرجه مسلم في «الصحيح» (١٦٣١) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

قال: فكان سبب الوحشة بينهما هذا<sup>(١)</sup>.

قال ابن عدي: سمعتُ عبد القدوس بن عبد الجبار السمرقندي يقول: جاء محمد ابن إسماعيل خَرْتَنَك<sup>(٢)</sup> وكان له بها أقرباء، فنزل عندهم، فسمعته ليلة يدعو، وقد فرغ من صلاة الليل: اللَّهُمَّ إِنَّهُ قد ضاقت عليَّ الأرضُ بما رَحُبَتْ، فاقْبِضْني إليك. فما تمَّ الشهر حتَّى مات، وقبره بخَرْتَنَك<sup>(٣)</sup>.

توفي الإمام البخاري رحمه الله ليلة السبت عند صلاة العشاء ليلة الفِطْرِ، ودُفِن يوم الفطر بعد الظهر يوم السبت غرة شوال من سنة ست وخمسين ومئتين، عاش اثنتين وستين سنة إلا ثلاثة عشر يومًا<sup>(٤)</sup>.

فهذه أحرفٌ من عُيون مناقبه وصفاته، ودُرر شمائله وحالاته، أشرنا إليها إشارات، لكونها من المعروفات الواضحات.

ومناقبه لا تُستقصى لخروجها عن أن تُحصى، وهي مُنْقَسِمة إلى

(١) «تاريخ بغداد» للخطيب (٢/٣٥٥).

والحديث أخرجه أحمد في «المسند» (٧٥٧١)، وأبو داود (٣٦٥٨)، وابن ماجه (٢٦٦)، والترمذي (٢٦٤٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وإسناده صحيح.

(٢) خَرْتَنَك: بفتح الخاء المعجمة، وسكون الراء، وفتح التاء، وسكون النون بعدها كاف: قرية على أميالٍ من سمرقند في الجانب الشرقي منها، وتُعرف اليوم بـ (خاجا آباد).

(٣) «تاريخ بغداد» (٢/٣٥٧).

(٤) انظر: «تهذيب الأسماء واللغات» (١/٢٠٤).

حفظٍ ودِراية، واجتهادٍ في التَّحصيلِ وراوية، ونُسكٍ وإفادة، وورعٍ وزهادة، وتحقيقٍ وإتقان، وتمكُّنٍ وعِرفان، وأحوالٍ وكرامات، وغيرها من أنواع المَكْرُمات.

ففيما ذكرنا وأشرنا إليه أبلغ كفاية للمُستبصر، فرضي الله عن الإمام البخاريّ وأرضاه، وجمع بيننا وبينه وجميع أحبابنا في دار كرامته مع من اصطفاه، فجزاه الله عَنَّا وعن المسلمين أكمل الجزاء، وحبَّاه من فضله أبلغ الحِباء<sup>(١)</sup>.

والحمد لله الذي بنعمته تتمُّ الصالحات



(١) انظر: «تهذيب الأسماء واللغات» (١/٢٢٢)، بتصرفٍ يسير.

وللاستزادة في سيرة الإمام البخاري يُنظر:

«طبقات الحنابلة» لابن أبي يعلى الفراء (١/٢٧١)، و«تاريخ بغداد» للخطيب البغدادي (٢/٣٢٢)، و«تهذيب الأسماء واللغات» للنووي (١/٢٠٣)، و«تهذيب الكمال» للمزني (٢٤/٤٣٠)، و«تاريخ الإسلام» للذهبي (٦/١٤٠)، و«سير أعلام النبلاء» للذهبي (١٢/٣٩١)، و«طبقات الشافعية الكبرى» للشُّبكي (٢/٢١٢)، و«البداية والنهاية» لابن كثير (١٤/٥٢٦).

ومن أوسع الدراسات المعاصرة: «سيرة الإمام البخاري» للعلامة عبد السلام المباركفوري. ط: عالم الفوائد.

## التَّعْرِيفُ بـ «الجامع الصَّحِيحِ»

\* أولاً: اسمُ الكتاب ودلالته:

لقد أفصح الإمام البخاري رحمته الله بنفسه عن اسم كتابه فوسمه بـ: «الجامع المسند الصحيح المختصر في أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه» كما قال غير واحدٍ من أهل العلم<sup>(١)</sup>.

وقد عقّد الإمام السيوطي رحمته الله في كتابه «التّوشيح على الجامع الصحيح» فصلاً يُبيّن مقصود هذه التّسمية في ما ملّخصه:

قوله: «الجامع»: إشارةٌ إلى أنه لم يُخصَّ بصنفٍ دون صنف، ولهذا أورد فيه الأحكام، والفضائل، والأخبار من الأمور الماضية والآتية، وغير ذلك من الآداب والرفائق.

وقوله: «الصَّحِيح»: إشارةٌ إلى أنّه ليس فيه شيءٌ ضعيفٌ عنده، فقد قال: ما أدخلتُ في «الجامع» إلّا ما صحَّ.

وقوله: «المسند»: إشارةٌ إلى أنّ مقصوده الأصلي تخريج الأحاديث التي اتّصل إسنادُها ببعض الصحابة عن النبي صلى الله عليه وسلم، سواء كانت من قوله أو فعله أو تقريره، وأنّ ما وقع في الكتاب من غير ذلك

(١) انظر: «تحقيق اسمي الصحيحين وجامع الترمذي» للشيخ عبد الفتاح أبو غدة رحمته الله (٩ وما بعدها).

فإنما وقع تبعًا وعرضًا وشرحًا لا أصلًا<sup>(١)</sup>.

قلنا: وقوله: «المختصر»: إشارة إلى أنه ﷺ لم يذكر في هذا الكتاب كلَّ مروياته ومحفوظاته، وإنما ذكر جزءًا يسيرًا جدًا مما يحفظ، وانتقاء من مروياته انتقاءً.

### \* ثانيًا: موضوع الكتاب:

يقول الحافظ ابن حجر ﷺ: تقرّر أنه التزم فيه الصّحة، وأنه لا يُورد فيه إلّا حديثًا صحيحًا، وهذا أصلُ موضوعه، وهو مُستفادٌ من تسميته إياه: «الجامع الصّحيح المسند من حديث رسول الله ﷺ وسُننه وأيامه»، ومما نقلناه عنه من رواية الأئمة عنه صريحًا، ثم رأى أن لا يُخلّيه من الفوائد الفقهية، والنُّكت الحكيمة، فاستخرج بفهمه من المتون معاني كثيرة، فرّقها في أبواب الكتاب بحسب تناسبها، واعتنى فيه بآيات الأحكام، فانتزع منها الدلالات البديعة، وسلك في الإشارة إلى تفسيرها السُّبل الوسيعة.

قال الشيخ محيي الدّين النّووي ﷺ: ليس مقصودُ البخاريّ الاقتصارَ على الأحاديث فقط، بل مراده الاستنباط منها، والاستدلال لأبوابٍ أرادها، ولهذا المعنى أخلّى كثيرًا من الأبواب عن إسناد الحديث، واقتصر فيه على قوله: «فيه فلان عن النبي ﷺ» أو نحو ذلك.

وقد يذكر المتن بغير إسناد، وقد يُورده مُعلّقًا، وإنما يفعل هذا لأنه أراد الاحتجاج للمسألة التي ترجم لها، وأشار إلى الحديث لكونه

(١) «التوشيح شرح الجامع الصحيح» للسيوطي (١/٤٣).

مَعْلُومًا، وقد يكون مما تقدّم، وربما تقدم قريبًا، ويقع في كثير من أبوابه الأحاديث الكثيرة، وفي بعضها ما فيه حديث واحد، وفي بعضها ما فيه آية من كتاب الله، وبعضها لا شيء فيه البتّة<sup>(١)</sup>.

كذا قال الإمام النّووي رحمته الله وتابعه عليه بعض أهل العلم والفضل، والذي يُستظهر والله تعالى أعلم: أنّ الإمام البخاري رحمته الله كان يضع في الغالب تراجم كتابه ويشير فيها إلى ما سيخرجه من الأحاديث ويُؤخّر إخراجها لسبب يعرض عنده، إمّا في اختياره للأسانيد التي سيسوق فيها تلك المتون، أو للمتون نفسها واختيار أنسبها للترجمة المرادة، ثم يعود رحمته الله فيُخرج في تلك الأبواب ما يناسبها عنده من الأسانيد والمتون، ولا يغيّب عن ذهنك أنّ الإمام البخاري رحمته الله ألّف كتابه في مدّة طويلة، طالت إلى ستّ عشرة سنة، ومن تتبّع صنيعه في أبواب «صحيحه» لحظ ذلك، والله أعلم.

ويعضّد هذا ويقوّيه؛ أنّ الإمام البخاري رحمته الله قد ذكر في كثير من تراجم أبوابه، أنّ فيه عن فلان عن النّبي صلّى الله عليه وآله، ثم تراه يسوقه بسنده في الباب نفسه.

ولقد ذكر الحافظ أبو إسحاق المستملي فيما نقله عنه أبو ذرّ الهروي أنه قال: انتسختُ كتابَ البخاري من أصله، كان عند محمد بن يوسف الفَرَبْرِي، فرأيتَه لم يَتَمَّ بعدُ، وقد بَقِيَتْ عليه مواضع مُبَيَّضة كثيرة، منها: تراجم لم يُثَبِّت بعدها شيئًا، ومنها: أحاديث لم يُترجم عليها، فأضفنا بعض ذلك إلى بعض.

(١) «هدي الساري» لابن حجر (٨).

قال أبو الوليد الباجي: ومما يدلُّ على صحَّة هذا القول أنَّ رواية أبي إسحاق - المستملي -، ورواية أبي محمد - السرخسي -، ورواية أبي الهيثم - الكشميهني -، ورواية أبي زيد - المروزي -، وقد نسخوا من أصل واحد، فيها التقديم والتأخير، وإنما ذلك بحسب ما قدَّر كل واحد منهم فيما كان في طرَّة أو رُقعة مضافة أنه من موضع ما فأضافه إليه، ويُبَيِّن ذلك، أنك تجد ترجمتين وأكثر من ذلك متصلةً ليس بينها أحاديث<sup>(١)</sup>.

### \* ثالثاً: سببُ تصنيف الكتاب:

يُحدِّث البخاري رحمه الله بنفسه عن ذلك فيقول: كنتُ عند إسحاق بن راهويه، فقال لنا بعض أصحابنا: لو جَمَعْتُم كتاباً مختصراً لسُنن النَّبِيِّ ﷺ، فوقع ذلك في قلبي، فأخذتُ في جمع هذا الكتاب؛ يعني كتاب «الجامع»<sup>(٢)</sup>.

وروي عنه أيضاً قال: رأيتُ النَّبِيَّ ﷺ في المنام، وكأنِّي واقفٌ بين يديه، ويدي مَرْوَحَةٌ أذُبُّ عنه، فسألتُ بعض المُعَبِّرِينَ، فقال: أنتُ تَذُبُّ عنه الكذب؛ فهو الذي حملني على إخراج «الصَّحيح»<sup>(٣)</sup>.

ولا يمنع أن يكون الحاملُ له على ذلك كِلا السَّبَبَيْنِ: إشارةً شيخه إسحاق بن راهويه، والرُّؤيا التي رآها.

(١) «التعديل والتجريح» لأبي الوليد الباجي (١/٣١٠).

(٢) «تاريخ بغداد» (٢/٣٢٦).

(٣) «تهذيب الأسماء واللغات» (١/٢١٩).



## \* رابعًا: كيفية تصنيفه للصحيح:

قال الإمام البخاري رحمته الله: صَنَّفْتُ كِتَابِي «الصَّحَاح» لِسِتِّ عَشْرَةِ سَنَةً، خَرَّجْتُهُ مِنْ سِتِّ مِائَةِ أَلْفِ حَدِيثٍ، وَجَعَلْتُهُ حُجَّةً بَيْنِي وَبَيْنَ اللَّهِ تَعَالَى <sup>(١)</sup>.

وقال: مَا أَدْخَلْتُ فِي هَذَا الْكِتَابِ إِلَّا مَا صَحَّ، وَتَرَكْتُ مِنَ الصَّحَاحِ كِي لَا يَطُولُ الْكِتَابُ <sup>(٢)</sup>.

قال الإمام النووي: وَقَالَ آخَرُونَ: صَنَّفَهُ بِبُخَارَى، وَقِيلَ: بِمَكَّةَ، وَقِيلَ: بِالْبَصْرَةِ، وَكُلُّ هَذَا صَحِيحٌ، وَمَعْنَاهُ أَنَّهُ كَانَ يُصَنِّفُ فِيهِ فِي كُلِّ بَلَدَةٍ مِنْ هَذِهِ الْبُلْدَانِ، فَإِنَّهُ بَقِيَ فِي تَصْنِيفِهِ سِتُّ عَشْرَةَ سَنَةً.

وقال أبو عبد الله محمد بن علي: سَمِعْتُ الْبُخَارِيَّ يَقُولُ: أَقَمْتُ بِالْبَصْرَةِ خَمْسَ سِنِينَ مَعَ كُتُبِي أُصْنَفُ، وَأَحْجُ فِي كُلِّ سَنَةٍ، وَأَرْجِعُ مِنْ مَكَّةَ إِلَى الْبَصْرَةِ. قَالَ الْبُخَارِيُّ: وَأَنَا أَرْجُو أَنْ يَبَارَكَ اللَّهُ تَعَالَى لِلْمُسْلِمِينَ فِي هَذِهِ الْمَصْنُفَاتِ <sup>(٣)</sup>.

## \* خامسًا: عاداته في «الصحيح»:

كَانَ لَهُ رحمته الله عَادَاتٌ عِدَّةٌ فِي «صَحِيحِهِ» يَكْثُرُ دَوْرَانُهَا فِيهِ، تُعْرَفُ

(١) «تاريخ بغداد» (٢/٣٣٣).

وَيَدْخُلُ فِي الْعَدِّ الْمَذْكُورِ الطَّرُقُ الْمُتَعَدَّةُ لِلْحَدِيثِ الْوَاحِدِ، وَيَدْخُلُ فِيهِ أَيْضًا الصَّحِيحُ وَالضَّعِيفُ، وَالْمَرْفُوعُ وَغَيْرُهُ، وَبِذَلِكَ يُمْكِنُ أَنْ تَصَلَ الْأَحَادِيثُ وَالْآثَارُ إِلَى مِثْلِ هَذَا الرَّقْمِ الْمَذْكُورِ، وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ.

(٢) «الكامل» لابن عدي (١/١٤٠)، و«تاريخ بغداد» للخطيب (٢/٣٢٧).

(٣) «تهذيب الأسماء واللغات» للنووي (١/٢٢٠).

هذه العادات بالتأمل، وإمعان النظر في «الصحيح»، ويحسن بقارئ «الصحيح» أن يُلَمَّ بها، ويقف عليها، وقد بثَّ هذه العادات أصحاب شروح «الصحيح» في شروحهم، وفقَّ أماكن ورودها، فنظَّم شذرها، وشدَّ أزرها، الشيخ عبد الحق الهاشمي رحمته الله في كتابه «عادات الإمام البخاري في صحيحه» جمعها من كتب شروح الصحيح حيث قال في مقدمته: «هذا الفصل من أهمِّ الفصول الذي يجب حفظه، وقد تتبَّعت هذه العادات من الشروح المتقدمة، وأخذتها من المواضع المتفرقة، وأوردتها مجموعة لإفادة طلبة العلم، مطالعي البخاري»<sup>(١)</sup>.

ولقد جاءت عادات الإمام البخاري رحمته الله على ضربين:  
ضرب مُتعلِّق بالإسناد، وآخر مُتعلِّق بالتَّفَقُّه.

• أولاً: عادات الإمام البخاري رحمته الله المتعلقة بالإسناد:  
ومن أهمها:

١ - أنه لا يُكرَّر الحديث بالإسناد الواحد، بل يُورده لمقتضى كل باب بإسنادٍ آخر، ومتى ضاق عليه المخرجُ تصرَّف فيه بنوع من التصرُّف في الإسناد أو المتن، كالوصل في موضع، والتعليق في آخر، وكالاتمام في موضع، والاختصار في آخر، ولا يُورد الحديث بإسنادٍ واحدٍ ومتنٍ واحدٍ إلا نادراً.

وللبخاري رحمته الله نيفٌ وعشرون حديثاً بإسنادٍ واحدٍ ومتنٍ واحدٍ، فانظرها في «العادات»<sup>(٢)</sup>.

(١) «عادات الإمام البخاري» (٥٥).

(٢) «العادات» (٥٧ - ٦١).

- فإن قال قائلٌ: ولأيَّ أمر كان البخاري ﷺ يُكرِّر الحديث؟
- فالجواب: أنَّ للإمام ﷺ في إيراد الحديث مُكرَّرًا سبعة أغراض:
- إزالة الشبهة عن النَّاقِلين، فتارةً يروي الرواي الحديث تامًّا، وتارةً مختصرًا، فيرويه البخاريُّ كما جاء.
- بيان اختلاف ألفاظ الرواة، وذلك حيث اختلفت عبارة الرواة، فيحدِّث راوٍ لحديث فيه كلمة محتملة لمعنى آخر، فيورده البخاري ويُفرد لكلِّ لفظة بابًا مُفردًا، وهذا من أهمِّ المواضع بالمعرفة.
- ترجيح أمرٍ من الأمرين المتعارضين من جهة الوصل والإرسال، أو الرفع والوقف، منبِّهاً على أنه لا تأثير للآخر عنده.
- دفع توهم الزيادة في الإسناد، وذلك حيث زاد بعض الرواة رجلًا في الإسناد. وكان ذلك بحيث يصحُّ عنده أنَّ الرَّاوي سمعه من شيخٍ حديثه عن آخر، ثم لقي الآخر فحدِّثه به، فكان يروي ذلك الرَّاوي على الوجهين، فيورد البخاريُّ الإسناد على الوجهين لإزالة توهم الزيادة في الإسناد.
- التصريح بالسَّماع، فيورد الحديث المُعَنَّن، ثم يُورد الطريق المصرَّح فيه بالسَّماع، لاشتراطه ثبوت اللِّقاء.
- إخراج الحديث عن حدِّ الغرابة، وقد يعتقد من ليس من أهل الصَّنعة أنَّ الحديث مكرَّر.

– بيان طرق الحديث، وذلك حيث اشتمل الحديث على معانٍ، وله طرق؛ فيُورده في كل باب من طريقٍ غير الطريق الأول.

٢ – ومن عاداته: أنه إذا روى عن شيخٍ تكلَّم فيه بعضُ الأئمة، يُقلِّل الرواية عنه، ويأتي بالمتابعات في الباب نفسه أو في أبواب متفرقة تقويةً لروايته.

٣ – ومن عاداته: اختصار الحديث، وغالبًا يفعل ذلك إذا كان الحديث موقوفًا وفيه حرفٌ حُكِمَ برفعه، فيقتصر على المرفوع ويحذف الباقي لعدم تعلُّقه بموضوع الباب، وهذا من أخفى المواضع.

٤ – ومن عاداته: تقطيع الحديث، وذلك حيث يكون الحديث مُشتملاً على جُمْلٍ متعدِّدة، فيقطِّع الإمام البخاري الحديث ويُورد كل جملة منه في بابها المناسب. وهنا تظهر عبقرية الإمام وفقهه.

٥ – ومن عاداته: أنه إذا أوردَ الحديث عن غير واحدٍ من مشايخه، فإنَّ اللَّفظ يكون للآخر منهم.

٦ – ومن عاداته: أنه إذا تحول من إسنادٍ، ساق المتن على لفظ الثاني.

٧ – ومن عاداته: أنه يُكثر ذكر المتابعات.

ومتابعاته أشكلٌ من متابعات غيره من المُصنِّفين، ولا يذكر المُتابع عليه غالبًا، فلا يَعرف ذلك إلَّا من عَرَف طبقات الرواة ومشاركتهم في لقاء الشيوخ.

٨ - ومن عاداته: أنه يختار من الإسناد العوالي، وأعلالها عنده الثلاثيات<sup>(١)</sup>، وأطول ما عنده من الأسانيد، الإسناد التساعي، وله حديث واحد في (٧١٣٥).

٩ - ومن عاداته: أنه يختار من الأسانيد ما هو موصوفٌ بأصح الأسانيد، مثل:

مالك، عن نافع، عن ابن عمر.

والنخعي، عن علقمة، عن ابن مسعود.

(١) وقد أفرَدَ هذه الثلاثيات وشرحها كثيرٌ من أهل العلم، وهي تدور على أسانيد خمسة:

١ - أكثرها: المكي بن إبراهيم، عن يزيد بن أبي عبيد، عن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه.

وأحاديثه في (١٠٩، ٤٩٧، ٥٠٢، ٥٦١، ٢٠٠٧، ٢٢٨٩، ٢٩٦٠، ٣٠٤١، ٤٢٠٦، ٥٤٩٧، ٦٨٩١).

٢ - أبو عاصم الضحاك بن مخلد، عن يزيد بن أبي عبيد، عن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه.

وأحاديثه في (١٩٢٤، ٢٢٩٥، ٢٤٧٧، ٤٢٧٢، ٥٥٦٩، ٧٢٠٨).

٣ - محمد بن عبد الله الأنصاري، عن حميد الطويل، عن أنس رضي الله عنه. وأحاديثه في (٢٧٠٣، ٤٤٩٩، ٦٨٩٤).

٤ - خلاد بن يحيى، عن عيسى بن طهمان، عن أنس رضي الله عنه. وله حديث واحد في (٧٤٢١).

٥ - عصام بن خالد، عن حريز بن عثمان، عن عبد الله بن بسر رضي الله عنه. وله حديث واحد في (٣٥٤٦).

وعبد الرحمن بن القاسم، عن أبيه، عن عائشة.

١٠ - ومن عاداته: أنه لا يُفَرِّق بين التَّحْدِيث والإِخْبَار، والإِنْبَاء والسَّماع.

وقد عقد الإمام البخاري رَحِمَهُ اللهُ بَابًا في «الصَّحِيح» في كتاب العلم قال فيه: بَابُ قول المَحْدِّث: «حدثنا» أو «أخبرنا» أو «أنبأنا».

في حين أنَّ الإمام مسلمًا يذهب إلى التَّفْرِيق بينها في «صحيحه».

١١ - ومن عاداته: أنه ينقل الحديث من صحائف التَّابِعِينَ عن الصحابة.

فمسلك الإمام البخاري رَحِمَهُ اللهُ في مثل ذلك أن يذكر الحديث الأول من الصحيفة، ثم يذكر ما يريد ذكره في الباب.

١٢ - ومن عاداته: أنه يُتَرْجِمُ لشيءٍ ثم يذكر فيه حديثًا كما سمعه من شيخه جملة؛ لتضمُّنه موضع الدَّلالة المطلوبة منه وإن لم يكن باقيه مقصودًا.

١٣ - ومن عاداته: إيراد المُعَلِّقات، وله في إيرادها أغراضٌ ومقاصدٌ، كالاستشهاد والتَّقوية، أو بيان اختلاف، وغير ذلك.

وقد يُخْلِى كثيرًا من الأبواب عن الحديث المُسَنَّد، ويكتفي بالمعلَّق لِنُكْتة يراها، وفائدة بديعة استنبطها بفهمه الثاقب.

• ثانيًا: عادات الإمام البخاري رحمته الله المتعلقة بالفقه في تراجمه:

معلوم أنَّ الإمام البخاري رحمته الله قد عمَدَ مع تخريج الأحاديث الصَّحاح إلى استنباط الفوائد الفقهية منها، ولقد أودع في تراجم أبواب «صحيحه» سرَّ الاستنباط، وفرَّق فيها علمًا كثيرًا، حتَّى قال كثيرٌ من أهل العلم والفضل: «فقه البخاري في تراجمه».

ومن أهم عاداته في فقه التراجم:

١ - أنه يُؤثر الخفيَّ على الجليِّ، ومن هنا يُشكِّل على الكثير وجهه مناسبة الحديث للباب، ويزول هذا الإشكال عند إمعان النَّظر والتأمُّل وإعمال الفكر.

٢ - ومن عاداته: أنه يعقد الترجمة، ثم يذكر فيها آيةً، ثم يذكر فيها حديثًا مرفوعًا متصلًا، ثم يذكر فيها أثرًا عن صحابيٍّ، أو فتوى تابعي. وهذا لازم للمُجتهد، ولكنه مع ذلك لا يتعرض لطريق الاستدلال، بل يترك ذلك لتدبُّر أهل العلم.

٣ - ومن عاداته: أنه يعقد الباب ثم يذكر حديثًا معلقًا أو أثرًا، وذلك لكونه لم يجد حديثًا مُسنَدًا على شرطه، أو لإرشاد الطالب إلى تتبُّع الحديث<sup>(١)</sup>.

٤ - ومن عاداته: أنه يعقد الترجمة بالآية، ويكتفي بها على ذلك، فكأنَّه يشير إلى أنَّ هذه الترجمة دعوى دليلها معها.

(١) أو للعودة إلى تبييضه وتحريره.

٥ - ومن عاداته: أنه يعقد الباب بلا ترجمة، فأبدى الشُّراح ثَمَّةَ احتمالات؛ أحسنها: أنه كالفصل من الباب السابق، ويُنظر ذلك في طَيَّات الشُّروح.

٦ - ومن عاداته: أنه لا يُعيد الترجمة في «صحيحه» إلا إذا كانت الترجمة ذات شقَّين، وقد يكرّر الترجمة إذا كان في الكلمة اختلاف في التفسير، كقوله: «باب لا هامة»، فإنه كرّره في الطب في موضعين للاختلاف في تفسير «هامة».

قال الحافظ ابن حجر: كذا للجميع، ثم ترجم بعد سبعة أبواب «باب لا هامة» قال: وهذا من نوادر ما اتَّفَق له أن يُترجم للحديثين في موضعين بلفظ واحد.

ثم قال: ثم ظهر لي أنه أشار بتكرار هذه الترجمة إلى الخلاف في تفسير الهامة<sup>(١)</sup>.

٧ - ومن عاداته: أنه يُبَوِّب بلفظ إحدى الروايات ثم يُورد الحديث بلفظ آخر.

٨ - ومن عاداته: أنه يترجم بلفظ حديث ليس على شرطه، أو بلفظ يومي إلى معناه ثم يُورد في الباب حديثاً شاهداً له يُؤدِّي معناه بأمر ظاهرٍ أو خفيٍّ.

مثال: «باب الأمراء من قريش»؛ وهذا لفظ حديث ليس على شرطه، ثم أورد حديث (٧١٤٠): «لا يزال هذا الأمر في قريش» يُؤدِّي معناه.

(١) «فتح الباري» (١٠/٢١٥، ٢٤١).



٩ - ومن عاداته: أنه كثيراً ما يُترجم بلفظ الاستفهام.

وهذا حيث لا يتَّجه به الجزم بأحد الاحتمالين، ويُشير إلى أنَّ للناظر مجالاً وتعارُضاً.

١٠ - ومن عاداته: أنه يترجم لأمرٍ ظاهره قليل الفائدة، ولكنه إذا تحققه المتأمل استفاد.

١١ - ومن عاداته: أنه يترجم بمسألة اختلفت فيها الأحاديث، فيأتي بتلك الأحاديث على اختلافها لِيُقَرِّبها إلى الفقيه من بعده.

١٢ - ومن عاداته: أنه إذا تعارضت عنده الأدلة، وعنده وجهُ التَّطبيق بينهما بحمل كلٍّ واحدٍ على مَحْمَلٍ صحيح، فيترجم بذلك المَحْمَلِ إشارة إلى وجه التَّطبيق.

١٣ - ومن عاداته: أنه يستدل بجواز الأمر بعموم الألفاظ.

١٤ - ومن عاداته: أنه يستنبط المسائل باصطلاحات الأصوليين كدلالة النصّ، وعبرة النصّ، وإشارة النصّ، واقتضاء النصّ، وعموم النصّ، وأحياناً يستنبط بحمل النّظير على النّظير، وبقياس العلة، بقياس الدّلالة.

١٥ - ومن عاداته: أنه كثيراً ما يأتي بشواهد الحديث من الآيات، وبشواهد الآيات من الأحاديث، وهذا لا يدرك إلّا بفهم ثاقب، وقلب حاضر.

١٦ - ومن عاداته: أنه يترجم بلفظ فيه احتمال أكثر من معنى واحد، فيعيّن أحد الاحتمالين بالحديث، وقد يكون الإجمال في

الحديث، والتعيين في الترجمة، فكأنه يشير إلى أنَّ في الترجمة تأويل الحديث.

١٧ - ومن عاداته: أنه إذا أُورِدَ في الحديث لفظٌ من ألفاظ القرآن الكريم يفسره للإفادة، وله حرص شديد على ذلك<sup>(١)</sup>.

١٨ - ومن عاداته: أنه يُراعي في إيراد كلِّ كتاب من كتب هذا «الجامع» مناسبتة بالكتاب الذي قبله، كما يراعي ذلك في الأبواب، وهذا ظاهر لمن أَمَعَنَ النَّظَرَ.

وقد عقد الحافظ رحمته الله فصلاً حكى فيه كلام شيخه شيخ الإسلام أبي حفص البُلْقيني في مناسبة ترتيب الكتاب<sup>(٢)</sup>.

فهذه أهم ما ذكره الشُّرَّاح من عادات البخاري رحمته الله في تصنيفه، فهي إشارات ومن تأمل وتلمَّح وأَمَعَنَ النَّظَرَ ظَفَرَ، والله الموفق.

### \* سادساً: شرط البخاري في «الصَّحِيح»:

قال ابن طاهر المقدسي: اعلم أنَّ البُخاري ومسلماً ومن ذكر بعدهم - أي: باقي الأئمة الستة - لم يُنْقَلْ عن واحدٍ منهم أنه قال: شرطتُ أن أخرج في كتابي ما يكون على الشرط الفلاني، وإنَّما يُعرَف ذلك مِن سَبَرِ كتبهم، فيُعلَم بذلك شرط كلِّ رجلٍ منهم<sup>(٣)</sup>.

(١) وغالب ما ينقله من: «مجاز القرآن» لأبي عبيدة مَعْمَر بن المثنى، وينقل عن غيره أيضاً من أصحاب معاني القرآن وغريبه، كالفرَّاء، وأبي عُبيد.

(٢) «هدي الساري» (٤٧٠ - ٤٧٣).

(٣) «شروط الأئمة الستة» (١٠).

لكن من المتأصل عند جمهور المُحدثين، وهو محلُّ اتفاق عند المحقِّقين: أنَّ حَدَّ الحديث الصَّحيح: ما اتصل سنده برواية العدل الضابط عن مثله إلى مُنتهاه من غير شذوذ ولا عِلَّة.

– اشتهار الراوي بطلب الحديث والعناية به: والشُّهرة تُعرف بتعدُّد الرُّواة عن الراوي الواحد.

قال الحافظ ابن حجر: الظاهر من تصرف صاحبِي «الصحيح» اعتبار ذلك، إلَّا أنهما حيث يحصل للحديث طرقٌ كثيرة يستغنون بذلك عن اعتبار ذلك، والله أعلم<sup>(١)</sup>.

– اعتبار حال الشيخ في الرُّواة عنه: قال الحافظ ابن حجر مُلخِّصًا كلام الحافظ أبي بكر الحازمي<sup>(٢)</sup>: ومذهبٌ من يخرج الصحيح أن يعتبر حال الراوي العدل في مشايخه العدول، مثال ذلك: أنَّ أصحاب الزهري على خمس طبقات، ولكل طبقة منها مزية على التي تليها:

– فمن كان في الطبقة الأولى فهو الغاية في الصُّحة، وهو مَقْصَدُ البخاري، وقد جمعت هذه الطبقة بين الحفظ والإتقان، وبين طول الملازمة للزُّهري، حتَّى كان فيهم من يُزامله في السفر، ويلازمه في الحضر، مثل: مالك بن أنس، ويونس بن يزيد الأيلي، وعُقيل بن خالد الأيلي، وسفيان بن عيينة، وشعيب بن أبي حمزة.

(١) «النكت على ابن الصلاح» (١/٢٣٨).

(٢) من كتابه «شروط الأئمة الخمسة» (٣٩ – ٤٧).

– والطبقة الثانية شاركت الأولى في التَّثَبُّت، إِلَّا أَنَّهَا لَمْ تُلَازِمَ الزَّهْرِي إِلَّا مَدَّةَ يَسِيرَةٍ فَلَمْ تُمَارَسْ حَدِيثُهُ، فَكَانُوا فِي الْإِتْقَانِ دُونَ الْأُولَى، مِثْلُ: الْأَوْزَاعِيِّ، وَاللَّيْثِ بْنِ سَعْدٍ، وَعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ خَالِدِ بْنِ مَسَافِرٍ، وَابْنِ أَبِي ذَنْبٍ.

– والطبقة الثالثة جماعة لَزِمُوا الزَّهْرِيَّ مِثْلَ أَهْلِ الطَّبَقَةِ الْأُولَى، غَيْرَ أَنَّهُمْ لَمْ يَسْلَمُوا مِنْ غَوَائِلِ الْجَرَحِ، فَهَمَّ بَيْنَ الرَّدِّ وَالْقَبُولِ، مِثْلُ: جَعْفَرِ بْنِ بُرْقَانَ، وَسَفْيَانَ بْنِ حُسَيْنٍ، وَإِسْحَاقَ بْنِ يَحْيَى الْكَلْبِيِّ.

إِلَى آخِرِ الطَّبَقَاتِ.

ثم قال: فأما الطبقة الأولى فهم شرط البخاري، وقد يُخْرِجُ مِنْ حَدِيثِ أَهْلِ الطَّبَقَةِ الثَّانِيَةِ مَا يَعْتَمِدُهُ مِنْ غَيْرِ اسْتِيعَابٍ، وَأَمَّا مُسْلِمٌ فَيُخْرِجُ أَحَادِيثَ الطَّبَقَتَيْنِ عَلَى سَبِيلِ الْاسْتِيعَابِ، وَيُخْرِجُ أَحَادِيثَ أَهْلِ الطَّبَقَةِ الثَّالِثَةِ عَلَى النُّحُوِّ الَّذِي يَصْنَعُهُ الْبُخَارِيُّ فِي الثَّانِيَةِ<sup>(١)</sup>.

ثم قال الحافظ ابن حجر: وأكثر ما يُخْرِجُ الْبُخَارِيُّ حَدِيثَ الطَّبَقَةِ الثَّانِيَةِ تَعْلِيْقًا، وَرَبَّمَا أَخْرَجَ الْيَسِيرَ مِنْ حَدِيثِ الطَّبَقَةِ الثَّالِثَةِ تَعْلِيْقًا أَيْضًا.

ثم قال: وهذا المِثَالُ الَّذِي ذَكَرْنَاهُ فِي حَقِّ الْمُكْثَرِينَ، فَيُقَاسُ عَلَى هَذَا أَصْحَابُ نَافِعٍ، وَأَصْحَابُ الْأَعْمَشِ، وَأَصْحَابُ قَتَادَةَ، وَغَيْرِهِمْ، فَأَمَّا غَيْرُ الْمُكْثَرِينَ فَإِنَّمَا اعْتَمَدَ الشَّيْخَانُ فِي تَخْرِيجِ أَحَادِيثِهِمْ عَلَى الثَّقَةِ وَالْعَدَالَةِ وَقَلَّةِ الْخَطَأِ، لَكِنْ مِنْهُمْ مَنْ قَوِيَ الْاعْتِمَادُ عَلَيْهِ

(١) «هدي الساري» (٩، ١٠) بتصرف.

فأخرج ما تفرّد به كيحيى بن سعيد الأنصاري، ومنهم من لم يقو الاعتماد عليه فأخرج له ما شاركه فيه غيره وهو الأكثر<sup>(١)</sup>.

- ثبوت اللقاء: اعلم أن الإمام البخاري رحمه الله لم يُصرّح بهذا الشرط ولا بغيره في «صحيحه»، وإنّما استنبطه العلماء من خلال استقراء عمله في «الصحيح» وإيراده للمتابعات لجُملة من الأحاديث التي في أسانيدِها عنعنة، ولَحَظُوا تنبيهه على كون الراوي سمع أو لم يسمع ممن روى عنه في كثير من تراجم كتابه «التاريخ الكبير»، كما فهم بعضهم من ردّ الإمام مسلم رحمه الله على من يشترط هذا الشرط في مقدمة «صحيحه» أنه يعني بذلك البخاريّ وابنَ المديني، فقد قال النووي في شرحه للمقدّمة في (باب صحة الاحتجاج بالحديث المُعْنَن): واحتجّ مسلم رحمه الله بكلامٍ مختصره: أَنَّ الْمُعْنَنَ عند أهل العلم محمولٌ على الاتصال إذا ثبت التلاقي مع احتمال الإرسال، وكذا إذا أمكن التلاقي، وهذا الذي صار إليه مسلم قد أنكره المُحَقِّقُونَ وقالوا: هذا الذي صار إليه ضعيفٌ، والذي ردّه هو المختار الصحيح، الذي عليه أئمة هذا الفنّ عليّ بن المديني والبخاري وغيرهما<sup>(٢)</sup>.

(١) «هدي الساري» (١٠).

(٢) «شرح النووي لمقدمة مسلم» (١/١٢٧).

وراجع كتاب «السّنن الأبين والمورد الأمعن في المحاكمة بين الإمامين في السند المُعْنَن» لابن رُشيد الفهري السبّتي.

واعتبار البخاريّ ثبوت اللقاء والسماع شرطاً لصحة الحديث في «صحيحه»، فهذا محلّ اتفاق بين المُحقّقين من أهل هذه الصنعة، وأما اعتبار هذا الشرط في خارج «الصحيح» فهو محلّ خلاف بينهم، وهو بحاجة إلى بحث واستقراء ليس هذا مكانه.

### \* سابعاً: تراجم البخاري:

إنّ إحسان تبويب أيّ كتاب وترتيب كُتبه وأبوابه والدقّة في ذلك مُهمٌّ جدّاً في إظهار القيمة العلميّة لذلك الكتاب، لأنّ حُسن اختيار تراجم الأبواب وحُسن ترتيبها يدلُّ على صفاء ذهن المؤلّف وسعة اطلاعه وفقّهِه، كيف لا، والإمام البخاري رَحِمَهُ اللهُ من مجتهدي أئمة الحديث وأعلامه، وقد بثّ فقّهُه وأراءه في تراجم أبوابه، حتّى تميّز بذلك، وعُرف صنيعُه بين العلماء الحُذاق، ولم يَقْدِرُوا على ركوب الصّعب الذي ركبه، فدلتْ تيّك التراجم على سعة أفقّه، وعميق فقّهُه، حتّى قال غير واحدٍ من العلماء الكبار: فقّه البخاري في تراجمه.

وقال ابن المنير رَحِمَهُ اللهُ يصف صنيع الإمام البخاري رَحِمَهُ اللهُ في أبوابه: كان البخاريّ لطيف الأخذ بفوائد الحديث، دقيق الفكرة فيها، وكان ربّما عَرَضَ له الاستدلال على الترجمة بالحديث الواضح المطابق، فعَدَلَ إلى الأخذ من الإشارة والرمز به، وكان على الصّواب في ذلك؛ لأنّ الحديث البين يستوي الناس في الأخذ منه، وإنّما يتفاوتون في الاستنباط من الإشارات الخفيّة، ولم يكن مقصود البخاريّ كغيره، يملأ الصّحف بما سبق إليه، وبما يُعتمد في مثله على الأفهام العامة، وإنّما كان مقصده فائدة زائدة<sup>(١)</sup>.

(١) «المتواري على أبواب البخاري» (٨٧).

ومن هنا حظيت تراجم البخاري بمصنّفات مُستقلّة لبيان منهجه فيها وفقّهه، فضلاً عمّا حظيت به من عناية في أثناء شُروح «الصّحيح»، فمن ذلك ما قاله الحافظ ابن حجر رحمته الله:  
 «وقد جمع العلامة ناصر الدّين أحمد بن المنير خطيب الإسكندرية من ذلك أربع مئة ترجمة وتكلّم عليها<sup>(١)</sup>.  
 ولخصّها بدر الدين بن جماعة، وزاد عليها أشياء<sup>(٢)</sup>.

وتكلّم على ذلك أيضاً بعض المغاربة، وهو محمد بن منصور بن جماعة السّجلّماسي، ولم يُكثِر من ذلك، بل جملة ما في كتابه نحو مئة ترجمة، وسَمّاه: «فكُّ أغراض البخاري المُبهِمة في الجمع بين الحديث والترجمة».

وتكلّم أيضاً على ذلك: زين الدّين علي بن المُنير أخو العلامة ناصر الدّين في شرحه عن البخاري، وأمعن في ذلك.

ووقفتُ على كتاب اسمه: «ترجمان التراجم» لأبي عبد الله بن رُشيد السّبّتي يشتمل على هذا المقصد، وصل فيه إلى كتاب الصيام، ولو تمّ لكان في غاية الإفادة وإنه لكثير الفائدة مع نقصه. والله تعالى الموفق<sup>(٣)</sup>.

(١) وهو قيد التحقيق، بحمد الله تعالى.

(٢) واسم كتابه: «مناسبات تراجم البخاري»، مطبوع.

(٣) «هدي الساري» (١٤).

وقد تتبّع هذه المواضع وجمعها وقدم لها بدراسة، في رسالة أخونا الأستاذ الدكتور محمد سرور زين العابدين رستم، وفقه الله. ط: دار الكتب العلمية.

وتنقسم تراجم الإمام البخاري رحمته الله إلى ثلاثة أنواع:

• النوع الأول: التراجم الظاهرة الواضحة:

وهي الترجمة المطابقة لمضمون الباب بصورة واضحة، ولا تحتاج لإعمال الفكر.

• النوع الثاني: التراجم الخفية:

التي تحتاج إلى إعمال نظرٍ لاستنباط مطابقتها لأحاديث الباب. وفي هذا النوع من التراجم يظهر فقه الإمام البخاري رحمته الله ودقّة استنباطه ودقيق نظره، وبديع فنونه، وعمق عَوْصه في دقائق المسائل، فهو في استنباط الأحكام والفوائد يسلك مَسْلَكَ الفقهاء من تأويل النَّصِّ وتفسير المُشْكِل، ويسلك في ذلك طريق الإشارة، فيظن بعض القُرَّاء عدمَ الترابط بين الترجمة وحديث الباب، ولكن إذا تأمل وجد ارتباطًا قويًّا.

• النوع الثالث: التراجم المُرسَلة:

وهي التي اقتصر فيها البخاري بكلمة (باب) ولم يذكر لها

= ومن الكتب أيضًا في ذات الموضوع:

- «شرح تراجم أبواب البخاري» للشيخ وليّ الدّين الدهلوي، مطبوع.

- «الأبواب والتراجم للبخاري» للكاندهلوي.

- «لُبُّ الباب في التراجم والأبواب» لوالد شيخنا العلامة عبد الحق الهاشمي، محدّث الحرمين رحمته الله.

إلى غير ذلك من الكتب والدراسات حول التراجم والأبواب.



عنوانًا، وهذا النوع غالبًا ما يكون مضمون الباب مُتَّصِلًا بالباب السَّابِق مُكَمَّلًا له، فين فصل لفائدة زائدة في مضمونه<sup>(١)</sup>.  
أو أنَّ البخاري رَحِمَهُ اللهُ بَيَّضَ له ليعود بعدُ لتحريره وترجمته بما يناسب مكانه.

هذه نظرة عاجلة حول تراجمه، وحقُّ هذه الموضوعات أن تُفَرَّد في أبحاثٍ علمية مُتَخَصِّصة استقرائية؛ لتخرج بالنتائج المستوعبة الدَّقيقة، وليس هذا مكانها، والله الموفِّق.

### \* ثامناً: المُعلِّقات:

المراد بالتعليق: ما حُذف من مُبتدأ إسناده واحد فأكثر ولو إلى آخر الإسناد.

والتَّعليق في «صحيح البخاري»: أن يحذف من أول الإسناد رجلاً فصاعداً، مُعَبَّرًا بصيغة لا تقتضي التَّصريح بالسَّماع، مثل: قال، وَرَوَى، وزاد، وَذَكَرَ؛ أو يُروى، ويُذكر، ويقال؛ وما أشبه ذلك من صيغ الجزم والتَّمريض<sup>(٢)</sup>.

وقد أكثر الإمام البخاري رَحِمَهُ اللهُ من إيراد التَّعليقات في تراجم الكتاب، فقد أحصاها الحافظ ابن حجر فبلغت ألفاً وثلاث مئة وواحدًا وأربعين، وأكثرها مُخرَج في أصول مُتونه، والتي لم يُخرَجها مئة وستون حديثًا، وَصَلَهَا الحافظ ابنُ حجر في تأليف مستقلٍّ سَمَّاه

(١) ينظر: «الإمام الترمذي والموازنة بين جامعهِ وبين الصحيح» د. نور الدِّين عتر (٢٧٢ - ٢٩٨).

(٢) «تغليق التعليق» لابن حجر (٧/٢ - ٨).

«التوفيق في وصل التعليق»، وفيه من المتابعات والتنبیه على اختلاف الروايات ثلاث مئة وواحد وأربعون حديثاً<sup>(١)</sup>.

ولقد تنوّعت أغراضُ الإمام البخاري رحمته الله من إيراد التعليلات؛ فتارة يُوردُ المعلقَ لبيان معنى في ترجمة الباب، وتارة لبيان سماع لراوٍ تُكلم في سماعه من شيخه، وغير ذلك من الفوائد الإسنادية، وتارة لاستحسانه سياق المتن من جهة الطريق الذي يعلّقه، وتارة أخرى لبيان الخلاف في الحكم الشرعي المذكور في الترجمة، وتارة يُورد الحديث مُعلقاً تجنباً للتكرار؛ إذ من قاعدته أنه لا يُكرّر إلا لفائدة، فإذا اشتمل المتن على أحكام واحتاج البخاريُّ إلى تكراره، فإنّه يتصرّف بالإسناد بالاختصار خشية التطويل.

\* وتنقسم المُعلّقات إلى قسمين:

• أحدهما:

ما وصله البخاريُّ نفسه في موضع آخر من كتابه بالسند نفسه أو من طريق آخر بمعنى المتن المعلق، وهذا هو الأكثر الغالب من هذه المُعلّقات، وإنّما علّقها البخاريُّ للأسباب التي ذكرناها آنفاً.

• والقسم الآخر:

ما لم يصله البخاري في «الصحيح» ولم يُوجد في الكتاب إلا مُعلقاً، وهذا القسم ربّما ذكره البخاري بصيغة الجزم، وربما ذكره بصيغة التّمريض. ولا يخلو هذا القسم أن يقع فيه ما هو صحيح وما هو دونه على تفصيلٍ في ذلك ليس هذا مكانه، وإنّما في أثناء

(١) «هدي الساري» (٤٦٩).

الأبحاث العلميّة القائمة على الاستقراء، وفي إيراد كل نوع أهداف وفوائد لا تخرج عن الأغراض التي ذكرناها آنفاً، والله تعالى أعلم.

### \* تاسعاً: رواية الصحيح:

قال تلميذ البخاريّ محمد بن يوسف الفَرَبَرِيُّ: سمع كتاب «الصحيح» لمحمد بن إسماعيل تسعون ألف رجل، فما بقي أحد يُروى عنه غيري<sup>(١)</sup>.

وردّ ذلك الذهبيّ في «السّير»<sup>(٢)</sup> وقال: قد رواه بعد الفَرَبَرِي أَبُو طَلْحَةَ مَنْصُورُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْبَزْدَوِيُّ النَّسْفِي، وبقي إلى سنة تسع وعشرين وثلاث مئة.

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ: «أطلق ذلك بناءً على ما في علمه، وقد تأخّر بعده بتسع سنين أبو طلحة منصور بن محمد بن علي بن قَرِينَةَ الْبَزْدَوِي، وكانت وفاته سنة تسع وعشرين وثلاث مئة، ذكر ذلك من كونه روى «الجامع الصحيح» عن البخاري، أبو نصر ابن ماكولا<sup>(٣)</sup>، وغيره. ومن رُواة «الجامع» أيضاً ممن اتصلت لنا روايته بالإجازة إبراهيم بن مَعْقِل النَّسْفِي، وفاته منه قطعة من آخره رواها بالإجازة. وكذلك حمّاد بن شاکر النَّسَوِي<sup>(٤)</sup>، والرواية التي اتصلت

(١) «تاريخ بغداد» للخطيب (٣٢٨/٢).

(٢) «سير أعلام النبلاء» (١٢/١٥).

(٣) انظر: «الإكمال» (٢٤٣/٧).

(٤) كذا وقع عنده وعند القسطلاني في «إرشاد الساري» (٣٩/١)، وهذه النسبة إلى بلد نسّا، ولم ينسبه أحدٌ ممن ترجم له إليها، وإنما هو من نَسَف =

بالسماع في هذه الأعصار وما قبلها هي رواية محمد بن يوسف بن مطر بن صالح بن بشر الفِرَبْرِي<sup>(١)</sup>.

ويتلخص من هذا الكلام أنَّ الذي سمع «صحيح البخاري» ورواه عنه جمعٌ غفير، واشتهر منهم أربعة: الفِرَبْرِي، والْبَزْدَوِي، وإبراهيم بن مَعْقِل وحمَّاد بن شاکر النَّسْفِيَّان، وأشهر هؤلاء الأربعة رواية محمد بن يوسف الفِرَبْرِي، وإليك ترجمة موجزة عنهم:

١ - الإمام المحدث الصدوق: حمَّاد بن شاکر بن سَوِيَّة، أبو محمد النَّسْفِي. تُوفِّي سنة إحدى عشرة وثلاث مئة<sup>(٢)</sup>.

٢ - الإمام الحافظ الفقيه القاضي: إبراهيم بن مَعْقِل بن الحجاج، أبو إسحاق النَّسْفِي، قاضي مدينة نَسَف. تُوفِّي سنة خمس وتسعين ومئتين<sup>(٣)</sup>.

٣ - الإمام المحدث، الثقة العالم: أبو عبد الله محمد بن يوسف بن مطر الفِرَبْرِي، راوي «الجامع الصحيح» عن أبي عبد الله البخاري سمعه منه بفِرَبْرَ مرتين. توفي سنة عشرين وثلاث مئة، وقد أشرف على التسعين<sup>(٤)</sup>.

= بالفاء في آخرها، ويغلب على الظن أن الحافظ قد وهم في نسبته إلى نَسَا، وتابعه على هذا الوهم القسطلاني، والله تعالى أعلم.

(١) «هدي الساري» (٤٩١).

(٢) «سير أعلام النبلاء» للذهبي (٥/١٥)، وفيه بقية مصادر ترجمته.

(٣) «سير أعلام النبلاء» (٤٩٢/١٣)، وفيه بقية مصادر ترجمته.

(٤) «سير أعلام النبلاء» (١٠/١٥)، وفيه بقية مصادر ترجمته.

واعلم أنَّ العلماء وأصحاب الحديث في الأزمنة المتأخرة  
توجَّهت عنايتهم إلى رواية «الصحيح» من طريق الفِرْبَرِي، فرواه عنه  
خلائق، وكثرت أسانيدهم إليها، واعتنوا بها سماعًا وإسماعًا.

قال ابن رُشيد الفِهْري السَّبْتي رَحِمَهُ اللهُ: والطريق المعروف اليوم إلى  
البخاري في مشارق الأرض ومغاربها باتِّصال السَّماع طريق الفِرْبَرِي،  
وعلى روايته اعتمد الناسُ لكمالها وقربها وشهرة رجالها.

وكان عنده أصل البخاري، ومنه نقل أصحاب الفِرْبَرِي، فكان  
ذلك حجةً له عاضدة، وبصدقه شاهدة.

ثم تواتر الكتاب من الفِرْبَرِي بل زاد. فتطوَّق به المسلمون، وانعقد  
الإجماعُ عليه، فلزمت الحُجَّة، ووضَّحت المَحَجَّة، والحمد لله<sup>(١)</sup>.

٤ - الشيخ الكبير المُسْنِد أبو طلحة منصور بن محمد بن علي بن  
قَرِينة بن سَوِيَّة البَزْدِي، ويقال: البَزْدَوِي، دِهْقان قرية بَزْدَة. توفي سنة  
تسع وعشرين وثلاث مئة<sup>(٢)</sup>.



= وفِرْبَر، بكسر الفاء وفتحها: جنوب غرب بُخَارَى، على نهر جيحون،  
فيما يُسمَّى اليوم بأوزبكستان إحدى الجمهوريات الإسلامية في آسيا  
الوسطى.

(١) ينظر: «إفادة النصيح في التعريف بالجامع الصحيح» (١٨).

## ترجمة موجزة للعلامة ناصر الدين الطبلاوي رحمته الله <sup>(١)</sup>

\* اسمه ونسبه:

هو الشيخ الإمام العلامة، خاتمة المحققين في عصره؛ محمد ناصر الدين بن سالم بن علي الطبلاوي، الشافعي الأزهري رحمته الله، أحد العلماء الأفراد في مصر.

والطبلاوي: نسبة إلى طبلية.

يقول الزبيدي رحمته الله: «وطبلية، مُحَرَّكَةٌ، والعامَّة تقول: طبلُوهة <sup>(٢)</sup>». قرية من أعمال مصر، من المُنَوِّفَةِ، وقد دخلتها، ومنها الإمام ناصر الدين، أبو النصر، مَنْصُور الطبلاوي الشافعي <sup>(٣)</sup>، أحد المُبرِّزين في

(١) «سير أعلام النبلاء» (٢٧٩/١٥)، وفيه بقية مصادر ترجمته.

(٢) تتبعت فيها سيرته رحمته الله وأثبتتها هنا بما لا تجده بهذا الجمع والتفصيل عن هذا العالم الأصيل، في غير هذا المكان؛ فالحمد لله على توفيقه.

(٣) واليوم تكتب هكذا: «طبلوها»: وهي إحدى قرى مركز تلا، التابع لمحافظة المنوفية شمالاً في جمهورية مصر.

(٤) أبو النصر: هو الشيخ العالم المحقق، خاتمة الفقهاء، ورحلة الطلاب، برع في جُلِّ العلوم، لاسيما العربية والبلاغة، وهو سبط المؤلف رحمته الله، وشهر بالسبط الطبلاوي، تُوفِّي رحمته الله سنة (١٠١٤هـ). انظر ترجمته في: =

المَعْقُولِ والمَنْقُولِ»<sup>(١)</sup>.

### \* نشأته العلميّة:

تلقى العلمَ عن أجلةٍ من مشايخ عصره، وانتهت إليه الرِّياسةُ في سائر العلوم بعد موتِ أقرانه.

يقولُ الشَّعْرَانِيُّ رَحِمَهُ اللهُ (٩٧٣هـ) وهو ممَّن صَحَّبَ الشَّيْخَ الطَّبْلَاوِيَّ رَحِمَهُ اللهُ: انْتَهَتْ إِلَيْهِ الرِّئَاسَةُ فِي سَائِرِ الْعُلُومِ بَعْدَ مَوْتِ أَقْرَانِهِ، وَلَيْسَ فِي مِصْرَ الْآنَ أَحَدٌ يُقَرِّئُ سَائِرَ الْعُلُومِ الشَّرْعِيَّةِ وَآلَاتِهَا إِلَّا هُوَ فَقَطْ، وَأَمَّا غَيْرُهُ فَيُدْرِّسُهَا فِي بَعْضِ دُونَ بَعْضٍ، وَقَدْ عَدُّوا ذَلِكَ فِي جُمْلَةِ كِرَامَاتِهِ، فَإِنَّهُ مِنَ الْمُتَبَحِّرِينَ فِي التَّفْسِيرِ، وَالْقُرْآنِ، وَالْفَقْهِ، وَالْحَدِيثِ، وَالْأُصُولِ، وَالْمَعَانِي وَالْبَيَانِ، وَالْحِسَابِ، وَالْمَنْطِقِ، وَعِلْمِ الْكَلَامِ، وَالتَّصَوُّفِ، وَلَهُ الْبَاغُ الطَّوِيلُ فِي كُلِّ هَذِهِ الْعُلُومِ، وَمَا رَأَيْتُ فِي مِصْرَ أَحْفَظَ لِمَنْقُولِ هَذِهِ الْعُلُومِ مِنْهُ، فَكَأَنَّهَا كُلَّهَا نَضَبَ عَيْنِهِ.

= «خلاصة الأثر» للمُحَبِّي (٤/٤٢٨)، ووهَمَ مِنْ عَدَّةِ ابْنِهِ كَمَا فِي «إِمْتِنَاعِ الْفَضْلَاءِ بِتَرَاجِمِ الْقُرَاءِ» لِلْبِرْمَاوِيِّ (٤/١٥٨).

(١) انظر: «تاج العروس» للزَّيْبِيدِي (٢٩/٣٦٢)، و«مختصر فتح رب الأرباب بما أهمل في لب اللباب من واجب الأنساب» لعباس المدني (٢/٣٧١).  
إِلَّا أَنَّ السَّخَاوِيَّ رَحِمَهُ اللهُ فِي «الضوء اللامع» (١١/٢١٢) جَعَلَ نِسْبَةَ «الطَّبْلَاوِيَّ» إِلَى «طَبْلَاوَةَ»، قَرْيَةً بِالْوَجْهِ الْبَحْرِيِّ، وَعَنْهُ نَقْلُ الزَّرْكَلِيِّ فِي «الأعلام» (٦/١٣٤).

وَأَصْلُ النَّقْلِ عَنْ شَيْخِهِ الْحَافِظِ ابْنِ حَجَرٍ الْعَسْقَلَانِيِّ فِي «إِنْبَاءِ الْغَمْرِ» (٢/١٧٢).

وَلِيَّ تَدْرِيسِ الْخَشَائِيَّةِ<sup>(١)</sup>، وَهِيَ مِنْ أَجْلِ تَدْرِيسٍ فِي مِصْرَ،

(١) هِيَ إِحْدَى مَدَارِسِ الشَّافِعِيَّةِ فِي جَامِعِ عَمْرُو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي الْقَاهِرَةِ، عُرِفَتْ أَوَّلًا بِـ: «زَاوِيَةِ الشَّافِعِيِّ» ثُمَّ بِـ «الزَّوَايَةِ الْخَشَائِيَّةِ»، وَمِنْ شَرْطِهَا أَنْ يُسَنَدَ التَّدْرِيسُ فِيهَا لِأَعْلَمِ أَهْلِ زَمَانِهِ مِنَ الشَّافِعِيَّةِ، وَمِمَّنْ دَرَّسَ فِيهَا مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ الْكِبَارِ غَيْرِ الْمُصَنِّفِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

١ - مَجْدُ الدِّينِ ابْنُ الْخَشَابِ، دَرَّسَ فِيهَا دَهْرًا طَوِيلًا؛ وَالْخَشَائِيَّةُ نَسَبَةٌ إِلَيْهِ بَعْدَ «زَاوِيَةِ الشَّافِعِيِّ». انْظُرْ: «طَبَقَاتُ الشَّافِعِيَّةِ الْكُبْرَى» لِلْسَبْكِيِّ (٣٧٩/١٠)، وَ«الدَّرَرُ الْكَامِنَةُ» لِابْنِ حَجَرٍ (٢٠٧/٣).

٢ - قَاضِي الْقَضَاةِ عَزَّ الدِّينُ ابْنُ جَمَاعَةَ. انْظُرْ: «حُسْنُ الْمَحَاضِرَةِ فِي تَارِيخِ مِصْرَ وَالْقَاهِرَةِ» لِلْسَيُوطِيِّ (٣٥٩/١).

٣ - السَّرَاجُ الْبُلْقِينِيُّ. انْظُرْ: «لِحَظِ الْأَلْحَازِ بِذِيلِ طَبَقَاتِ الْحِفَازِ» لِابْنِ فَهْدٍ (١٣٦).

٤ - الْعَلَمُ الْبُلْقِينِيُّ. انْظُرْ: «حُسْنُ الْمَحَاضِرَةِ» لِلْسَيُوطِيِّ (٤٤٤/١).

٥ - الْجَلَالُ الْبُلْقِينِيُّ. انْظُرْ: «الضَّوْءُ الْلَامِعُ» لِلْسَخَاوِيِّ (١٠٩/٤).

٦ - ابْنُ عَقِيلٍ = شَارِحُ أَلْفِيَةِ ابْنِ مَالِكٍ فِي النُّحُو. انْظُرْ: «رَفْعُ الْإِصْرِ عَنْ قَضَاةِ مِصْرَ» لِابْنِ حَجَرٍ (١٩٠/١).

٧ - الشَّهَابُ الْعَبَادِيُّ. انْظُرْ: «الضَّوْءُ الْلَامِعُ» لِلْسَخَاوِيِّ (١٧/٢).

٨ - الشَّمْسُ ابْنُ عُرُوسٍ. انْظُرْ: «شَذَرَاتُ الذَّهَبِ» لِابْنِ الْعِمَادِ (٣٩٩/١٠).

٩ - الشَّهَابُ ابْنُ عَبْدِ الْحَقِّ السِّنْبَاطِيِّ. انْظُرْ: «شَذَرَاتُ الذَّهَبِ» لِابْنِ الْعِمَادِ (٤٠٢/١٠).

١٠ - الشَّهَابُ ابْنُ ظَهِيرِ الْأَنْصَارِيِّ. انْظُرْ: «السُّلُوكُ فِي مَعْرِفَةِ الْمُلُوكِ» لِلْمَقْرِيزِيِّ (٩٤/٤).

١١ - الْبَدْرُ أَبُو الْمَعَالِيِّ ابْنُ تَمَامٍ الْأَنْصَارِيُّ السَّبْكِيُّ. انْظُرْ: «طَبَقَاتُ الشَّافِعِيَّةِ» لِابْنِ قَاضِي شَهْبَةِ (١٨١/٣).



يَجْتَمِعُ فِي دَرْسِهِ غَالِبُ طَلَبَةِ الْعِلْمِ فِي مِصْرَ، وَشَهِدَ لَهُ الْخَلَائِقُ بِأَنَّهُ أَعْلَمُ مِنْ جَمِيعِ أَقْرَانِهِ.

وَقَدْ عَاشَرْتُهُ مُدَّةَ عَشْرِينَ سَنَةً أَطَالِعُ أَنَا وَإِيَّاهُ عَلَى شَيْخِ الْإِسْلَامِ<sup>(١)</sup>، فَكُنْتُ أَطَالِعُ مِنْ طُلُوعِ الشَّمْسِ إِلَى الظُّهْرِ، وَهُوَ يُطَالِعُ مِنَ الظُّهْرِ إِلَى غُرُوبِ الشَّمْسِ، فَمَا كُنْتُ أَظُنُّ أَنَّ أَحَدًا فِي مِصْرَ أَكْثَرَ مِنْهُ جُلُوسًا، فَكُنْتُ إِذَا نَظَرْتُ إِلَى وَجْهِ الشَّيْخِ نَاصِرٍ سُرِرْتُ، وَكَانَ النَّهَارُ الطَّوِيلُ يَمْضِي كَأَنَّهُ لِحِظَةٌ مِنْ حُسْنِ أَدَبِهِ وَأَدَبِ شَيْخِهِ، وَمِنْ حِلَاوَةِ مَنْطِقِهِمَا، وَكَثْرَةِ فَوَائِدِهِمَا، لَا سِيَّما فِي عِلْمِ التَّأْلِيفِ وَالْوَضْعِ، وَضَمِّ الشَّكْلِ إِلَى شَكْلِهِ، وَتَوَطُّعِ الْأَلْفَاظِ<sup>(٢)</sup>.

فَانْظُرْ يَا طَالِبَ الْعِلْمِ - نَفْعَنِي اللَّهُ وَإِيَّاكَ - كَيْفَ حَالَ الطَّلَبِ فِي زَمَانِهِمْ، وَتَأَمَّلْ هَذَا الصَّبْرَ الْمَتِينَ فِي الطَّلَبِ، فَوَاللَّهِ مَتَى مَا تَحَقَّقَ هَذَا لَطَالِبِ عِلْمٍ حَرِيصٍ يَقِظٍ نَبِيٍّ، وَوُفَّقَ لِعَالَمٍ رَبَانِيٍّ بَاذِلٍ فَقِيهٍ؛ إِلَّا أَثْمَرَ مَعَهُ.

= ١٢ - الشمس محمد الرملي «الشافعي الصغير». انظر: «خلاصة الأثر» للمُحِبِّي (١١٧/١).

١٣ - أبو السرور الصديقي المصري، خَلَفًا لِلشَّمْسِ الرَّمْلِيِّ. انظر: «خلاصة الأثر» للمُحِبِّي (١١٧/١).

١٤ - أبو المواهب الصديقي المصري. أخو أبي السرور السابق. انظر: «خلاصة الأثر» للمُحِبِّي (١٤٧/١).

فهذه فائدة حسنة في معرفة تميز هؤلاء الأعلام في عصرهم بالعلم والمكانة العلمية الرفيعة في مذهب الشافعية.

(١) أي: الشيخ زكريا الأنصاري رَحِمَهُ اللَّهُ، وسيأتي ذِكرُهُ فِي: شيوخه.

(٢) «الطبقات الصغرى» (٧٧) بتصرف، وعنه نقله الغزي في «الكواكب

السائرة» (٣٢/٣) ووقع عنده: «الشعراوي» تحريف.

فَأَذْرِكْ نَفْسَكَ، وَفَتِّشْ عَنْ عَالِمِ حَوْلِكَ، وَالزَّمْهُ فِي الْعِلْمِ، وَتَرْقَى  
مَعَهُ بِحِلْمٍ، وَاصْدُقْ فِي ذَلِكَ اللَّهُ، وَتَذَلَّلْ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ، وَتَوَاضَعْ لِلَّهِ،  
فَسَيَرْفَعُ ذِكْرَكَ اللَّهُ.

### \* أَخْلَاقُهُ وَعِبَادَتُهُ:

وَيَقُولُ الشَّعْرَانِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: وَشَهِدَ لَهُ الْخَلَائِقُ بِأَنَّهُ أَكْثَرُهُمْ  
تَوَاضَعًا، وَأَحْسَنُهُمْ خُلُقًا، وَأَكْرَمَهُمْ نَفْسًا، لَا يَكَادُ وَاحِدٌ يَطَّلِعُ عَلَيْهَا  
لِكَثْرَةِ إِخْفَائِهِ لَهَا، وَلَا يَبِيتُ عَلَى دِينَارٍ وَلَا دِرْهَمٍ مَعَ كَثْرَةِ دَخْلِهِ تَبَعًا  
لَشَيْخِهِ زَكْرِيَا.

وَقَالَ أَيْضًا: صَحِبْتُهُ خَمْسِينَ سَنَةً، فَمَا رَأَيْتُ فِي أَقْرَانِهِ أَكْثَرَ عِبَادَةٍ  
لِلَّهِ تَعَالَى مِنْهُ، وَلَا تَكَادُ تَرَاهُ إِلَّا فِي عِبَادَةٍ؛ إِمَّا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ، وَإِمَّا  
يُصَلِّي، وَإِمَّا يُعَلِّمُ النَّاسَ الْعِلْمَ<sup>(١)</sup>.

وَمِنْ كَرِيمِ أَخْلَاقِهِ، وَطَيِّبِ نَفْسِهِ، وَجَمِيلِ تَوَاضُعِهِ، وَصِدْقِهِ فِي نَيْلِ  
الْعِلْمِ أَنَّهُ حَضَرَ دَرَسَ الشَّيْخِ شَمْسِ الدِّينِ الرَّمْلِيِّ (ت ١٠٠٤هـ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛  
الشَّهِيرُ بِالشَّافِعِيِّ الصَّغِيرِ، وَمُجَدِّدِ الْقَرْنِ الْعَاشِرِ، وَهُوَ بِمَنْزِلَةِ أَبْنَائِهِ،  
فَلَامَهُ بَعْضُ أَصْحَابِهِ، حِينَ سَأَلَهُ عَنِ الدَّاعِي لَذَلِكَ، فَقَالَ لَهُ كَلِمَةً نَافِعَةً  
صَادِقَةً: «لَا دَاعِي لَهَا، إِلَّا أَنِّي أَسْتَفِيدُ مِنْهُ مَا لَمْ يَكُنْ لِي بِهِ عِلْمٌ»<sup>(٢)</sup>.

(١) «الطبقات الصغرى» (٧٧).

(٢) انظر: «خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر» للمحبي (٣/٣٤٣)،  
و«الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي» للحجوي (٢/٤٢٠)، ولأجل  
هذا أدرجته في عداد مشايخه.

فانظر إلى هذه الروح السامية، والنفس المتواضعة العالية، في  
تحصيل العلم وأخذه، ولو كان ممن هم دونه، ولا يقدر حق العلم  
والصدق في طلبه إلا العلماء الربانيون.

فهنيئاً لأهل الحديث؛ فهم من أسعد الناس بذلك، كيف لا ومن  
فنون علم الحديث عندهم: رواية الأكابر عن الأصاغر<sup>(١)</sup>، ومن فوائد  
ذلك:

تواضع الأكابر في الأخذ عن الأصاغر.

واعتراف الأكابر بفضل الأصاغر.

وحض الأصاغر للاقتداء بالأكابر.

والعلم رزق بين الأصاغر والأكابر.

فلا يقدر على هذا التحصيل العلمي ممن هم دونه إلا أصحاب  
الهمم العلية، والنفوس الزكية؛ وذلك أن النفس عادة تأنف أن تأخذ  
عن الأقران، فكيف بمن هم أصغر منها، ولكن من هذب نفسه وربّاهَا  
على نور الوحي استقامت له، فنعم في الأخذ حيثما دارت الفائدة،  
والموفق من وفقه ربه لذلك.

وبعد ذاك، فهذا تطبيق عملي من الإمام الطبرلاوي رحمته الله لقول كثير  
من السلف، ومنهم الإمام البخاري رحمته الله يوم قال: «لا يكون المحدث  
كاملاً حتى يكتبَ عنَّ هو فوقه، وعنَّ هو مثله، وعنَّ هو دونه»،

(١) انظر هذا النوع في: «الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع» للخطيب

وقد امتثل ذلك الإمام البخاري رحمته الله في «صحيحه»؛ فرَوَى عنهم في طبقة شيوخه، وعمَّن هم في طبقة أقرانه، وعمَّن هم في عداد تلاميذه<sup>(١)</sup>.

ولقد رَوَيْنَا عن أشياخنا في آداب المعلم: أن يُحْصَلَ الفائدة ولو بالنزول.

فقد أخرج الخطيب البغدادي رحمته الله بإسناده عن أبي بكر الخلال قال: سمعت إبراهيم الحربي وذاكرُوهُ النزول في الأخذ فقال: سمعتُ أحمدَ بن حنبل يقول: وقيل له: «مالك على قدره يسمع من نظرائه»، قال: «وما عليه، يزادُ به علماً، ولم يضره»<sup>(٢)</sup> فلهذه النفوس الطيبة ما أكرمها.

يقول الشَّعْرَانِيُّ رحمته الله: وبالجُمْلَةِ؛ فأوصافه الجميلة تجلُّ عن تصنيفي وتألّيفي، كما يعرف ذلك من كشف الله تعالى عن بصيرته في هضم نفسه، حتَّى كأنَّ الله تعالى لم يجعل في باطنه شيئاً من الأمراض الباطنة، ولا من الظاهرة من الأقوال الرديئة، فإنِّي ما سمعته قطَّ يحسدُ أحداً من أقرانه، ولا يستغيبُ أحداً منهم، ولا رأيته قطَّ يتكبرُ على أحدٍ من المسلمين، بل يرى نفسه أحقرَ خلقِ الله رحمته الله، يُقبلُ يدَ الكبير ويدَ الصغير، ويطلبُ الدعاءَ منهم، وما زارني قطَّ وزرته إلا قال: ضَعْ يدك على صدري؛ لعلَّ الله يُطهره من الأدناس؛ والناسُ

(١) انظر في ذكر مراتب مشايخه: «هدي الساري مقدمة فتح الباري» لابن حجر (٤٧٩)، و«تغليق التعليق» له (٣٩١/٥).

(٢) «الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع» (٣٢٣/٢) الكتابة عن الأقران.

عنده كلُّهم صالحون، لا يكاد يشهد في أحدٍ سوءًا أبدًا<sup>(١)</sup>.  
 فله ما أحلى هذه السَّمائلُ التي طَبَعها صاحبُها على هَدي  
 الكتاب والسُّنة.

### \* شيوخه:

اجتهد الشيخ الطبلاوي رحمته الله في نيل العلم منذ صغره، وحتى  
 حصل وأخذ العلم عن عددٍ من كبار علماء عصره، كما قال هو  
 عن نفسه: «تلقيتُ العلم عن أجلةٍ من المشايخ»<sup>(٢)</sup>، ثم عدّد من  
 أشهرهم:

- ١ - قاضي القضاة، شيخ الإسلام زكريا الأنصاري رحمته الله<sup>(٣)</sup>.
- ٢ - الشيخ الفاضل الحافظ الفخر بن عثمان الدِّيمي  
 الأزهري رحمته الله<sup>(٤)</sup>.
- ٣ - الحافظ الإمام جلال الدين السيوطي رحمته الله<sup>(٥)</sup>.

(١) «الطبقات الصغرى» (٧٧).

(٢) «الكواكب السائرة» للغزي (٣٢/٢).

(٣) انظر ترجمته في: «الضوء اللامع» للسخاوي (٢٣٤/٣)، و«النور السافر  
 عن أخبار القرن العاشر» للعيدروس (١٧٥).

(٤) انظر ترجمته في: «الضوء اللامع» للسخاوي (١٤٠/٥)، و«النور السافر  
 عن أخبار القرن العاشر» للعيدروس (٨٢)، و«الكواكب السائرة» للغزي  
 (٢٦٠/١).

(٥) ترجم السيوطي لنفسه في رسالة مستقلة: «التحدث بنعمة الله» فترجم فيها =

- ٤ - الشيخ العلامة برهان الدين أبو الفتح القلقشندي رحمته الله <sup>(١)</sup>.
- ٥ - الشيخ الشهاب أبو زرعة أحمد البيجوري رحمته الله <sup>(٢)</sup>، تلمذ عليه بالإجازة مُشافهةً. هذا ما ذكره رحمته الله، ومنهم أيضًا:
- ٦ - الشيخ العلامة قاضي الديار المصرية؛ البرهان بن أبي شريف المقدسي الشافعي رحمته الله.

يقول المناوي رحمته الله: «حكى والدي قال: كان شيخ الإسلام البرهان بن أبي شريف قد ترك الإقراء آخرًا بالكُلِّيَّة، ومنع ذلك حتَّى للأفاضل ما عدا ثلاثة: الشيخ أبي الحسن، والشيخ ناصر الدين الطبلاوي، والشيخ شهاب الدين الرِّملي، فإنَّه خصَّهم بالإقراء؛ لتميُّزهم على غيرهم من أهل عصرهم» <sup>(٣)</sup>. وهذا نصٌّ في إثبات تلقّيه العلم والإقراء عنه.

---

= لوالده، ثم لنفسه، وتناول الحديث عن تصانيفه واختياراته، وحلَّها بالفوائد العلمية.

وترجم لنفسه أيضًا، ضمن كتابه: «حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة» (١/٣٣٥) في ذكر الأئمة المجتهدين في مصر.

(١) انظر ترجمته في: «الضوء اللامع» للسخاوي (١/٧٧)، و«الثور السافر عن أخبار القرن العاشر» للعيدروس (١٦٠)، و«الكواكب السائرة» للغزي (١/١٠٨).

(٢) انظر ترجمته في: «الضوء اللامع» للسخاوي (٢/٦٥)، و«التحفة اللطيفة في أخبار المدينة الشريفة» له (١/١٢٨).

(٣) انظر ترجمته في: «الكواكب الدرية في مناقب الصوفية» (٣/٣٢٥).

٧ - الشيخ العلامة الفقيه شمس الدين، محمد بن أحمد الرَّملي رحمته الله<sup>(١)</sup>، الذي يُعرفُ بالشافعيِّ الصغيرِ، ومُجدِّدِ القرنِ العاشرِ، وقد كان الشيخُ الطبلاويُّ رحمته الله يحضُرُ دُرُوسَه؛ لإفادته منه، وإن كان في عُمُرِ أبنائه رحمته الله، فثبت بذلك تملُّذهُ شيخه عنده. وغيرُهم.

### \* أبرزُ تلاميذه:

تجمَّعَ طلبَةُ العِلْمِ من أبناءِ مصرَ على الشيخِ الطبلاويِّ رحمته الله لنيلِ العلمِ عنه، وقصدهُ القريبُ والبعيدُ؛ لِمَا تميَّزَ به من المكانةِ العِلْمِيَّةِ العاليةِ، والمنزلةِ الرَّفِيعَةِ<sup>(٢)</sup>، وكان من أشهرِ مَنْ أخذَ عنه من أهلِ

(١) انظر ترجمته في: «خلاصة الأثر» للمحبي (٣/ ٣٤٢).

(٢) نعم لأجل العلم قُصدَ الشيخُ الطبلاوي رحمته الله؛ إذ هو خاتمة المُحقِّقين في عصره، ومن العجيب ما يُنسبُه له القُصَّاص من المتصوفة في تساهل ملفت للنظر، ادعأوهم: «إقبال الناس عليه كثيراً؛ لأجل كثرة رؤيته للنبي صلَّى الله عليه وآله وسلم في المنام واشتهاره بها»!

وهذا أمر غريب عجيب بهذا السياق. نعم، رؤية النبي صلَّى الله عليه وآله وسلم مُمكنة شرعاً وعقلاً، وجاءت النصوص الصحيحة بذلك، لكن لا يقال لأحد إنه رأى النَّبِيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلم في منامه إلا لمن رآه على صورته المعروف بها، في أيِّ فترة من حياته.

وأما هذه النِّسبة للشيخِ الطبلاوي بالكثرة والشُّهرة؛ فإنِّي لم أجد بعد تتبُّعٍ وبحثٍ ما يدلُّ عليه من قوله صراحةً، ولو في حادثة واحدة ذَكَرَ فيها أنه رأى النبي صلَّى الله عليه وآله وسلم في منامه. وأوَّلُ مَنْ نَسَبَ له تلك المنامات: الشيخ عبد الوهاب الشعراني الصوفي (ت: ٩٧٣هـ) غفر الله له في «طبقاته الصغرى» (٧٨)، وهو مشهور بالمبالغات في تراجم المُتصوِّفة، وكثيراً ما يذكر أموراً مخالفةً للمتقول والمعقول، ويدَّعي أنها كرامات، وقد تبعه =

العلم المشهورين به، وشرطي فيه التصريح بالأخذ عنه، وهم:

= على نسبة كثرة رؤية النبي ﷺ من نقل ترجمة الشيخ الطبري عنه؛ فأخذوا الأمر بلا زمام ولا خطام، وتناقله الناس بدون روية، وأصل النقل واحد، والذي يدفعهم لذلك أنهم يُلصقون بهذا كثيراً من دعاويهم، إما جهلاً وتزييناً من الشيطان عليهم، وإما تسويقاً لشيوخهم ودعاويهم المنكرة حين لا يجدوا من أدلة الشرع ما يُقوّي مذهبهم؛ فيهرعوا بتسج هذه المنامات لتصديقها! ومن ذلك:

ما ذكره ابن عربي في طليعة كتابه «الفصوص» (٤٧) يقول: «فإني رأيت رسول الله ﷺ في مبشرة أريتها، ويده ﷺ كتاب فقال لي: هذا كتاب «فصوص الحكم» خُذْه واخرُجْ به إلى الناس ينتفعون به! فقلت: السمع والطاعة لله ولرسوله ولأولي الأمر منّا؛ فحققت الأمانة، وأخلصتُ النية، وجردتُ القصد والهمة إلى إبراز هذا الكتاب كما حده لي رسول الله ﷺ من غير زيادة ولا نقصان»، اهـ. فانظر إلى هذا التسويق لكتاب طفق بعقيدة وحدة الوجود والضلالات، من خلال هذه المنامات؟!!

فمن هذا وأضرابه يقع التلبس على العامة، وبسبب هذا السّاهل والإفراط بمثل هذه الدّعاوي المنامية والإغراق فيها؛ تطوّر الأمر عند هؤلاء المتصوّفة إلى عصرنا اليوم؛ فادّعوا حياة الخضر ﷺ، واجتماعهم به، والله لو سألت مَنْ زعم ذلك عن صفته لتفرّقت بهم السُّبُل من عدم اتحادهم في الوصف والصفة! ثم زاد الأمر سوءاً؛ فادّعوا رؤية النبي ﷺ في اليقظة!! فزعموا حضوره يقظة لمحافلهم، ونُسجت دعاوى عريضة على ذلك تزكية وتكثيراً لسوادهم، بل الأشدُّ من هذا أن يُحدّثوا عن أنفسهم أنهم رأوا النبي ﷺ يقظة؛ فبشّرهم بالجنة! وأمنّهم العذاب والنار! سبحانك ربي هذا بهتان عظيم، نسأل الله السلامة والعافية من الخطأ الذي وقع لأهل العلم، ونعوذ بالله من الضلال والإضلال.



١ - شحادة اليميني: وهو راوي السند عنه في القراءات القرآنية.

يقول البعلبي رحمه الله في ترجمة شيخ الإقراء في البلاد المصرية الشيخ الإمام ابن البقري الأزهري رحمه الله:

«أخذ القراءات بسائر أنواعها عن الإمام العلامة الشيخ عبد الرحمن ركن الدين اليميني، شيخ الإقراء في البلاد المصرية، عن والده شحادة اليميني... وشحادة أخذته عن الشيخ ناصر الدين الطبلاوي، عن شيخ الإسلام القاضي زكريا الأنصاري، عن الشيخ عثمان الزبيدي، عن الحافظ أبي الخير محمد؛ شمس الدين ابن الجزري إمام كل مقرر»<sup>(١)</sup>.

٢ - الإمام الفقيه شيخ الإسلام ابن حجر الهيتمي المكي رحمه الله<sup>(٢)</sup>.

ذكر تلميذه أبو بكر السيفي في ترجمته مُعَدِّدًا شيوخه الذين أخذ عنهم العلم: «وفي الفقه عن جماعة؛ كالناصر الطبلاوي»<sup>(٣)</sup>.

(١) انظر: «مشيخة أبي المواهب الحنبلي» (١٠٠)، و«ثبت ابن العماد الحنبلي» (١٥٨)، و«صلة الخلف بموصل السلف» للروداني (٤٦٠)، ومقدمة الشيخ علي الضبّاع في «النشر في القراءات العشر» (٨/١).

(٢) انظر: «النور السافر» للعيدروس (٣٩٠)، و«شذرات الذهب» لابن العماد (٥٤٢/١٠) في التصريح بالأخذ عن الشيخ الطبلاوي.

(٣) «نفائس الدرر في سيرة شيخ الإسلام ابن حجر» مخطوط (و٣/أ - نسخة الملك سعود). وليت السيفي غفر الله له نزّه ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر عن بعض ما ذكره من منكرات ممّا عدّه هو من الكرامات!! عن بعض =

- ٣ - الشيخ العلامة الفقيه الخطيب الشَّريفي رحمته الله (١).
- ٤ - الشيخ المقرئ عبد الله بن منلا الهندي، الحنفي رحمته الله (٢).
- ٥ - الشيخ أبو بكر بن أحمد القاضي الإربلي الحموي، المعروف بابن البقا رحمته الله.
- قال الغزي رحمته الله ذاكراً شيوخته: «أخذ عن: الشيخ ناصر الدين الطبلاوي» (٣).
- ٦ - الشيخ المقرئ، شهاب الدين الفلّوجي الحموي الشافعي رحمته الله، أحد المفتين بدمشق (٤).
- ٧ - الشيخ المقرئ اللّغوي، عبد الله بن مُحَمَّد الحُسَيني المغربي الشافعي رحمته الله، المعروف بـ «الطبلاوي»؛ لنزوله بمصرَ عنده (٥)، وهو أعظمُ شيوخته.

- 
- = شيوخ المترجم؛ كالزعم برؤية النبي ﷺ يقظة، والتبخر بشعرة من لحية أحد المشايخ لتفريج كربة! والأخذ عن جنّي تابعيٍّ، أخذ عن جنّي صحابي! ويُجيزُ بهذا السند المُسلسل في بعضه بالجَنّيين، وغيرها، فكان الأولى به أن يُجلَّ شيخه عن هذه المؤاخذات المنكرة.
- (١) «الكواكب السائرة» للغزي (٧٢/٣)، و«شذرات الذهب» لابن العماد (٥٦١/١٠) وفيهما التصريح بأخذه عن الشيخ الطبلاوي.
- (٢) انظر: «الكواكب السائرة» للغزي (١٥٣/٢)، و«شذرات الذهب» لابن العماد (٤٥٦/١٠) وفيهما التصريح بالتلمذة.
- (٣) انظر: «الكواكب السائرة» (٨٦/٣).
- (٤) انظر: «الكواكب السائرة» (١١٠/٣).
- (٥) انظر: «خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر» للمحبي (٦٦/٣).

٨ - الشيخ الأستاذ أحمد بن حسن الرُّومي رحمته الله، المُدرِّس بإحدى المدارس السُّليمانية، في إصطنبول، وتلميذُ الشيخ أبي السُّعود العمادي، المُفسِّر، مفتي الدِّيار الرُّومية رحمته الله، أجازَه جماعةٌ من العلماء الأجلَّة، حين دخل مع والده الدِّيار الشاميَّة والمصريَّة، منهم: الشيخ البارُع بَقِيَّة الأفاضل، ومَجْمَعُ الفضائل، ناصر الدِّين الطبلاوي<sup>(١)</sup>.

٩ - الشيخ العالم المُحدِّث حميد الدِّين بن عبد الله الحنفي العمري السُّندي رحمته الله.

قال الفخرُ الحَسَنِي رحمته الله عنه: «رحلَ إلى الحرمين مع والده، وأخذَ الحديثَ بها عن الشيخ محمد سالم الطبلاوي المصري»<sup>(٢)</sup>.

١٠ - الشيخُ الإمام نور الدِّين، ابن غانم المَقْدِسي الحنفي رحمته الله<sup>(٣)</sup>.

١١ - الشيخُ العَلَّامة الشَّمسُ محمد الدَّاودي رحمته الله<sup>(٤)</sup>.

١٢ - الشيخُ العَلَّامة نور الدِّين محمود البِيلُوني رحمته الله<sup>(٥)</sup>.

(١) انظر: «الطبقات السنية في تراجم الحنفية» للتميمي (١/ ٣٨١).

(٢) انظر: «الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام» لعبد الحي الحَسَنِي (٥/ ٥٢٤).

(٣) انظر: «الكواكب الدرية في مناقب الصوفية» للزين المناوي (٣/ ٣٢٥)، و«خلاصة الأثر» (٣/ ١٨٠)، و«فهرس الفهارس» للكتاني (٢/ ٨٩٢) وفيها التصريح بالأخذ عنه.

(٤) انظر: «الكواكب السائرة» (٢/ ٣٢)، وفيه التصريح بالإجازة له.

(٥) انظر: «الكواكب السائرة» (٢/ ١٥٣)، و«خلاصة الأثر» للمحبي (٤/ ١٤٥) وفيه التصريح بالأخذ عنه.

١٣ - الشيخُ العلّامة الفهّامة أحمد بن قاسم العبّادي رَحِمَهُ اللهُ (١).

لم أجد فيمن ترّجمه مَنْ أثبتَ تلمذته عليه، إلّا أنني وجدتُ من تصانيف ابنِ قاسم ما يُصرّح فيه بنفسه الأخذَ عن شيخه الطبلاويّ، وذلك في حاشيته: «الحواشي والنكات والفوائد المحررات» (٢)؛ فقد رمز له فيه: «طب» أو «ط»؛ إشارة له. وقد جاء ذلك في كتابه ما يقرب من العشرين مرّة؛ فثبت ذلك بحمد الله تعالى.

هؤلاء هم مَنْ وقفتُ على التّصريحِ بهم بالأخذِ عن شيخهم الطبلاويّ رَحِمَهُ اللهُ، وغيرهم كثير، والله أعلم.

### \* تصانيفه:

١ - «الغررُ البهيّة بشرح البهجة الوردية» (خ)، و«البهجة» للقااضي الأجل زين الدين، عمر بن مظفر ابن الوردی رَحِمَهُ اللهُ (٣). وهو مشهورٌ بنظّمه الرائق البليغ. وهو متنٌ يقع في حدود الخمسة آلاف بيتٍ في الفقه الشافعي، نظّم فيه كتاب «الحاوي الصغير» في فروع الشافعية، للإمام نجم الدين، عبد الغفار بن عبد الكريم القزويني رَحِمَهُ اللهُ (٦٦٥هـ) (٤)،

(١) انظر: «الكواكب السائرة» (١١١/٣)، و«شذرات الذهب» لابن العماد (٦٣٦/١٠)، و«خلاصة الأثر» للمحبي (١٤٥/٤).

(٢) مرقومة على الآلة الكاتبة في رسالة علمية، في جامعة أم القرى، قسم البلاغة، بتحقيق الأستاذ إبراهيم الجعيد.

(٣) انظر في ترجمته: «فوات الوفيات» لابن شاکر (١٥٧/٣).

(٤) انظر ترجمته في: «تاريخ الإسلام» للذهبي (١١٦/١٥) وقد ألفه لولده =

وهو من كتب الشافعية المعتمدة<sup>(١)</sup>.

يقول الحافظ ابن حجر، عن ابن الوردي (٧٤٩هـ) رحمهما الله: «ونظم «البهجة الوردية» في خمسة آلاف بيتٍ وثلاث وستين بيتًا، أتى على «الحاوي الصغير» بغالب ألفاظه، وأقسم بالله، لم ينظم أحدٌ بعده الفقه إلا وقصر دونه»<sup>(٢)</sup>.

والشيخ الطبلاوي رحمته الله قد انتفع من شرحي شيخه العلامة زكريا الأنصاري رحمته الله في شرحه، وزاد عليهما.

يقول الشيخ الشعراي، عن الشيخ الطبلاوي رحمهما الله: «وشرح «البهجة الوردية» شرحين، ما وضع مثليهما، جمع فيهما ما في «شرح البهجة» لشيخ الإسلام، وزاد عليهما ما في «شرح الروض»، وغيره»<sup>(٣)</sup>.

وسبب ذلك أن شرح الأنصاري رحمته الله على «البهجة الوردية» قد طار صيته في الأقطار، وقصد بالفتاوي، وزاحم كثيرًا من شيوخه فيه<sup>(٤)</sup>.

---

= جلال الدين، وكان والدُه مشهودًا له بحُسن الاختصار؛ فاختصر «الحاوي» من الرافعي الكبير، وانظر في قصة تأليفه عند السبكي في: «طبقات الشافعية الكبرى» (٢٧٧/٨).

(١) لأنه اختصر وحرر ونقح كتاب «العزیز شرح الوجیز» للرافعي رحمته الله؛ فبات منته «الحاوي» خلاصة لتلك الجهود العلمية المتتابعة.

(٢) «الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة» (٢٢٩/٤).

(٣) «الطبقات الصغرى» (٧٧)، وعنه الغزي في «الكواكب السائرة» (٣٢/٣).

(٤) انظر: «النور السافر عن أخبار القرن العاشر» للعيدروس (١٧٥).

ويقول الغزي رحمته الله: «وقرئ عليه شرحه على «البهجة» سبعاً وخمسين مرة حتى حرّره أتمّ تحريراً، ولم يُنقل ذلك عن غيره من المؤلفين، وكانت مؤلفاته «شرح الرّوض» و«شرح البهجة» يُدرّسها الناس، ويرجع إليها مُدرّس كل كتاب منها في حلّ مشكلاته.

ومؤلفاته كلّها حافلة، جليّة، مُعتبرة، مقبولة؛ فما يتعلق بالفقه منها: شرحا «البهجة الكبير» و«الصغير»، وسمّاه بـ «الخلاصة»<sup>(١)</sup>.

(١) «الكواكب السائرة» (٢٠٣/١).

و«شرح البهجة الكبير» = «الغرر البهية شرح البهجة الوردية»: كما نص عليه السخاوي في «الضوء اللامع» (٢٣٦/٣)، مطبوع في الميمنية (١٣١٥هـ)، وانظر نسخه الخطية في مجلة «آفاق الثقافة والتراث» ع(٢٩ و ٣٠) سنة (١٤٢١هـ)، بحث: «زكريا الأنصاري؛ مصنّفاته وأماكن وجود مخطوطاتها» د. عبد القادر أحمد (١٨٠).

وأما الشرح الصغير، فاسمه: «خلاصة الفوائد المُحمّدية في شرح البهجة الوردية» كما نص عليه البغدادي في «هدية العارفين» (٣٧٤/١)، وله نسخة خطية في «الأزهرية» رقم (١٠٢٦) عام (٩٢٠٢)، وانظر: «الفهرس الشامل» آل البيت - الفقه وأصوله (١٠٤٨/٣).

و«شرح الروض»: هو «روض الطالب» لإسماعيل المُقري اليميني الشافعي (ت ٨٣٧هـ)، قد اختصر فيه كتاب الإمام النووي «روضة الطالبين» وجردّه من الخلاف، وهو أشرف مختصراته؛ حققه الأستاذ قاسم النوري، في (مج ٢) ط: البشائر الإسلامية. واعتنى به علماء الشافعية عناية كبيرة.

فشرح الشيخ الأنصاري رحمته الله «روض الطالب» وسمّاه «أسنى المطالب بشرح روضة الطالب» كما في «الضوء اللامع» (٢٣٦/٣)، و«النور السافر عن أخبار القرن العاشر» للعيدروس (١٧٥)، وانظر نسخه الخطية في =

\* تنبيه :

بعض مَنْ ترجم للمُصنّف ﷺ، ذكر أنّ من تصانيفه: «شرح الحاوي الصغير» للقزويني!<sup>(١)</sup>

والصحيح أنه شَرَحَ لنظّمه، وهو الشرح الآنف «الغرر البهيّة على البهجة الوردية» نظم «الحاوي الصغير»<sup>(٢)</sup>، فمن عدّه شرحاً للنظم مُستقلاً؛ فقد وَهَمَ، وقد يُحملُ أنه أراد الاتساع؛ مِنْ شرح نظّمه؛ فيدخل فيه المتن ضمناً، ولا يُسَعِفُه ذلك؛ إذ المذکور أنه تأليف مُستقلّ، والله أعلم.

٢ - «بداية القاري في ختم البخاري» وهو كتابنا هذا، وسيأتي الحديث عنه.

٣ - «مُرشدة المُستغليّن في أحكام النون الساكنة والتّنوين» (ط)<sup>(٣)</sup>.

٤ - «هداية القاري إلى ختم صحيح البخاري» (خ) وهو أصل «بداية القاري» الذي تَرْمُقُه بعينيك.

٥ - «بلوغ الأمان في الكشف عن صور المعاني» (خ).

= مجلة «آفاق الثقافة والتراث» ع (٢٩ و ٣٠) سنة (١٤٢١هـ)، بحث: «زكريا الأنصاري مصنّفات وأماكن وجود مخطوطاتها» د. عبد القادر أحمد (١٧١). وهو مطبوع ويَقْتَرُ لتحقيقٍ علمي.

(١) انظر: «معجم المؤلفين» لكحالة (٣/٣١٠).

(٢) وفَصَّلَ ذلك حاجي خليفة في «كشف الظنون» (١/٦٢٧) فذكر شروح المتن، ثم نظم المتن، ثم شروح النظم. فتنبّه، والله أعلم.

(٣) طبع باسم: «مرشد...» وفي تحقيقه عوز ظاهر.

وهذان الكتابان لم أقف على مَنْ نسبهما للمُصنّف ﷺ، وقد ذكرهما في شَرْحِهِ الذي بينَ يديكَ في موضعين كما سيأتي.

٦ - «حُسْنُ النَّسِيمِ بدار النِّعَمِ في بيان التَّقْسِيمِ والمُقْسِمِ والقَسَمِ والقَسِيمِ» (خ).

هكذا وجدته منسوباً للناصر الطبلاوي ﷺ، في «فهرس مخطوطات دار الكتب المصرية - مجاميع» (١٥٢/٢) رقم (٢١٨) ط: الفرقان.

والرسالة تقع ضمن «مجاميع» (٦٨٤) رسالة (٣)، وتقع في (٨) ورقات، تحوي (٢١) سطراً تقريباً.

ومنه نُسخةٌ في «معهد المخطوطات العربية - القاهرة» ميكروفلم (٣٥م)، وكذا منه نسخة في: بعثة لبنان الأولى، بيروت - جمعية المقاصد الإسلامية - معهد الدراسات الإسلامية (منطق) (١٦١/١).

ومِمَّنْ نسب هذا الكتاب للطبلاوي ﷺ الأستاذ الكبير محمد كُرْد علي ﷺ في مجلة «المُقتبس»<sup>(١)</sup>، فقال ما نصه: «ومن جملة المخطوطات التي حوتها خزانة كتب السيد عبد الباقي الحسيني<sup>(٢)</sup> مخطوط فيه أربع رسائل، وسمي أولها: بكتاب

(١) في المجلد (٦) جزء (٥) ص (٣٢٩) سنة (١٩١١م).

وهذه المجلة هو الذي أصدرها وقام على تأسيسها، وهي حافلة بمقالات علمية رصينة زاخرة بالعلم والتراث.

(٢) هو الشيخ عبد الباقي الحسيني الجزائري، وهو من عائلة الأمير عبد القادر الجزائري، وكانت له خزانة مليئة بالمخطوطات النفيسة في دمشق.



المُتَوَكِّلِي<sup>(١)</sup> يذْكَرُ فِيهِ مَا وَرَدَ فِي الْقُرْآنِ بِاللُّغَةِ الْحَبَشِيَّةِ وَالْفَارْسِيَّةِ وَالْهِنْدِيَّةِ وَالْتُرْكِيَّةِ وَالزُّنْجِيَّةِ وَالنَّبَطِيَّةِ وَالْقُبْطِيَّةِ وَالسَّرِّيَانِيَّةِ وَالْعِبْرَانِيَّةِ وَالرُّومِيَّةِ وَالْبَرْبَرِيَّةِ وَغَيْرَ ذَلِكَ، لَجَلالِ الدِّينِ السِّيُوطِيِّ، وَالثَّانِيَّةُ: «الْأَحَادِيثُ الثَّمَانِيَّةُ الْمُتَخَبَّةُ مِنْ نَوَادِرِ الْأُصُولِ الْعَالِيَةِ» لِأَبِي الضِّيَاءِ الْبُوتَيْجِيِّ، وَيَلِيهِ: «حُسْنُ النِّسِيمِ بِدَارِ النِّعَمِ» لِلطَّبْلَاوِيِّ، وَيَلِيهِ «الْمُتَخَبُ مِنْ كِتَابِ الْفُرُوقِ» لِأَبِي هَلالِ الْعَسْكَرِيِّ.

٧ - «مَنْظُومَةٌ» فِي مَبْحَثِ الاسْتِعَارَةِ، ضَمِنَ عُلُومَ الْبَلَاغَةِ. (خ)، وَلَهَا نَسْخَةٌ خَطِيَّةٌ فِي مَكْتَبَةِ مُحَمَّدٍ ثَانِي (٢٠٣/٤) فِي ثَلَاثِ وَرَقَاتٍ، نَسَخَتْ بِتَارِيخِ ١١١٧هـ.

ذَكَرَهَا الزُّرْكَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ مِنْ مَوْلاَفَاتِ الشَّيْخِ ناصِرِ الدِّينِ الطَّبْلَاوِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ، حَيْثُ قَالَ: «وَلَهُ «مَنْظُومَةٌ - خ» مِنْ مَحْفُوظَاتِ دَارِ الْكُتُبِ الْمِصْرِيَّةِ، لَمْ يَذْكُرْهَا مُتَرَجِّمُوهُ»<sup>(٢)</sup>. وَأُثْبِتَ فِي آخِرِهَا نَسْبَتُهَا لَهُ، حَيْثُ قَالَ النَّاسِخُ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ، بَلِغَ مَقَابِلَةٍ مَعَ نَاطِقِهِ... مُحَمَّدُ الطَّبْلَاوِيُّ الشَّافِعِيُّ حَامِدًا مُصَلِّيًا مُسَلِّمًا»، فَاللَّهُ أَعْلَمُ. هَذَا مَا وَقَفْتُ عَلَيْهِ مِنْ تَصَانِيفِ الْإِمَامِ الطَّبْلَاوِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ.

### \* ثَنَاءُ أَهْلِ الْعِلْمِ عَلَيْهِ:

١ - قَالَ عَبْدُ الْقَادِرِ التِّمِيمِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «الشَّيْخُ الْبَارِعُ بَقِيَّةُ الْأَفْاضِلِ، وَمَجْمَعُ الْفَضَائِلِ»<sup>(٣)</sup>.

(١) وَهُوَ كِتَابٌ: «الْمُهَذَّبُ فِيمَا وَقَعَ فِي الْقُرْآنِ مِنَ الْمُعَرَّبِ». مَطْبُوعٌ.

(٢) «الْأَعْلَامُ» (١٣٤/٦).

(٣) «الطَّبَقَاتُ السَّنِيَّةُ فِي تَرَاجِمِ الْحَنْفِيَّةِ» (٣٨١/١).

٢ - وقال الغزي رحمته الله: «الشيخ الإمام العلامة شيخ الإسلام، بقية السلف الكرام، أحد العلماء الأفراد بمصر»<sup>(١)</sup>.

٣ - وقال ابن العماد الحنبلي رحمته الله: «الإمام العلامة أحد العلماء الأفراد بمصر»<sup>(٢)</sup>.

٤ - وقال المٌحبِّي رحمته الله: «خاتمة المحققين»<sup>(٣)</sup>.

وقال تارة: «كان من مفردات العالم»<sup>(٤)</sup>.

وقال تارة: «شيخ الإسلام»<sup>(٥)</sup>.

٥ - قال محمد البديري الحسيني رحمته الله: «محقق زمانه»<sup>(٦)</sup>.

٦ - وقال الشيخ العلامة علي الضَّبَّاع رحمته الله: «شيخ أهل زَمَنه»<sup>(٧)</sup>.

٧ - وقال الشيخ عبد الفتاح المرصفي رحمته الله: «شيخ الإسلام في وقته العلامة المحقق شيخ شيوخنا»<sup>(٨)</sup>.

(١) «الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة» (٣٢/٢).

(٢) «شذرات الذهب في أخبار من ذهب» (٥٠٦/١٠).

(٣) «خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر» (١٨١/٣).

(٤) «خلاصة الأثر» (٣٤٣/٣).

(٥) المصدر السابق (٤٢٨/٣).

(٦) «الجواهر الغوالي في ذكر الأسانيد العوالي» مخطوط (و١٢).

(٧) «النشر في القراءات العشر» لابن الجزري (٨/١).

(٨) «هداية القاري إلى تجويد كلام الباري» (٥٥/١).

وقال مرة: «خاتمة المحققين»<sup>(١)</sup>.

### \* وفاته رَحِمَهُ اللهُ :

تُوفِّيَ بِمَصْرَ فِي الْعَاشِرِ مِنْ شَهْرِ جُمَادَى الثَّانِيَةِ، عَامِ سِتَّةٍ وَسِتِّينَ  
وَتِسْعِ مِائَةٍ مِنَ الْهَجْرَةِ، وَدُفِنَ فِي حَوْشِ الْإِمَامِ الشَّافِعِيِّ رَحِمَهُ اللهُ، وَعُمِّرَ  
نَحْوَ مِائَةِ سَنَةٍ<sup>(٢)</sup>.



(١) «هداية القاري» (٢/٧٨٦).

(٢) «الكواكب السائرة» للغزي (٢/٣٣).

## دراسة الرسالة ووصف النسخ الخطية

### دراسة الرسالة

#### ١ - نسبها للمؤلف:

نسبها للإمام الطبرلاوي بحمد الله صحيحة ثابتة، فهي مكتوبة بخطه، وقد جاء على طرّة الأصل صراحة ما نصّه: «تأليف كاتبها محمد ناصر الدين بن سالم بن علي الطبرلاوي الشافعي الأزهري، عفا الله ذنوبه، وستر عيوبه».

وممن نسبها له كذلك: الزركلي<sup>(١)</sup>، والبغدادلي<sup>(٢)</sup>، وكحالة<sup>(٣)</sup>.

#### ٢ - موضوعها:

هو موضوع الختم في الحديث، ورسائل الختم تعني عادةً بذكر طرف من أخبار المصنّف والمصنّف، ثم شرح آخر ترجمة، أو حديث فيه، مع ما يتفرّع عن ذلك من مسائل علمية، وإيمانية، وتربوية.

(١) «الأعلام» (٦/١٣٤).

(٢) «إيضاح المكنون» (١/١٦٨).

(٣) «معجم المؤلفين» (٣/٣١٠).

وقد برزت كُتُبُ الختم في القرن التاسع، وغالب هذه الكتب فيما وقفت عليه من النسخ الخطية الكثيرة، أفاد المتأخر من المتقدم، حتى لكأنك تقولُ صدرت من مشكاة واحدة، وقل أن يتميز ختم عن غيره، وأوسع هذه الخُتوم «للصحيح» فيما وقفت عليه: ختم الإمام أبي العباس القسطلاني رحمته الله، وختم ابن الصيرفي العسقلاني رحمته الله <sup>(١)</sup>.

أما رسالة الشيخ الطبلاوي رحمته الله: فقد تناول فيها شرح ترجمة الباب، وما يُستنبط من آية الموازين في قوله تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ﴾ [الأنبياء: ٤٧]، ثم انتقل لحديث أبي هريرة رضي الله عنه: «كلمتان خفيفتان على اللسان...» وما يُستفاد منه من أحكام، ومُناسبتُهُ للترجمة، ثم تطرّق لمباحث الختم، فتحدّث عن معنى المحبّة، ثم فائدة تخصيص اسم «الرّحمن» دون غيره، فمعنى التّسبيح والتّحميد، فوجه الختم باسم «العظيم» وبيان معناه، ثم فائدة تكرار التّنزيه «سُبْحَانَ اللَّهِ»، وأخيراً عرض بإسهاب ما يتعلّق بالميزان وما فيه من أحوال تكون يوم القيامة في: حقيقته، وصفته، ومقداره، ووضعِه، وتعدّاده، وفي الموزون نفسه، وفي الموزون أجمع الأعمال أم خواتيمها؟ وفي كيفة الرّجحان والنّقص، وترتيب الوزن، والموزون لهم، ومن القائم على الوزن بين يدي الله عزّ وجلّ، وما في ذلك

(١) وقد انتهيت من تحقيقهما بحمد الله على عدّة نسخ خطيّة، ضمن سلسلة: «رسائل في ختم صحيح البخاري» فأسأل الله أن ينفع بها طلبة العلم خاصة، وأبناء الإسلام عامة.

كُلُّهُ مِنْ شَوَاهِدَ، وَرَقَائِقَ، ثُمَّ خَتَمَ الْخَتَمَ بِفَضْلِ التَّسْبِيحِ وَالتَّحْمِيدِ  
وَالذِّكْرِ.

### النُّسخُ الْخَطِيَّةُ الْمُعْتَمَدَةُ

يَسِّرَ اللَّهُ تَعَالَى أَرْبَعَ نَسَخٍ اعْتَمَدْتُهَا فِي الْعِنَايَةِ بِهَذِهِ الرِّسَالَةِ هَاكَ  
وَصَفَهَا:

#### \* الأولى: نسخة دار الكتب المصرية:

وهي نسخة تامةٌ مُصَحَّحَةٌ مُرَاجَعَةٌ، بِخَطِّ مُصَنِّفِهَا رَحِمَهُ اللَّهُ، وَهَذِهِ  
الْمُرْتَبَةُ الْأُولَى فِي تَحْقِيقِ النُّصُوصِ بِالْوُقُوفِ عَلَى أَصْلِ الْمُؤَلَّفِ، وَهِيَ  
مَا تَعَارَفَ عَلَيْهِ عِنْدَ أَهْلِ التَّحْقِيقِ: «نسخة الأم».

وَقَدْ دَلَّ عَلَى مُرَاجَعَتِهَا وَتَصْحِيحِهَا؛ الدَّائِرَةُ الْمُنْقُوطُ وَسَطُهَا،  
وَالْإِلْحَاقَاتُ الْمُصَحَّحَ عَلَيْهَا بِخَطِّ الْمُؤَلَّفِ نَفْسِهِ.

وَقَدْ جَعَلْتُهَا الْأَصْلَ الَّذِي أُعَوِّلُ عَلَيْهِ؛ لِأَنَّهَا بِخَطِّ مُصَنِّفِهَا؛ وَهِيَ  
حَاكِمَةٌ عَلَى غَيْرِهَا مِنَ النُّسخِ، وَلَمْ أَلْتَفِتْ إِلَى الْفُرُوقِ الْيَسِيرَةِ بَيْنَ بَقِيَّةِ  
النُّسخِ مِنْ سَقَطٍ أَوْ تَحْرِيفٍ فِيهَا، أَمَّا مَا كَانَ مِنَ الْمُفِيدِ ذِكْرَهُ أَوْ لَهُ  
وَجْهٌ أَقْوَى ذِكْرَتِهِ؛ إِذْ غَيْرَ ذَلِكَ أَعَدُّهُ مِنْ ضُرُوبِ الْعَبَثِ بِالتَّرَاثِ،  
وَمَا أَكْثَرُهُ الْيَوْمَ، وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ.

وَعَنَوَانُهَا: كَمَا هُوَ مُدَوَّنٌ عَلَى طَرَّتِهَا بِخَطِّ كَاتِبِهَا: «بداية القاري  
في ختم البخاري».

المؤلف: الإمام محمد ناصر الدين بن سالم بن علي الطبلاوي  
الشافعي الأزهري رَحِمَهُ اللَّهُ.

اسم النسخ: المؤلف نفسه.

تاريخها: القرن العاشر.

عدد الأوراق: (١٤) ورقة مع ورقة العنوان. وفي كل ورقة صفحتان، وفي كل صفحة ما بين (١٨ - ١٩) سطر.

مصدرها: دار الكتب المصرية، ٩٢/١ [٢١م].

الخط: كتبت بخط النسخ، وتميزت بشكل آخرها، وفي أسفل صفحاته التقييدة<sup>(١)</sup>؛ وهي كلمة توضع في أسفل الصفحة الأولى تحت آخر كلمة من السطر الأخير، وتكون هي الكلمة الأولى في نص الصفحة الثانية؛ في أول سطر منها؛ دلالة على تتابع الصفحات وهذا عند القدماء.

وقد حصل في بعض أوراقها تقديم وتأخير فرتبتها حتى صحت.

وقد رمزت لها ب: «الأصل».

والشكر موصول لأخي الشيخ أبي المنذر صالح بن محمد بن عبد الفتاح الأزهري، الباحث بقسم المخطوطات في الدار؛ لتيسيره أمر شرائها والحصول عليها، جزاه الله خيراً.

(١) وتسمى أيضاً: التّعقّية والوصلّة.

انظر: «معجم مصطلحات المخطوط العربي» للأستاذ أحمد شوقي بنين.  
(٩٩).

### \* الثانية: النسخة التيمورية، ضمن (مجاميع / ١٢٢):

وهي نسخة تامةٌ مُصحَّحةٌ مُراجعةٌ، نُسخَت من خطِّ مُصنِّفها رحمته الله، حيث جاء في آخرها: «بلغت مقابلةً وتصحيحًا على خطِّ المؤلِّف قُدس سرُّه» وفي مواضع كُتِب: «بلغ مُقابلةً على خطِّ مُصنِّفه».

كُتِبَت في القرن (١١) الهجري، وتقع في (١٠) ورقاتٍ، وفي كلِّ ورقةٍ صفحتان، ومعدَّل كلُّ صفحةٍ (٢١) سطرًا.

وناسِخُها: الشيخُ عبد القادر الطُّورِيُّ كما جاء في آخرها، وقد تَرَجَم له المُحبِّي، فقال: «عبد القادر بن عثمان القاهري الحنفي، الشَّهيرُ بالطُّوريِّ، مُفتي الحنفية بمصر، من بيت أئمة الحنفية ذوي حسب وكان عالمًا فاضلاً فقيهاً أديباً، وله وجاهة ونباهة، كان موجوداً في سنة ست وعشرين ألف»<sup>(١)</sup>.

ويظهر أنَّ الناسِخَ الشيخَ عبد القادر الطوري، يكون ابنَ حفيدِ الشيخ الطبلاوي من جهة أمِّه، حيث رقم على غلافها تحت عنوانها: «تأليف جدُّ والدي...»، والله أعلم.

ورمزُ لها ب (ت).

### \* الثالثة: نسخة برينستون «مجموعة جاريت»، ورقمها (٦٩٦):

وهي نسخة تامةٌ مضبوطةٌ مُصحَّحةٌ؛ دلَّ على ذلك: الدائرة المنقوت وسطها، والاستدراكات والإلحاقات المُصحَّح عليها.

(١) «خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر» (٤٤٢/٢) مختصراً.



تقع في (١٠) ورقات، وفي كل ورقة صفحتان، ومعدل كل صفحة (٢٥) سطرًا، كتبت بخط النسخ.

وهي عُقْل من اسم النَّاسِخ، والتَّارِخ، وغالبُ الظَّن أنها من خطوط القرن الحادي عشر، أو الثاني عشر تقديرًا.

وعنوانها: كما هو مُدَوَّن على طُرَّتِها: «بداية القاري في ختم صحيح البخاري».

وعليها قيد تملُّك باسم: محمد بن أحمد البودري في عام (١١١٩هـ).

وقيد تملُّك آخر باسم: محمد الغمري الشافعي الأشعري خادم العلم بالأزهر.

ورمزت لها (ج).

والشكرُ موصولٌ لأخي المِفْضال الباذل الدكتور عبد الله المنيف الذي يَسِّرُ أمر الحصول عليها، من خلال الأستاذ عبد الله الرَّاشد، في مكتبة الملك فهد الوطنية، جزاه الله خيرًا.

#### \*الرابعة: النُّسخة الأزهرية:

نسخةٌ تامة، فيها إحقاقتٌ تدل على تصحيحها.

تقع في (٩) ورقات، وفي كل ورقة صفحتان، بمعدل (٢٣) سطرًا.

وهي عُقْل من اسم النَّاسِخ، والتَّارِخ، وغالبُ الظَّن أنها من خطوط القرن الثاني عشر والثالث عشر تقديرًا.

وعنوانها: كما هو مُدَوَّن على طُرَّتْها: «بداية القاري في ختم صحيح البخاري».

وهي منشورة على الانترنت، في موقع مخطوطات الأزهر الشريف.  
ورمزُ لها بـ (ز).

### العمل في تحقيق النص

وقد كان مُوجَزَ عملي في تحقيق النص:

أ - ضَبَطَ النَّصَّ وَشَكَّلَ ما يحتاج لضبطه، واجتهدتُ في توزيع فقراته وفق علامات الترقيم، على أحسن ما يفيد به فهم النص.

ب - عزو الآيات القرآنية، وجعلها عقب الآية في النص المحقَّق.

ج - تخريج الأحاديث والآثار من مصادرها الأصلية؛ بإيجاز.

د - عزو النُّقُول لأصحابها قدر المستطاع.

هـ - التعريف بالأعلام غير المشهورين أو المبهمين.

و - التعليق والتوضيح على مواطن ظهر لي أنه لا يحسُن إمرارها دون تعليق أو بيان.

فالحمدُ لله على التَّمام، وأسأله سبحانه أن يجعلَ ذلك في ميزان الإمام البخاريِّ صاحب المتن، والشارح المُصنِّف، والمُعَتني، والقارئ الكريم.

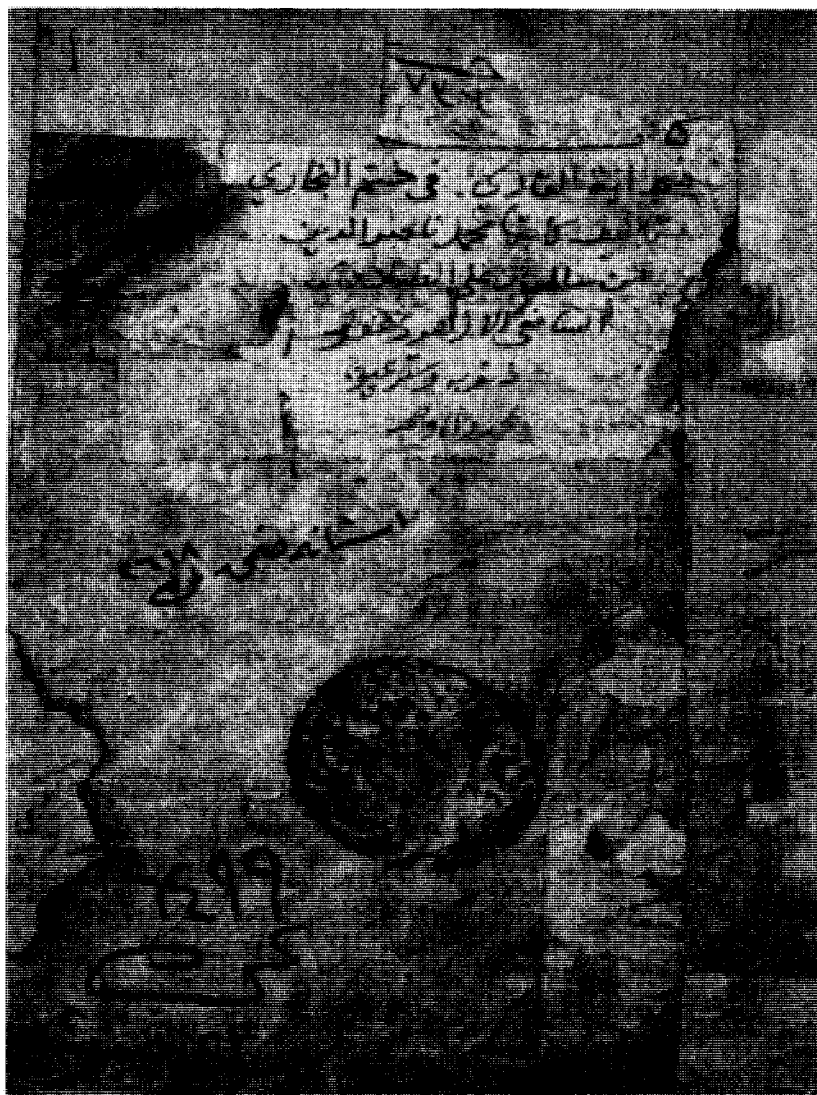
ثم الشُّكْرُ مَوْصُولٌ لِكُلِّ مَنْ أعانني بِنُصْح، أو فائدة، أو دلالة،  
أسأَلُ الله العليَّ القدير أن يُثيبهم خيراً كثيراً.

وبعدُ فما بينَ يديكَ «جُهدُ المُقلِّ»، والقدرُ الذي واثاه، ﴿وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُتَّقِ مَعَاءَ اللَّهِ﴾ [الطلاق: ٧]، وإليه سبحانه وتعالى السؤال أن يجعل ذلك خالصًا لوجهه الكريم، مُقتَضيًا لِرِضاه، وأن لا يجعل العلم حُجَّةً على كاتبه في دُنياه وأُخرَاه، وعلى الله قَصْدُ السبيل، وهو حَسْبُنَا ونَعْم الوكيل<sup>(١)</sup>.



(١) قاله الحافظ العلائي في «نظم الفرائد لِمَا تَضَمَّنَهُ حديثُ ذي اليدين من الفوائد» (٣٦).

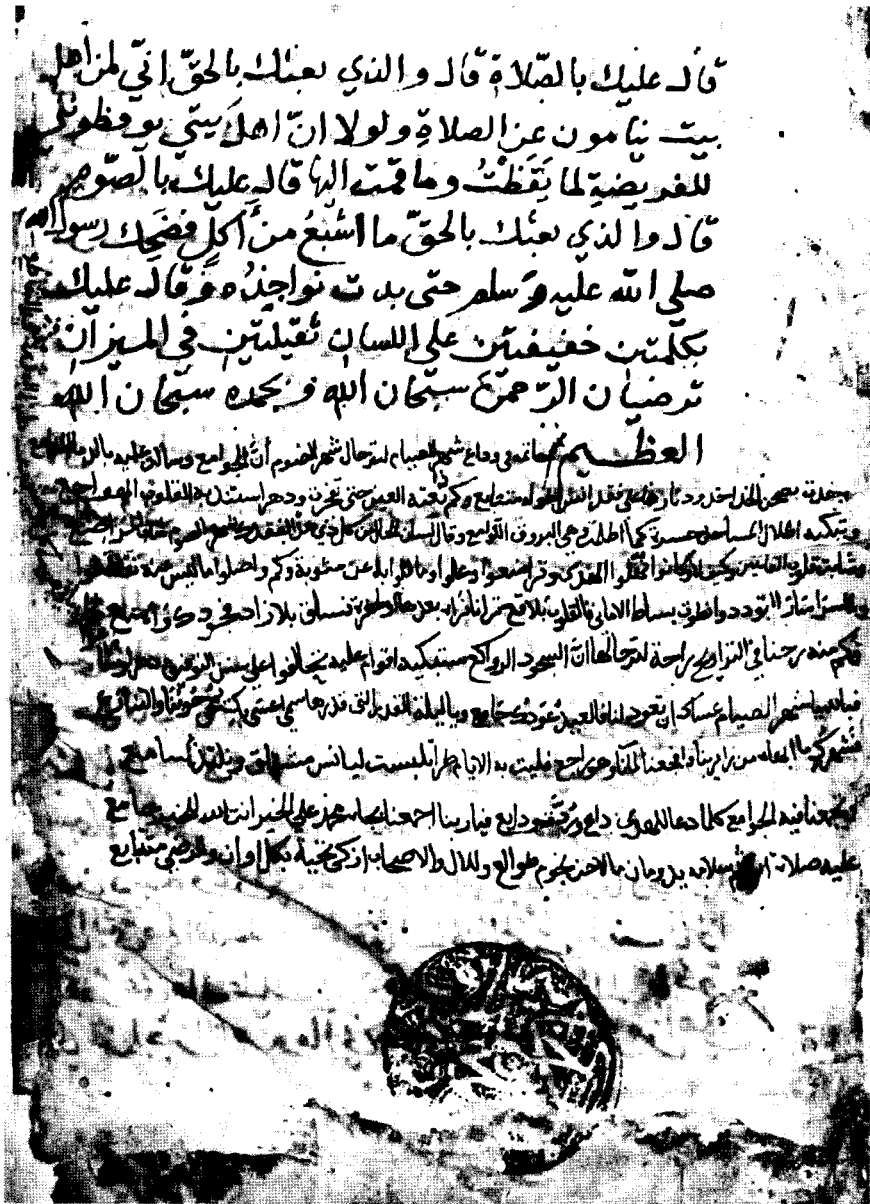
## صور من المخطوط



صورة غلاف النسخة الأصل -  
دار الكتب المصرية

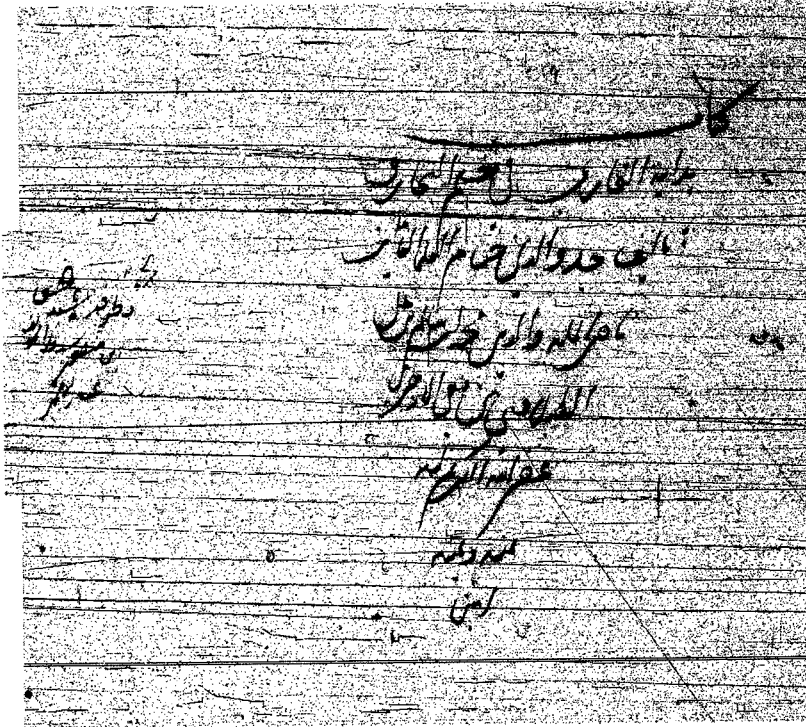


صورة الورقة الأولى من النسخة الأصل -  
دار الكتب المصرية



صورة الورقة الأخيرة من النسخة الأصل -

دار الكتب المصرية



صورة غلاف النسخة (ت)

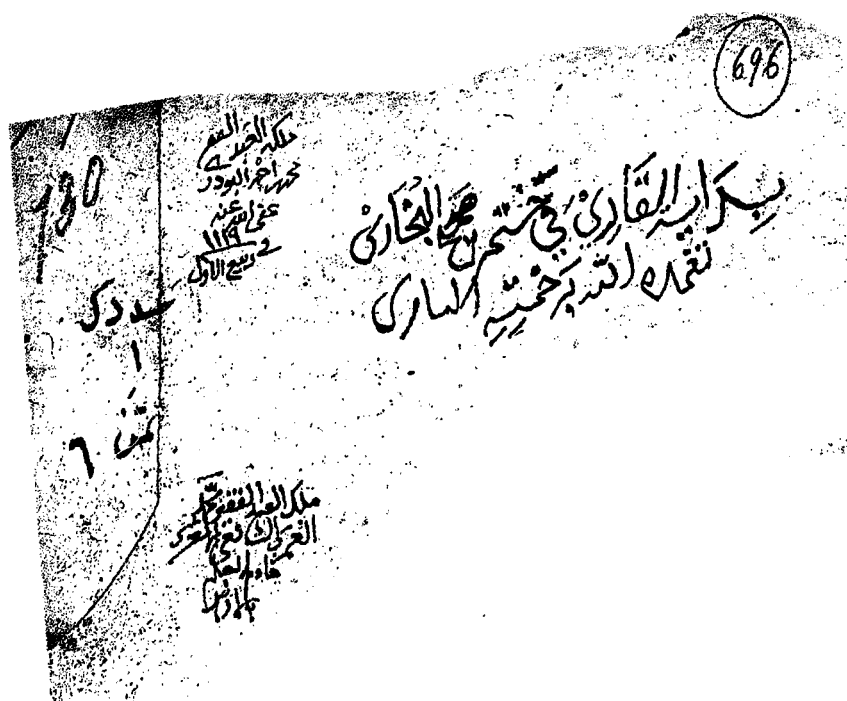
منسوخة من خط المؤلف - التيمورية



صورة الورقة الأولى من النسخة (ت)  
منسوخة من خط المؤلف - التيمورية





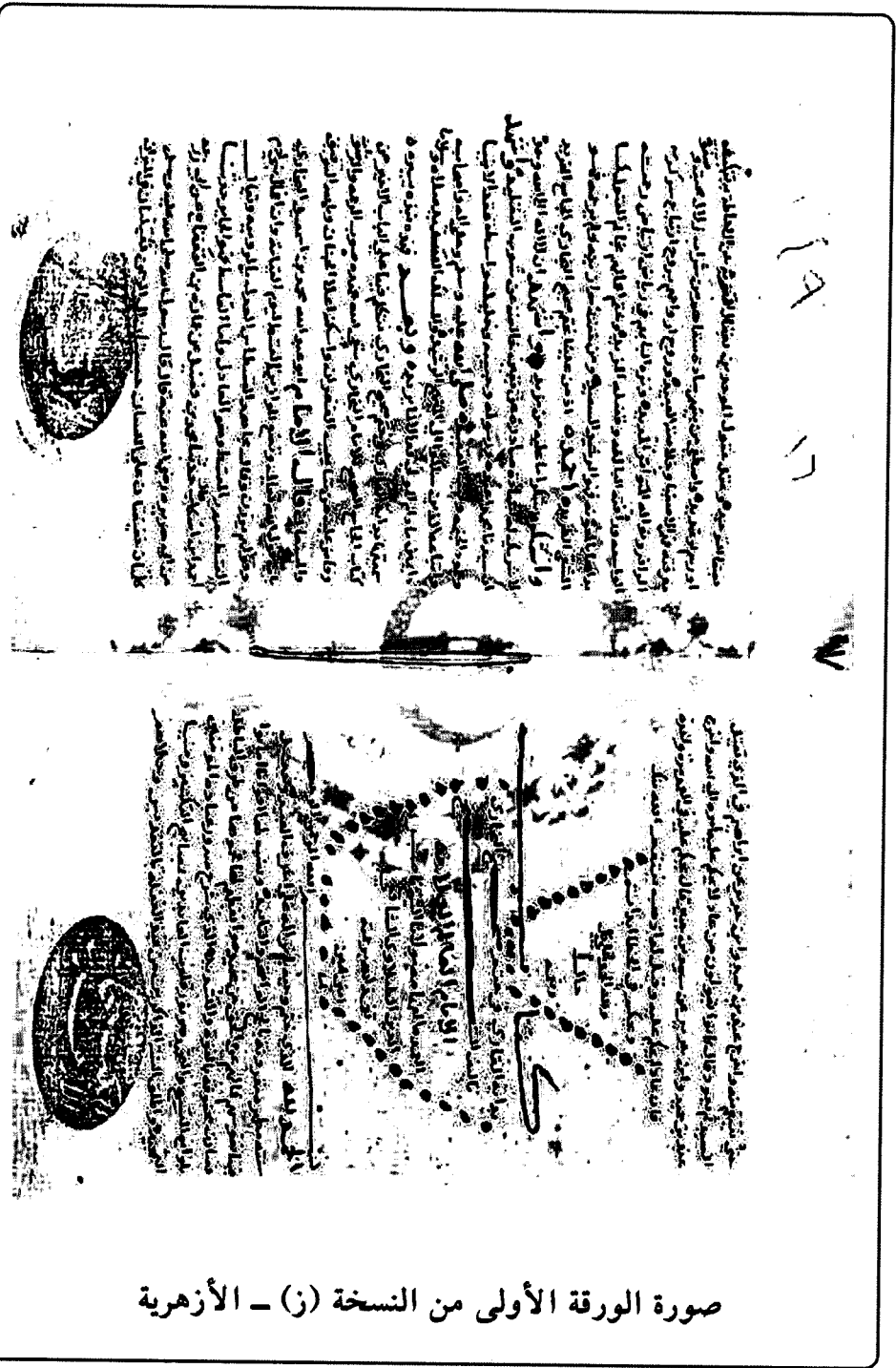


صورة غلاف النسخة (ج) - جاريت

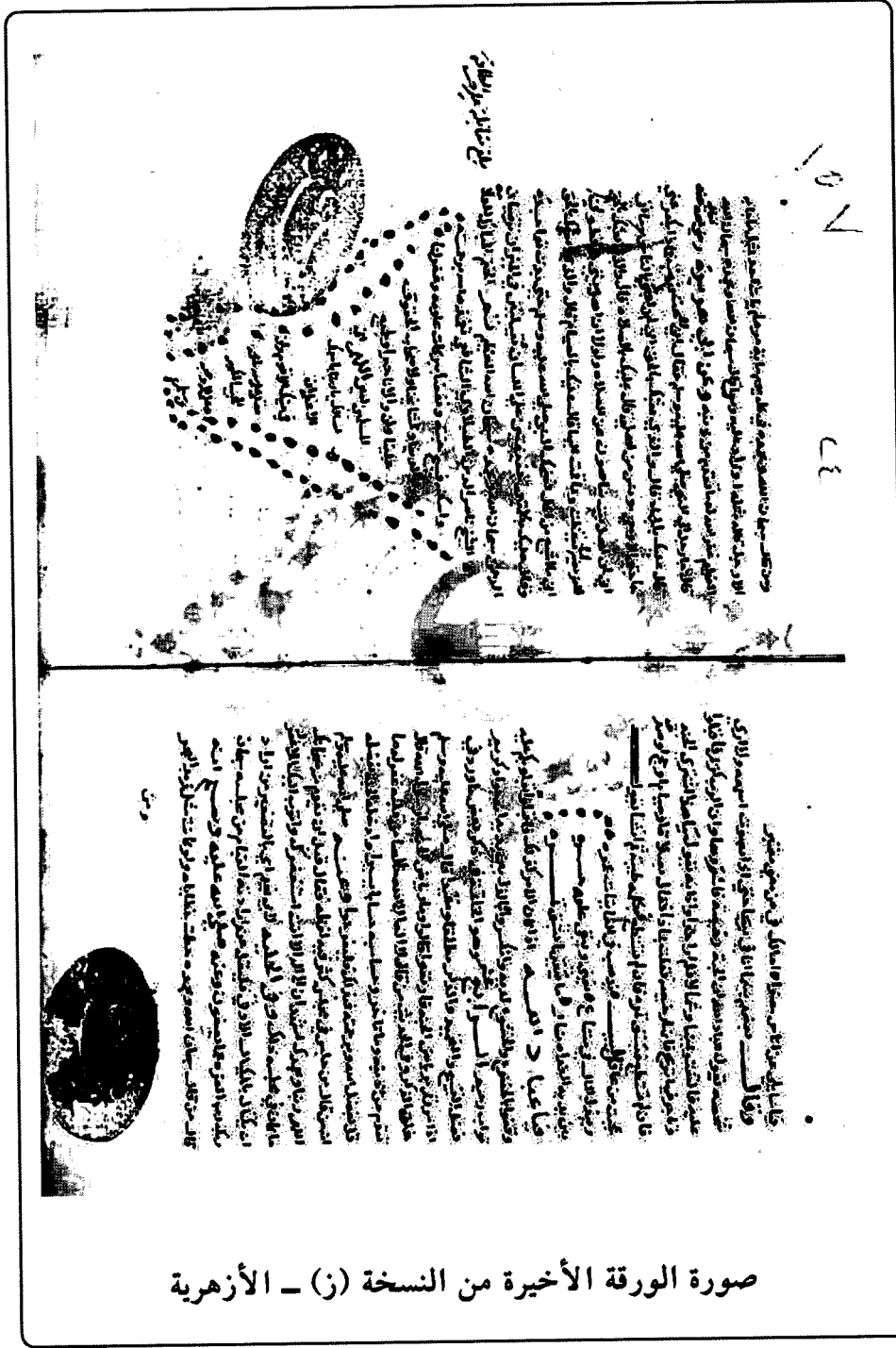


سبحان ربك رب العزة عما يصفون ، وعند علي ادر عليه وسلم من قال  
 سبحان ادر ومحمد حطت خطاياه ولو كانت مثل زبد البحر . ومن قال  
 سبحان ادر ومحمد في كل يوم مائة مرة لم يأت احدا بمثل ما جاء به  
 الا رجل قال مثله او زاد عليه . ومن قال سبحان الله ومحمد سبحان  
 الله العظيم غفر له ما تقدم من ذنبه . وعن أبي هريرة رضي الله  
 عنه قال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وآله فقال اني اتمت بذيبت . فماذا  
 يفتقر عنى قال عليك بالجماد قال والذي بعثك بالحق اني لن ارجن  
 الناس وما اتي حاجتي الا ومعى مولى من اهلي قال عليك بالصلاة  
 قال والذي بعثك بالحق اني لن اهل بيت نبيا من عن الصلاة  
 ولو لان العلي يفتي لو فقط نكح للفر دينة لما يقطعت وما فتت  
 اليها قال عليك بالقيام قال والذي بعثك بالحق ما اشبع من  
 اكل فضلك النبي صلى الله عليه وسلم حتى تدرت نواجره وقال عليك  
 بكلمتين خفيفتين على اللسان ثقيلتين في الميزان يرصيان الرحمن سبحان  
 الله ومحمد سبحان الله العظيم . ثم

الصوم  
 رسول الله



صورة الورقة الأولى من النسخة (ز) - الأزهرية



صورة الورقة الأخيرة من النسخة (ز) - الأزهرية

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: إني أئتمت بذنبي، فماذا يكفر عني؟

قال: «عليك بالجهاد». قال: والذي بعثك بالحق، إني لأمين أجبن الناس، وما أتى حاجتي إلا ومعي مؤنس من أهلي.

قال: «عليك بالصلاة». قال: والذي بعثك بالحق، إني لأمين أهل بيت يتأمون عن الصلاة، ولولا أن أهل بيتي يؤفطونني الفريضة لَمَا يَقَطُّتُ وما قُمْتُ إليها.

قال: «عليك بالصوم». قال: والذي بعثك بالحق، ما أشبع من أكل؛ فصحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجذه وقال: «عليك بكلمتيني تخيفنني على اللسان، ثقلتني في الميزان، تُرهبناو الرحمن؛ سبحانه الله ويخذه، سبحانه الله العظيم»<sup>(٩٨)</sup>.



الحمد لله  
فقد تمت قراءة خطبة رسالة  
على شيخنا العلامة شعيب الأرنؤوط  
شعيب الأرنؤوط حفظه الله  
مطابق محضره في مجلسه في منزله  
قراءة من رواية رتبة ينفعا  
بجميع المساجد

نعم صحيح  
كُتِبَ بِحَسْبِ شَيْبِ الأرنؤوط

(٩٨) أسنده ابن ناصر الدين الدمشقي في «التنقيح في حديث التيسع» (١٢٨) للحاكم، فقال:

حدثنا علي بن حمشاذ، ثنا أحمد بن سلمة، ثنا عبد العزيز بن يحيى، ثنا عبد العزيز بن محمد الدراوردي، عن سهيل بن أبي صالح، عن أبيه، عن أبي هريرة رضي الله عنه وليس في المطبوع منه، وهذا إسناد ضعيف جداً، لأجل عبد العزيز بن يحيى المدني، اتهمه البخاري بالوضع، وكذبه غيره.  
انظر: «ميزان الاعتدال» للذهبي (٥٥٥/٢).

صورة قيد القراءة على شيخنا العلامة شعيب الأرنؤوط  
وإثبات ذلك بخطه





# بداية القاري في ختم البخاري

للإمام العلامة

محمد ناصر الدين بن سماعيل بن علي الطنطاوي

المصري الأزهرى الشافعى

(٨٦٦ - ٩٦٦ هـ ربه الله تعالى)

قُوبِلَ عَلَى أَصْلِ مُؤَلِّفِهِ مَعَ شُخْصٍ أُخْرَى

فُرِئَ فِي مَسْجِدِ هَرَامٍ وَفِي مَسْجِدِ لَدُنْهِ الْمُبَارَكِ

اعْتَنَى بِهِ وَعَلَّقَ عَلَيْهِ

د. محمد بن يوسف الجوراني العقلاي



## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وصلَّى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه

الحمد لله الذي ختم وحيه بإنزاله على أشرف العبيد، وجعل سنته  
مُطَهَّرَةً مَقْرُونَةً بِالْحُجَجِ الْوَاضِحَةِ وَالْتَّايِيدِ، وَنَصَبَ لَهَا أَقْوَامًا أَمَاتُوا  
فِيهَا نَفُوسَهُمْ فَمَا لَهُمْ عَنِ الْحَقِّ مِنْ مَحِيدٍ، وَأَيَقُظُهُمْ لَهَا فَحَمَوْهَا مِنْ  
طُرُقِ الْبَاطِلِ؛ فَصَارَتْ مَحْفُوفَةً بِالْقُوَّةِ وَالتَّسْدِيدِ، الَّذِي شَرَحَ صُدُورَ  
عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ بِلَوَامِعِ التَّسْبِيحِ وَالتَّحْمِيدِ، وَنَوَّرَ قُلُوبَ الْعَابِدِينَ  
بِمَصَابِيحِ التَّكْبِيرِ وَضِيَاءِ التَّمَجِيدِ، وَأَطْلَقَ أَلْسِنَةَ الذَّاكِرِينَ مِنْ قَيْدِ الْغَفْلَةِ  
بِالتَّقْدِيرِ وَحَلَّاهُمْ بِضِيَاءِ حُسْنِ التَّوْحِيدِ<sup>(١)</sup>، وَعَقَلَ الْعُقُولَ بِعِقَالِ<sup>(٢)</sup>  
التَّنْزِيهِ عَنِ الْإِحَاطَةِ بِهِ بِتَكْيِيفٍ، أَوْ رَسْمٍ، أَوْ تَحْدِيدٍ، وَاضْطَفَى مِنْ  
بَيْنِهِمْ سَادَةً سَقَاهُمْ مِنْ شَرَابِ زُلَالٍ مُحَبَّبَةٍ وَصَفْوَةٍ مَعْرِفَتِهِ، فَهُمْ  
الْأَصْفِيَاءُ وَخُلَاصَةُ الْعَبِيدِ، وَرَوْحَ أَرْوَاحِهِمْ بِرَاحِ ارْتِيَاكِ سِرِّ كَرَمِهِ  
الْوَافِرِ وَنَوَالِهِ الْمُتَوَاتِرِ الْمَدِيدِ، وَنَزَّهَ أَلْبَابَهُمْ فِي رِيَاضِ ارْتِيَاكِ رَحْمَتِهِ  
الْوَاسِعَةِ، وَرَأَفَتِهِ الْيَانِعَةِ<sup>(٣)</sup>، وَفَضْلِهِ الْمَزِيدِ، وَخَتَمَ أَعْمَالَهُمْ بِخَاتَمِ

(١) فِي (ت) وَ(ز): «بصفاء التوحيد»، وَفِي (ج): «بضياء التوحيد».

(٢) فِي (ز): «وعقل عقول الموحدين بعقال التنزيه».

(٣) فِي (ج) وَ(ز): «البالغة».

القبُول كما بداها بالمَعُونَةِ والتَّأْيِيدِ، فُسُبْحَانَ مَنْ يَنْصِبُ مَوَازِينَ الْعَدْلِ فِي يَوْمِ الْوَعِيدِ؛ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَهُوَ الرَّشِيدُ السَّعِيدُ، وَمَنْ خَفَّتْ وَلَمْ يَرْحَمْهُ فَهُوَ الشَّقِيُّ الطَّرِيدُ.

أحمدُهُ إِذْ مَنْ عَلَيْنَا بِخَتْمِ «صحيح البخاري» الجامع الفريد، وأشكرُهُ شُكْرًا مَا عَلَيْهِ مِنْ مَزِيدٍ، وأشهدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، شهادةً صادرةً عن يقين، خَالِيَةً<sup>(١)</sup> مِنْ شَوْبِ التَّقْلِيدِ، وأشهدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدَهُ وَرَسُولَهُ، وَحَبِيبَهُ وَخَلِيلَهُ، وَاسِطَةً عَقْدِ الْأَنْبِيَاءِ، وَعَمُودَ الْخِيَمَةِ وَبَيْتَ الْقَصِيدِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَاتَّبَاعِهِ الَّذِينَ سَلَكَوا الْمَنْهَجَ الرَّشِيدَ، وَالْمَسْلَكَ السَّيِّدَ، صَلَاةً وَسَلَامًا دَائِمِينَ مَا دَامَ الْمَوْلَى فَعَالًا لِمَا يُرِيدُ، وبعْدُ...

فهذه نبذة يسيرة، سَمَّيْتُهَا:

### «بداية القاري في ختم البخاري»<sup>(٢)</sup>

نتكلَّم فيها على البابِ الْأَخِيرِ مِنْ كِتَابِ «الجامع الصحيح» للإمام البخاري، سَقَى اللَّهُ عَهْدَهُ صَوْبَ الرَّحْمَةِ وَالرَّضْوَانِ، وَأَفَاضَ عَلَيْهِ شَأْبِيبَ الْغُفْرَانِ، وَأَسْكَنَهُ أَعْلَى الْجَنَانِ، وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ وَالْمُسْتَعَانُ، وَمِنْهُ الْعِصْمَةُ وَعَلَيْهِ التُّكْلَانُ.



(١) في (ز): «خالصة».

(٢) في (ج) و(ز): «ختم صحيح البخاري».

قَالَ الْإِمَامُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ الْبُخَارِيُّ<sup>(١)</sup>:

٥٨ - بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى :

﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ﴾ [الأنبياء : ٤٧]

وَأَنَّ أَعْمَالَ بَنِي آدَمَ وَقَوْلَهُمْ يُوزَنُ

وَقَالَ مُجَاهِدٌ: الْقِسْطُاسُ: الْعَدْلُ بِالرُّومِيَّةِ<sup>(٢)</sup>.

وَيُقَالُ: الْقِسْطُ مَصْدَرُ الْمُقْسِطِ، وَهُوَ الْعَادِلُ.

(١) في كتاب التوحيد، باب (٥٨) حديث (٧٥٦٣) ط: الرسالة العالمية، بتحقيقنا.

(٢) أخرجه عنه الطبري في «جامع البيان» (١٤/٥٩٢ ط: هجر).

تَنْبِيْهُ نَبِيَّةٍ: قَوْلُهُ «بِالرُّومِيَّةِ» يُشِيرُ لِمَسْأَلَةِ وَقُوعِ الْمُعَرَّبِ فِي الْقُرْآنِ، وَهِيَ مَسْأَلَةٌ تَبَايَنْتَ فِيهَا الْأَرْاءُ بَيْنَ مُوَافِقٍ وَمُخَالَفٍ، فَاتَّفَقُوا فِي الْأَعْلَامِ الْعُجْمَةِ، وَاخْتَلَفُوا فِي غَيْرِهَا، وَقَدْ تَوَسَّطَ أَبُو عُبَيْدٍ الْقَاسِمُ بْنُ سَلَامٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَقَالَ بَعْدَ حِكَايَتِهِ خِلَافَ الْفَرِيقَيْنِ: «وَالصَّوَابُ مِنْ ذَلِكَ عِنْدِي - وَاللَّهُ أَعْلَمُ - مَذْهَبٌ فِيهِ تَصْدِيقُ الْقَوْلَيْنِ جَمِيعًا؛ وَذَلِكَ أَنَّ هَذِهِ الْحُرُوفَ أَصُولُهَا عَجْمِيَّةٌ - كَمَا قَالَ الْفُقَهَاءُ - إِلَّا أَنَّهَا سَقَطَتْ إِلَى الْعَرَبِ فَأَعْرَبَتْهَا بِأَلْسِنَتِهَا، وَحَوَّلَتْهَا عَنْ أَلْفَاظِ الْعَجْمِ إِلَى أَلْفَاظِهَا؛ فَصَارَتْ عَرَبِيَّةً، ثُمَّ نَزَلَ الْقُرْآنُ، وَقَدْ اخْتَلَطَتْ هَذِهِ الْحُرُوفُ بِكَلَامِ الْعَرَبِ، فَمَنْ قَالَ: إِنَّهَا عَرَبِيَّةٌ؛ فَهُوَ صَادِقٌ. وَمَنْ قَالَ: عَجْمِيَّةٌ؛ فَهُوَ صَادِقٌ». حَكَاهُ ابْنُ فَارَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي «الصَّاحِبِيِّ» (٤٥) وَارْتِضَاهُ، وَتَابِعَهُ الرَّزْكَشِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي «الْبَرْهَانِ فِي عُلُومِ الْقُرْآنِ» (١/٣٥٧).

وَلِذَا أَحْسَنَ ابْنُ دُرَيْدٍ حِينَ عَرَّفَ الْقِسْطَاسَ، فَقَالَ: «هُوَ: الْمِيزَانُ بِالرُّومِيَّةِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ، إِلَّا أَنَّ الْعَرَبَ قَدْ تَكَلَّمَتْ بِهِ وَجَاءَ فِي التَّنْزِيلِ». =

وأما القاسط: فهو الجائر<sup>(١)</sup>.

= «جمهرة اللغة» (٨٣٦/٢)، فهو يشدُّ من قول أبي عبيد بعريَّتها طالما تكلمت بها العرب وصارت عربية، فنزل القرآن على ما تكلمت به، إلَّا أنَّ الإمام الشاطبي رحمته الله أفاد نكتة مهمة جدًا حين عرض لهذه المسألة في «الموافقات» (١٠١/٢) فقال: «المقصود هنا أن القرآن نزل بلسان العرب على الجملة، فطلَّب فهمه إنَّما يكون من هذا الطريق خاصة؛ لأنَّ الله تعالى يقول: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾ [يوسف: ٢]، وقال: ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ [الشعراء: ١٩٥]، وقال: ﴿لَسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾ [النحل: ١٠٣]، وقال: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ﴾ [فصلت: ٤٤]، إلى غير ذلك ممَّا يدلُّ على أنه عربيٌّ ولسان العرب، لا أنه أعجمي ولا بلسان العجم، فمن أراد تفهمه، فمن جهة لسان العرب يفهم، ولا سبيل إلى تطلُّب فهمه من غير هذه الجهة، هذا هو المقصود من المسألة»، اهـ.

وراجع للاستزادة: «الرسالة» للشافعي (٥٠)، و«المُعَرَّب» للجواليقي (٢٩٩) ودفاع الشيخ شاکر رحمته الله في أصالة عربيَّتها، و«المُهمَّدُ» فيما وقع في القرآن، من المُعَرَّب» للسيوطي (١٢٥، ط: التهامي)، و«معرَّب القرآن، للشيخ حمزة فتح الله دراسة تحليلية نقدية» للدكتور محمد إبراهيم مصطفى (٢٣٨).

(١) ويشهد لهذا الفرق بينهما، قوله سبحانه عن الطائفتين المُقْتَلَتَيْنِ: ﴿فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [الحجرات: ٩]. فذكر «العدل» ثم قال: «وأقسطوا» وهذه الهمزة لسلب وإزالة الجور، وإقامة العدل. وراجع: «النهاية في غريب الحديث والأثر» لابن الأثير (٦٠/٤): «قسط».

إلَّا أنَّ ابن هشام رحمته الله لم يرتضِ صحة القول بهمزة السلب هنا وحكم =

٧٥٦٣ - حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ إِشْكَابٍ، قَالَ<sup>(١)</sup>: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ فُضَيْلٍ، عَنْ عُمَارَةَ بْنِ الْقُعْقَاعِ، عَنْ أَبِي زُرْعَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «كَلِمَتَانِ حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ، خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ».

### الشرح

اعلم أنَّ الكلامَ على هذه الآية الشريفة، وحديث الباب فيه علومٌ شتى، وقواعدٌ لا تُحصى، ووجوهٌ وفوائدٌ لا تُستقصى.

#### \* فَأَمَّا الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ:

فَالْعُلُومُ الَّتِي تُؤْخَذُ مِنْهَا بِالصَّرَاحَةِ، أَوْ تَتَعَلَّقُ بِهَا مِمَّا لَا يَخْفَى عَلَى الْعَارِفِ بِهَا؛ كَمَعْرِفَةِ سَبَبِ نَزُولِهَا، وَمَا فِيهَا مِنْ عِلْمٍ لُغَوِيٍّ، وَاشْتِقَاقِيٍّ، وَصَرْفِيٍّ، وَإِعْرَابِيٍّ، وَمَعْنَوِيٍّ، وَبَيَانِيٍّ، وَبَدِيعِيٍّ، وَقِرَاءَاتِيٍّ، وَرِسْمِيٍّ، وَوَقْفِيٍّ وَابْتِدَآئِيٍّ، وَمَا يَتَعَلَّقُ بِهَا مِنْ أَحْكَامِ اللَّفْظِ وَصِفَاتِهِ،

= بفساده في: «مختصر تذكرة ابن هشام الأنصاري» للبتاني (٣٩٨).  
ويؤيد لـ «مقسط» بالعدل، ما جاء في الحديث من وصف عيسى ﷺ:  
«لَيُوشِكَنَّ أَنْ يَنْزَلَ فِيكُمْ ابْنُ مَرْيَمَ حَكَمًا مُقْسِطًا». البخاري (٢٢٢٢)،  
ومسلم (١٥٥) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.  
ويؤيد لـ «قاسط» بالجور قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا الْفَاسِقُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾  
[الجن: ١٥].

(١) «قال»: ليست في البخاري ولا في إحدى رواياته.

(٢) في الجميع: «رسول الله»، والتَّصْحِيحُ من «الصحيح».

وَكَوْنُهَا آيَةٌ بِاتِّفَاقِ الْعَدَدِ الْمَدْنِيِّ وَغَيْرِهِ، وَكَوْنُهَا مِنَ الْآيِ الْمَكِّيَّةِ، وَكَوْنِ آخَرِهَا فَاصِلَةٌ أَوْ شَبْهَهَا، وَمَعْرِفَةُ رَوِيَّهَا، وَعَدَدُ كَلِمَاتِهَا وَحُرُوفِهَا وَغَيْرِ ذَلِكَ.

وما فيها من عِلْمِ الْفِقْهِ وَأُصُولِهِ، وَأُصُولِ الدِّينِ.

وما فيها من عِلْمِ التَّفْسِيرِ وَالتَّأْوِيلِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا يَسْتَخْرِجُهُ النَّظَرُ الْمَتِينُ، وَالْفِكْرُ الْمُبِينُ<sup>(١)</sup>.

وَالْعُلُومُ الَّتِي تُؤْخَذُ مِنْهَا بِالْإِشَارَةِ عُلُومٌ شَتَّى؛ كَالْتَّصَوُّفِ، وَالطَّبِّ، وَالْحِسَابِ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا يَعْرِفُهُ أَوْلُوا الْأَبَابِ<sup>(٢)</sup>.

وقد أشرنا إلى بعض ذلك في: «هَدَايَةِ الْقَارِي إِلَى خَتَمِ صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ»<sup>(٣)</sup>.

(١) هذا التَّعْدَادُ فِي الْفُنُونِ وَالْأَنْوَاعِ مِنْ عُلُومِ الْقُرْآنِ، بَعْضُهُ مِنْ مَتِينِ الْعِلْمِ، وَالْآخَرُ مِنْ مُلَحِّهِ، وَيُنْظَرُ التَّعْرِيفُ بِهَا فِي أُمَمَاتِ عُلُومِ الْقُرْآنِ، كـ «الْبَرْهَانِ فِي عُلُومِ الْقُرْآنِ» لِلزَّرْكَشِيِّ، وَ«مَوَاقِعُ الْعُلُومِ فِي مَوَاقِعِ النُّجُومِ» لِلْبُلْقَيْنِيِّ، وَ«الْإِتْقَانُ فِي عُلُومِ الْقُرْآنِ» لِلْسَيُوطِيِّ، وَغَيْرِهِمْ.

(٢) وَهَذِهِ الْإِشَارَةُ مِيزَانُهَا وَضَابْطُهَا: الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ الصَّحِيحَةُ، فَمَتَى مَا وَافَقَتْ أَوْ اتَّسَعَ تَرْكِيبُ الدَّلِيلِ لَهَا أَنْسَأْنَا بِهَا، وَمَتَى مَا خَالَفَتْ نَصًّا، أَوْ تَكَلَّفَ لَهَا رُدَّتْ.

وقد مثَّلَ لشيءٍ مِنْ ذَلِكَ الْإِمَامُ السَّيُوطِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «مَعْتَرِكِ الْأَقْرَانِ فِي إِعْجَازِ الْقُرْآنِ» (١/١٧) وَ(٣/٢٠٨).

(٣) هَذَا الْكِتَابُ لِلْمُصَنِّفِ رَحِمَهُ اللَّهُ، وَلَمْ أَقِفْ لَهُ عَلَى ذِكْرِ بَعْدِ طَوْلِ بَحْثٍ، وَهُوَ أَصْلٌ مَا بَيْنَ يَدَيْكَ، كَمَا رَمَقْتَ بَعَيْنِكَ، وَهَذِهِ عَادَةٌ عِنْدَ كَثِيرٍ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ الْمَشْهُورِينَ بِالتَّصْنِيفِ؛ يُصَنِّفُونَ كِتَابًا، وَيُسْهَبُونَ فِي الْإِطَالَةِ =



وبالجُمْلَةِ؛ مَنْ تَحَقَّقَتْ عِنْدَهُ الْحَقَائِقُ الْعِلْمِيَّةُ، وَانْطَبَعَتْ نَفْسُهُ بِالْعُلُومِ الرِّيَاضِيَّةِ، وَانْكَشَفَتْ لَدَيْهِ الدَّقَائِقُ الِيقِينِيَّةُ، وَعَرَفَ الْمُوَازَنَةَ الْحَقِيقِيَّةَ، وَتَحَلَّى بِالنَّسَبِ الْحَكَمِيَّةِ، وَأَظْلَعَ عَلَى سِرِّ الرِّوَابِطِ الطَّبِيعِيَّةِ، وَمُنِحَ بِاللِّطَائِفِ الرَّبَّانِيَّةِ، وَالْأَسْرَارِ اللَّدُنِّيَّةِ؛ لَنْ يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ بِالْكُلِّيَّةِ<sup>(١)</sup>.

= والتوسع؛ في دفعهم ذلك بعد لاختصاره، ومن ذلك هذا الكتاب.  
ومن ذلك أيضًا: مَن صَنَّفَ فِي خَتَمِ الْبُخَارِيِّ كِتَابًا مُطَوَّلًا ثُمَّ اخْتَصَرَهُ:  
الْعَلَّامَةُ الْمُحَدِّثُ أَبُو الْفَضْلِ تَاجُ الدِّينِ مُحَمَّدُ الْقَلْعِيُّ الْمَكِّيُّ (١١٤٩هـ)  
فَقَدْ صَنَّفَ كِتَابَهُ: «تُحْفَةُ السَّارِي فِي خَتَمِ صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ» ثُمَّ اخْتَصَرَهُ  
فِي: «مُنْتَخَبُ الدَّرَارِيِّ فِي خَتَمِ صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ»، فَهِيَ هِيَ يَقُولُ فِي  
(و/١/أ - نسخة مكة): «لَمَّا مَنَّ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيَّ بِخَتَمِ «صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ»  
تَجَاهَ بَيْتَ اللَّهِ، قَبْلَةَ الْقَاطِنِ وَالطَّارِي؛ أَرَدْتُ تَلْخِيصَ «تُحْفَةِ السَّارِي فِي  
خَتَمِ صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ»، مَعَ فَوَائِدَ شَرِيفَةٍ، وَعَوَائِدَ لَطِيفَةٍ، وَسَمَّيْتُهُ:  
«مُنْتَخَبُ الدَّرَارِيِّ فِي خَتَمِ صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ»، اهـ.

(١) مِمَّا يَجِبُ أَنْ يُعْلَمَ أَنَّ مَا يُحْكَى عَنْ بَعْضِ الْمُتَصَوِّفَةِ لَا سِيَّمَا الْمُتَأَخِّرِينَ مِنْهُمْ،  
يَجِبُ عَرْضُهُ عَلَى الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ فَمَا وَافَقَ قُبُلَ وَمَا خَالَفَ رُءُوسًا، وَقَدْ قَرَّرَ ذَلِكَ  
الْإِمَامُ الشَّاطِبِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «الْإِعْتَصَامِ» (١/٣٦٧)، وَهُوَ يُجِيبُ عَنْ بَعْضِ  
مَذَاهِبِ الْمُتَصَوِّفَةِ وَحَالَاتِهِمْ وَإِحْدَاثِهِمْ مَا لَمْ يَأْذَنَ بِهِ الشَّرْعُ؛ فَيَقُولُ: «نَعْرِضُ  
مَا جَاءَ عَنِ الْأَئِمَّةِ عَلَى الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، فَمَا قَبْلَاهُ قَبْلَنَا، وَمَا لَمْ يَقْبَلَاهُ  
تَرْكَنَاهُ، وَلَا عَلَيْنَا إِذَا قَامَ لَنَا الدَّلِيلُ عَلَى اتِّبَاعِ الشَّرْعِ، وَلَمْ يَقُمْ لَنَا دَلِيلٌ عَلَى  
اتِّبَاعِ أَقْوَالِ الصُّوفِيَّةِ وَأَعْمَالِهِمْ إِلَّا بَعْدَ عَرْضِهَا، وَبِذَلِكَ وَصَّى شُيُوخُهُمْ، وَإِنَّ  
كُلَّ مَا جَاءَ بِهِ صَاحِبُ الْوَجْدِ وَالذَّوْقِ مِنَ الْأَحْوَالِ وَالْعُلُومِ وَالْفُهُومِ؛ فَلْيَعْرِضْ  
عَلَى الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، فَإِنْ قَبْلَاهُ صَحَّ، وَإِلَّا لَمْ يَصَحَّ، فَكَذَلِكَ مَا رَسَمُوهُ مِنَ  
الْأَعْمَالِ، وَأَوَّجَهُ الْمَجَاهِدَاتِ، وَأَنْوَاعِ الْإِلْتِمَازَاتِ»، اهـ.

والذي تقتضيه الضرورة هنا شيان:

\* أحدهما: الغرض المسوق من الآية:

وهو كما قال القرطبي<sup>(١)</sup>: المبالغة في أن شيئاً من الأعمال صغيراً كان أو كبيراً غير ضائع عند الله تعالى.

قال: ومعنى قوله تعالى: ﴿وَكَفَىٰ بِنَا حَسِبِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٧]: أي: مُحْصِينَ.

وقال ابن عباس: عالمين حافظين؛ لأن من حسب شيئاً علمه وحفظه<sup>(٢)</sup>.

قال: والغرض منه التحذير؛ فإن المحاسب إذا كان عالماً بحيث لا يمكن أن يفوته شيء وكان في القدرة بحيث لا يعجز عن شيء؛ فحقيق بالعاقل أن يكون شديد الخوف منه<sup>(٣)</sup>.

والحاصل: أن الله تعالى ينصب موازين عدله؛ ليزن بها عمل من

(١) لم أقف على هذا القول عند القرطبي رحمه الله في تفسيره «الجامع» ولا «التذكرة»، ووجدته عند الرازي في «التفسير الكبير» (٢٢/١٥٠).  
والحرف الثاني من قول السدي كما أخرجه ابن أبي حاتم عنه في «تفسيره» (٨/٢٤٥٤).

(٢) انظر: «التفسير الوسيط» للواحدى (٣/٢٤٠)، و«السيط» (١٥/٩٦/٩٧)، و«معالم التنزيل» للبغوي (٥/٣٢٢)، و«لباب التأويل» (٣/٢٧٩)، و«مدارك التنزيل» للنسفي (٢/٤٠٧).

(٣) انظر بنحو هذه الفقرة في: «لباب التأويل» للخازن (٣/٢٧٩)، والرازي في «التفسير الكبير» (٢٢/١٥٠).

شاء من خلقه في يوم قضائه بينهم، فلا ينقص من حسنات المحسن شيئاً وإن قلت، بل قد يزيدُها ويُنمِّيها له، ولا يزيدُ على سيئات المسيء شيئاً بل قد يُنقصُها أو يَمْحوها عنه<sup>(١)</sup>، وهذا هو غاية العدل، وتَمَامُ الإحسانِ والفضلِ، فنسألُ اللهَ الكريمَ المَنَّانَ، ذا الطَّوْلِ والمِنَنِ الحِسانِ؛ أَنْ يَحْفَنَّا بِالْأَلطافِ، وَيَمُدَّنَا مِنْ جَمِيلِ صُنْعِهِ بِالْإِسْعافِ، وَيَرْزُقَنَا إِدَامَةَ النَّظَرِ إِلَى وَجْهِهِ الكريمِ، إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ.

### \* الثاني: فيما يُستفادُ منها مِنَ الأحكام:

يُستفادُ منها: الْحَثُّ عَلَى الْمُلازِمَةِ عَلَى الْعَمَلِ الصَّالِحِ، وَالْمُواظَبَةِ عَلَى الطَّاعَةِ، واجْتِنَابِ الْمَعَاصِي وَإِنْ قَلَّتْ، حَيْثُ يُوزَنُ كُلُّ مِثْقَالٍ مِنْهَا، وَإِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ، وَلَا يُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا، وَلَا يَخْرُجُ عَنْ عِلْمِهِ شَيْءٌ؛ كَبِيرٌ، أَوْ صَغِيرٌ، جَلِيلٌ أَوْ حَقِيرٌ، وَإِنَّهُ عَالِمٌ بِالْجُزْئِيَّاتِ كَالْكُلِّيَّاتِ، وَإِنَّهُ لَا فَرْقَ فِي عَدَمِ الظُّلْمِ مِنْهُ بَيْنَ الْآدَمِيِّ وَغَيْرِهِ، وَإِنَّ جَمِيعَ أَعْمَالِ الْخَلْقِ مَضْبُوطَةٌ، لَا يَفُوتُهُ مِنْهَا شَيْءٌ، وَلَا يَغِيبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ وَدُونِهَا، وَأَنَّ وَزَنَهُ أَكْمَلُ، وَحِسَابُهُ أَتَمُّ وَأَشْمَلُ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا يَسْتَخْرِجُهُ الْفِكْرُ النَّبْهَانُ، وَالْخَاطِرُ الْيَقْظَانُ.

(١) يُسْتَشْنَى مِنْ ذَلِكَ مَنْ كَانَتْ عَلَيْهِ مَظْلَمَةٌ وَحَقٌّ مِنْ حَقُوقِ إِخْوَانِهِ؛ كَمَا فِي حَدِيثِ الْمُفْلِسِ، وَسَيَأْتِي فِي الْبَحْثِ الْعَاشِرِ: «فِي الْمَوْزُونِ لَهُمُ» الْقِسْمُ الثَّالِثُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ.

## \* وأما الحديث:

فغالب العلوم التي ذكرت في الآية يأتي فيه، ويختص ك «هي»  
بأشياء تُشير إلى بعضها مع التعرض لبعض ما في الترجمة على سبيل  
الإجمال؛ فنقول:

اعلم أن الإمام البخاري رحمه الله تعالى جمع في هذه الترجمة  
مع الحديث بين فوائد:

منها: وصف الأعمال بالوزن.

ومنها: إدراج الكلام في الأعمال.

ومنها: وصف الكلمتين بالخفة في اللسان، والثقل في الميزان؛  
فدلّ على أن الكلام يُوزن.

ومنها: أنه ختم كتابه بهذا التسييح، وقد ورد في الحديث ما يدلّ  
على استحباب ختم المجالس بالتسييح، وأنه كفارة لما لعله يقع في  
الكلام من اللغو، وما لا ينبغي، ولما كان مندوباً إليه عند آخر  
المجالس<sup>(١)</sup>، جعل البخاري كتابه كمجلس علم؛ فختمه به، وقصد أن  
يكون آخر كلامه تسبيحاً وتحميداً، كما أنه ابتدأ كتابه بحديث:

(١) يشير إلى حديث كفارة المجلس: فقد أخرج أحمد في «المسند»  
(١٩٧٦٩)، وأبو داود (٤٨٥٩)، والنسائي في «الكبرى» (١٠١٨٧): من  
حديث أبي برزة الأسلمي، قال: كان رسول الله ﷺ يقول بأخرو إذا أراد  
أن يقوم من المجلس: «سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا  
أنت، أستغفرك وأتوب إليك»، فقال رجل: يا رسول الله ﷺ، إنك لتقول  
قولاً ما كنت تقولهُ فيما مضى. فقال: «كفارة لما يكون في المجلس».  
وإسناده صحيح.

«إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ»<sup>(١)</sup> إرادةً لبيان إخلاصه - نعمة الله فيه - ؛ فقد تأدّب ﷺ تعالى في فاتحة كتابه وخاتمة بأداب السنة.

أمّا في الابتداء: فبإخلاص القصد والنية.  
وأمّا في الانتهاء: فبمؤافقة الخواطر للشّرع، ومناقشة النفس على الماضي من النزعات الداخلة في حيز الهفوات<sup>(٢)</sup>.

ففي ترتيب كتابه على هذا الوجه إشعارٌ بما كان عليه المؤلف رحمه الله تعالى في حالتيه أولاً وآخرًا، ظاهرًا وباطنًا، من الإخلاص والتأدّب بالسنة والتأسي بالسلف الصالح<sup>(٣)</sup>.

وقال الشيخ سراج الدين البلقيني: لَمَّا كَانَ أَصْلُ الْعِصْمَةِ أَوَّلًا وَآخِرًا هُوَ تَوْحِيدُ اللَّهِ تَعَالَى ؛ خَتَمَ الْبُخَارِيُّ كِتَابَهُ بِكِتَابِ التَّوْحِيدِ . وَلَمَّا كَانَ آخِرُ الْأُمُورِ الَّتِي يَظْهَرُ بِهَا الْمُفْلِحُ مِنَ الْخَاسِرِ ثِقْلُ الْمَوَازِينِ وَخِفَّتُهَا ؛ جَعَلَهُ آخِرَ تَرَاجُمِ الْكِتَابِ ؛ فَبَدَأَ بِحَدِيثِ : «الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ» ؛ وَذَلِكَ فِي الدُّنْيَا ، وَخَتَمَ بِأَنَّ الْأَعْمَالَ تُوزَنُ ، وَذَلِكَ فِي الْآخِرَةِ ، وَأَشَارَ إِلَى أَنَّهُ إِنَّمَا يُتَقَبَّلُ مِنْهَا مَا كَانَ بِالنِّيَّةِ الْخَالِصَةِ لِلَّهِ تَعَالَى<sup>(٤)</sup>.

(١) أخرجه البخاري (١)، ومسلم (١٩٠٧) من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه.  
(٢) أصل هذه الفوائد ذكرها ابن المنير رحمته الله في كتابه «المتواري على أبواب البخاري» (٤٣٨).

(٣) قاله الكرمانى في «الكواكب الدراري» (٢٥/٢٥١).

(٤) «مناسبات أبواب صحيح البخاري» (٢١٢ - ٢١٦، ط: المعارف) مختصرًا.

وما أحسنَ قولَ العارِفِ بالله؛ أبي الفضلِ بنِ عطاءِ الله<sup>(١)</sup>:  
«الأعمالُ صورةٌ قائمةٌ، وأزواؤها وُجودٌ سرٌّ الإخلاصُ فيها»<sup>(٢)</sup>.  
\* وأما مناسبتُهُ للترجمة:

فظاهرةٌ؛ فإنَّ قوله فيه: «ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ» نصٌّ في أَنَّ الكلامَ  
يُوزَنُ، وَيُسْتَدَلُّ بِهِ عَلَى أَنَّ سَائِرَ الْأَعْمَالِ كَذَلِكَ بَلْ أَوْلَى، وَحِينَئِذٍ فَفِيهِ

(١) هو: أبو الفضل، أحمد بن محمد بن عبد الكريم، ابن عطاء الله  
السكندري، من كبار أهل التصوف الغلاة، وتلميذُ أبي العباس المرسى،  
تلميذُ أبي الحسن الشاذلي شيخ الطريقة الشاذلية الضَّالَّة، وفي كتبه تهاويل  
ومنكرات، وسوء أدب مع الله تعالى وأنبيائه، وهو من أشدَّ خصوم شيخ  
الإسلام ابن تيمية، وقد ادَّعى افتراءً عليه عند السلطان، وألَّب عليه  
مريديه، توفي سنة (٧٠٩هـ)، فالله حسيبه. انظر في ترجمته: «الوافي  
بالوفيات» للصفدي (٣٨/٨)، و«السلوك لمعرفة دول الملوك» للمقريزي  
(٤١٨/٢)، و«الدرر الكامنة» لابن حجر (٣٢٥/١).

وكتابه: «الحكم العطائية» يطرح عقائد المتصوفة الفاسدة، والتي تعتمد  
الدُّوق وتعوّل عليه، وفيها من المخالفات الشرعية الضالّة للكتاب والسنة  
النبوية، من مثل ما يشير إلى وحدة الوجود، وبعض الكلام الباطل  
الكاسل، وطالع ما كتبه الأستاذ محمود الاستانبولي في كتابه: «كتب  
ليست من الإسلام» (٨٧) حيث تناول كتب المتصوفة ببيان المخالفات  
والضلالات فيها.

(٢) انظر: «الحكم العطائية بشرح زروق الفاسي» (٤١) الشرح الحادي عشر له  
- وهو أوسع شروحه لها - . يقول شارحها مُبيناً معنى كلامه:  
ويريد بسرّ الإخلاص: الصدق المُعَبَّر عنه بالتَّبَرِّي من الحَوْل والقُوَّة.  
ومن ثمَّ قال بعضهم: صحَّح عملك بالإخلاص، وصحَّح إخلاصك  
بالتَّبَرِّي من الحَوْل والقُوَّة!

بيان لقوله تعالى في الآية الشريفة: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ﴾؛ أي: ننصبها لوزن أعمال العباد فيها<sup>(١)</sup>.

\* وفيه من اللطائف الصوفية:

الدلالة في الجملة على مواظبة الأذكار وملازمتها، وأن الأوراد المأثورة في الأوقات المعينة؛ لها خصوصيات في المقاصد إذا كانت على وجه الإخلاص<sup>(٢)</sup>.

(١) انظر في مناسبة الترجمة: «الأبواب والتراجم لصحيح البخاري» للكاندهلوي (٨٣٦/٦)، و«لب الباب في التراجم والأبواب» لعبد الحق الهاشمي (٣١٢/٥).

(٢) التزام المسلم والمسلمة في المواظبة على الأذكار الشرعية الواردة عن النبي ﷺ هو عين اتباع السنة، وهو المأمور به في حياتهما، فقصر ذلك مما يفهم من كلام المصنف رحمه الله أن ذلك من لطائف الصوفية محل نظر، لا سيما وأن جل الصوفية لا سيما المتأخرين قل ما يتبعون ما جاء في السنة النبوية الصحيحة، بل غالب ما عندهم أوراد وأحزاب لشييوخهم، أو منحولة لعلماء تفتقر إلى نص شرعي صحيح، ويتركون ورد نبيهم ﷺ فأى تلبس من الشيطان وقع لهم؟!

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «والمشروع للإنسان أن يدعو بالأدعية المأثورة؛ فإن الدعاء من أفضل العبادات، وقد نهانا الله عن الاعتداء فيه؛ فينبغي لنا أن نتبع فيه ما شرع وسن، كما أنه ينبغي لنا ذلك في غيره من العبادات والذي يعدل عن الدعاء المشروع إلى غيره وإن كان من أحزاب بعض المشايخ الأحسن له أن لا يفوته الأكمل الأفضل وهي الأدعية النبوية؛ فإنها أفضل وأكمل باتفاق المسلمين من الأدعية التي ليست كذلك وإن قالها بعض الشيوخ فكيف [وقد] يكون في عين الأدعية ما هو خطأ أو إثم أو غير ذلك. ومن أشد الناس عيباً من يتخذ حزباً ليس بمأثور =

وقد كثرَت عبارة السلف في تفسير الإخلاص .  
فمنها : ما قاله السيد الجليل التستري<sup>(١)</sup> : نَظَر الأَكْيَاسُ في تَفْسِيرِ  
الإخلاصِ ، فما وَجَدُوا غيرَ أن تكونَ حَرَكَةُ العبدِ وَسُكُونُهُ في سِرِّهِ  
وَعَلَانِيَتِهِ لله ﷻ ، لا يُمازِجُهُ نَفْسٌ ولا هَوًى<sup>(٢)</sup> .

\* وَمِمَّا يُسْتَفَادُ مِنْ أَحْكَامِهِ :

طَلَبُ الأَذْكَارِ لِلشَّارِعِ ، وَأَنَّ القَلِيلَ مِنْهَا فِيهِ الثَّوَابُ الجَزِيلُ ، وَإِنَّ  
خِتَامَهُ بِقَوْلِهِ : «ثَقِيلَتَانِ فِي المِيزَانِ» نَصٌّ فِي أَنَّ الأَعْمَالَ تُوزَنُ ، وَأَنَّ سَائِرَ  
التَّكَالِيفِ صَعْبَةٌ شَاقَّةٌ عَلَى النَفْسِ ، وَهَذَا مِنْهَا سَهْلٌ عَلَيْهَا مَعَ أَنَّهُ يُثْقَلُ  
المِيزَانُ .

وقد سُئِلَ بَعْضُ السَّلَفِ ، عَنْ سَبَبِ ثِقَلِ الحَسَنَةِ ، وَخِفَةِ السَّيِّئَةِ ،  
فَقَالَ : لِأَنَّ الجَنَّةَ حَضَرَتْ مَرَارَتُهَا ، وَغَابَتْ حَلَاوَتُهَا ؛ فَثَقُلَتْ ،  
فَلَا يَحْمِلَنَّكَ ثِقَلُهَا عَلَى تَرْكِهَا ؛ وَالسَّيِّئَةُ حَضَرَتْ حَلَاوَتُهَا ، وَغَابَتْ

= عَنْ النَبِيِّ ﷺ وَإِنْ كَانَ حَزْبًا لِبَعْضِ المَشَايخِ وَيَدْعُ الأَحْزَابَ النَبَوِيَّةَ الَّتِي  
كَانَ يَقُولُهَا سَيِّدُ بَنِي آدَمَ ، وَإِمَامُ الخَلْقِ وَحُجَّةُ اللهِ عَلَى عِبَادِهِ ، وَاللهُ أَعْلَمُ .  
«مجموع الفتاوى» (٥٢٥/٢٢) .

(١) هُوَ الإِمَامُ الجَلِيلُ الصَّالِحُ المَشْهُورُ الزَّاهِدُ : أَبُو مُحَمَّدٍ ، سَهْلُ بْنُ عَبْدِ اللهِ  
التُّسْتَرِيِّ ، بَضَمُ التَّاءِ المُثَنَّاةِ مِنْ فَوْقِهَا ، وَسُكُونُ السَّيْنِ المَهْمَلَةِ وَفَتْحُ التَّاءِ  
الثَّانِيَةِ وَبَعْدَهَا رَاءٌ ، هَذِهِ النِّسْبَةُ إِلَى تُسْتَرٍ ، وَهِيَ بَلَدَةٌ مِنْ كُورِ الأَهْوَازِ مِنْ  
خُوزِسْتَانَ ، لَهُ كَلِمَاتٌ نَافِعَةٌ ، وَمَوَاعِظُ حَسَنَةٌ ، وَقَدْ رَاسَخَ فِي الطَّرِيقِ ،  
مَضْبُوطَةٌ بِالكِتَابِ وَالسُّنَّةِ ، تُوْفِيَ ﷺ (٢٨٣هـ) . انْظُرْ فِي تَرْجُمَتِهِ : «وفيات  
الأعيان» لابن خُلِّكَانَ (٤٢٩/٢) ، وَ«سير أعلام النبلاء» لِلذَّهَبِيِّ  
(٣٣٠/١٣) .

(٢) انْظُرْ : «شعب الإيمان» لِلْبَيْهَقِيِّ (٦٤٦٨) .



مرارتها؛ فحقت؛ فلا يحملنك خفتها على ارتكابها<sup>(١)</sup>.

\* ومما اشتمل عليه من الأسرار العظيمة، والنكت الجسيمة:

إثبات التوحيد والتنزيه للرب سبحانه وتعالى عما لا يليق به، واستحقاقه المحامد والممادح، وإثبات البعث، والحساب، والميزان، والجزاء على الأعمال، ودليل أهل السنة على إثبات الميزان وأن الأعمال توزن بها، وأن الرب جلّت عظمتة موصوفاً بما وصف به نفسه وفوق ما يصفه به خلقه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

وهنا أمور

لا بُدَّ مِنَ التَّعَرُّضِ لَهَا وَالإِشَارَةَ إِلَيْهَا

\* الأول: في معنى المحبة المشار إليها في قوله: «كَلِمَتَانِ حَبِيبَتَانِ»:

فإن فيه دليلاً على أنه تعالى يُوصَفُ بِمَحَبَّةِ عَبْدِهِ، كما أن عبده يُوصَفُ بِمَحَبَّتِهِ له تعالى<sup>(٢)</sup>؛ لأنَّ معنى «حَبِيبَتَانِ»: مَحْبُوبَتَانِ عنده؛

(١) أوردته العلامة مُلَّا القاري رَحِمَهُ اللهُ فِي «مِرْقَاةِ الْمِفَاتِيحِ شَرْحَ مَشْكَاةِ الْمَصَابِيحِ» (٢١٠/٥) بقوله: «روي في الآثار: أنه سئل عيسى رَحِمَهُ اللهُ... فذكره».

(٢) ويشهد له صراحة قوله تعالى: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ [المائدة: ٥٤].

لطيفة: يقول الأستاذ سيد قطب رَحِمَهُ اللهُ: «في ظلال القرآن» (٢/٩١٨): «الحبُّ والرَّضَى المُتَبَادَلُ هو الصِّلَةُ بينهم وبين ربهم، الحبُّ هذا الرُّوح =

لاشتمالها على تعظيمه وتنزيهه تعالى من النقائص، ومحبة قائلها؛ لأنهما من النوافل التي يتقرب بها إلى الله تعالى، وقد قال تعالى في الحديث الإلهي: «لا يزال العبد يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه» الحديث<sup>(١)</sup>.

فمعنى محبته لعبده: إرادته الإحسان إليه، والإنعام عليه، أو: هي نفس الإحسان والإنعام.

وقيل: مدحه وثناؤه عليه، وقد أوضحنا ذلك في «هداية القاري»<sup>(٢)</sup>.

= الساري اللطيف الرفاف المشرق لرائق البشوش، هو الذي يربط القوم بربهم الودود.

وحب الله لعبده من عبيده، أمر لا يقدر على إدراك قيمته إلا من يعرف الله سبحانه بصفاته كما وصف نفسه، وإلا من وجد إيقاع هذه الصفات في حسه ونفسه وشعوره وكيونته كلها؛ أجل لا يقدر حقيقة هذا العطاء إلا الذي يعرف حقيقة المعطي... الذي يعرف من هو الله، اهـ.

ولهذا قال أهل العلم: الشأن كل الشأن في أن الله يحبك، لا أنك تحب الله. نسأل الله الكريم من فضله.

(١) أخرجه البخاري (٦٥٠٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) «هداية القاري» سبق الحديث عنه بأنه غير مطبوع.

وما ذكره المصنف رحمته الله من معنى محبة الله لعبده، مخالف لما تقرّر عليه مذهب السلف في إثبات الصفات الاختيار لله عز وجل، ومنها صفة المحبة لله سبحانه وتعالى، وقد جاءت النصوص المتكاثرة من الكتاب والسنة في إثباتها بما يليق بجلاله.

وقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله في «مجموع الفتاوى» (٣٥٤/٢): «فإن الكتاب والسنة وإجماع المسلمين: أثبتت محبة الله لعباده =

وَأَمَّا مَحَبَّةُ الْعَبْدِ لَهُ تَعَالَى: فَهِيَ حَالَةٌ يَجِدُهَا الْعَبْدُ فِي قَلْبِهِ يَحْصُلُ مِنْهَا مَيْلٌ كُلِّيٌّ إِلَى الذَّاتِ الْعَلِيَّةِ، وَالْحَضْرَةِ الْإِلَهِيَّةِ، وَهِيَ أَلْطَفُ مِنْ أَنْ يُعْبَرَ عَنْهَا بِلِسَانٍ، وَأَشْرَفُ مِنْ أَنْ يُشَارَ إِلَيْهَا بِنَانٍ أَوْ بَيَانٍ، وَكَيْفَ يُعْبَرُ عَنْ حَالَةٍ قَتِيلِهَا لَا يُؤْدَى، وَجَرِيحُهَا لَا يُفْدَى.

وَشَادِنٌ وَجْهُهُ نَهَارٌ وَخَذُّهُ الْغَضُّ جُلْنَارٌ  
قُلْتُ لَهُ قَدْ جَرَحْتَ قَلْبِي فَقَالَ جَرَحَ الْهَوَى جُبَارٌ<sup>(١)</sup>  
وَقَالَ بَعْضُهُمْ<sup>(٢)</sup>: مَحَبَّةُ الْعَبْدِ لِلَّهِ تَعْظِيمُهُ لَهُ، وَهَيْبَتُهُ مِنْهُ، وَطَاعَتُهُ

= الْمُؤْمِنِينَ وَمَحَبَّتَهُمْ لَهُ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾، وَقَوْلُهُ: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾، وَقَوْلُهُ: ﴿أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾، وَقَوْلُهُ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾، ﴿يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾، ﴿يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾، ﴿يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾. وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ: «ثَلَاثٌ مَنْ كُنَ فِيهِ وَجَدَ بَهْنَ حِلَاوَةَ الْإِيمَانِ: مَنْ كَانَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا وَمَنْ كَانَ يَحِبُّ الْمَرْءَ لَا يَحِبُّهُ إِلَّا اللَّهُ، وَمَنْ كَانَ يَكْرَهُ أَنْ يَرْجَعَ فِي الْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْقَذَهُ اللَّهُ مِنْهُ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يَلْقَى فِي النَّارِ». وَقَدْ أَجْمَعَ سَلَفُ الْأُمَّةِ وَأَثْمَتُهَا عَلَى إِثْبَاتِ مَحَبَّةِ اللَّهِ تَعَالَى لِعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَحَبَّتِهِمْ لَهُ وَهَذَا أَصْلُ دِينِ الْخَلِيلِ إِمَامِ الْحَنْفَاءِ ﷺ. وَانْظُرْ: «شرح العقيدة الطحاوية» لابن أبي العز ﷺ (٢/٣٩٤).

(١) هما لأبي الفتح البُستِي، كما في «ديوانه» (٨٠) ط: مجمع اللغة بدمشق.

وَأَشْدُهُمَا اسْتِشْهَادًا الْفَيْرُوزُ آبَادِي فِي «بَصَائِرِ ذَوِي التَّمْيِيزِ فِي لَطَائِفِ الْكِتَابِ الْعَزِيزِ» (٢/٣٣٣)، وَعَنْهُ الرَّبِيدِي فِي «تَاجِ الْعُرُوسِ» فِي مَادَّةِ: (جبار).

(٢) انْظُرْ: «الشفا بتعريف حقوق المصطفى» للقاضي عياض (٤٨٠).

له . كما قال القائل :

تَعْصِي الإِلَهَ وَأَنْتَ تُظْهِرُ حُبَّهُ      هَذَا لَعَمْرِي فِي الْقِيَاسِ بَدِيعُ  
لَوْ كَانَ حُبُّكَ صَادِقًا لِأَطْعَمْتَهُ      إِنَّ الْمُحِبَّ لِمَنْ يُحِبُّ مُطِيعُ<sup>(١)</sup>  
وَيَسْتَحِيلُ أَنْ تَكُونَ مَحَبَّةُ الْعَبْدِ إِذْرَاكُهُ لِرَبِّهِ تَعَالَى بِالْكِفِيَّةِ  
وَالْإِحَاطَةِ بِالْأَيْنِيَّةِ<sup>(٢)</sup> ؛ لِأَنَّ حَقِيقَةَ الْحَقَائِقِ الْعَلِيَّةِ ، مُنْزَهَةٌ عَنْ هَذِهِ  
الْأَوْصَافِ الدُّنْيَا .

قَالَ ذُو النُّونِ الْمَصْرِيُّ<sup>(٣)</sup> رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى : رَأَيْتُ فِي بَعْضِ

(١) نُسِبَا لِمَحْمُودِ الْوَرَّاقِ ، كَمَا فِي «الْكَامِلِ» لِلْمُبَرِّدِ (٢/٥١٣) ، وَ«الْعَقْدُ  
الْفَرِيدُ» لِابْنِ عَبْدِ رَبِّهِ (٣/٢١٣) ، وَ«زَهْرُ الْأَدَابِ وَثَمَرُ الْأَلْبَابِ» لِلْحَصْرِيِّ  
(١/١٤١) وَنُسِبَا أَيْضًا لِابْنِ الْمُبَارَكِ رَحِمَهُ اللَّهُ ، كَمَا فِي «إِحْيَاءِ عُلُومِ الدِّينِ»  
لِلْغَزَالِيِّ (٤/٣٣١) ، وَنُسِبَا لِغَيْرِهِمَا أَيْضًا .

(٢) أَمَّا الْكِفِيَّةُ فَنَعَمْ ، وَهُوَ الْقَائِلُ سَبْحَانَهُ : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ  
الْبَصِيرُ﴾ [الشورى : ١١] ، أَمَّا نَفْيُ الْأَيْنِيَّةِ = لَا يَسْأَلُ عَنْ اللَّهِ بِأَيِّنْ؟ فَهَذَا  
الْإِطْلَاقُ مُشْعَرٌ بِإِنْكَارِ عُلُوِّ اللَّهِ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَفَوْقِيَّتِهِ ، وَالْحُجَّةُ لَنَا مَا نَطَقَتْ  
بِهِ الْآيَاتُ الْكَرِيمَةُ ، وَالسُّنَّةُ الصَّحِيحَةُ ، وَأَقْوَالُ أُمَّةِ الْأُمَّةِ النَّصِيحَةُ عَلَى  
عُلُوِّ اللَّهِ تَعَالَى مَعْنَى وَذَاتًا ، وَلَدَفَعَ هَذِهِ الِاسْتِحَالَةَ جَاءَ تَقْرِيرُ هَذِهِ الْمَقَالَةِ .  
وَانْظُرْ لِلْفَائِدَةِ : «الْعُلُوُّ لِلْعَلِيِّ الْعَظِيمِ» لِلْإِمَامِ الذَّهَبِيِّ ، وَ«تَكْحِيلُ الْعَيْنِ  
بِجَوَازِ السُّؤَالِ عَنْ اللَّهِ بِأَيِّنْ» لِلدَّكْتُورِ صَادِقِ بْنِ سَلِيمٍ .

(٣) هُوَ الشَّيْخُ الْوَاعِظُ الزَّاهِدُ شَيْخُ الدِّيَارِ الْمَصْرِيَّةِ ؛ أَبُو الْفَيْضِ ، ثُوبَانُ بْنُ  
إِبْرَاهِيمَ النَّوْبِيُّ الْإِخْمِيَّةِيُّ ، نَسَبُهُ إِلَى إِخْمِيمِ بَلَدَةٍ فِي صَعِيدِ مِصْرَ ، صَاحِبُ  
عِبَارَاتٍ وَثِيقَةٍ ، وَإِشَارَاتٍ دَقِيقَةٍ ، وَلَهُ مِنَ الْفَصَاحَةِ وَالْمَوَاعِظِ النَّافِعَةِ  
مَا يَطْرُبُ لَهَا الْقَلْبُ مِنْ تَأْثِيرِهَا فِيهِ ، تَوَفَّى رَحِمَهُ اللَّهُ سَنَةَ (٢٤٥هـ) . انْظُرْ =

السَّوَا حِلٍ جَارِيَةً عَلَى خَدِّهَا آثَارُ الْمُجَاهَدَةِ، وَفِي وَجْهِهَا آثَارُ  
الْمُشَاهَدَةِ، فَقُلْتُ لَهَا: مِنْ أَيْنَ؟

فَقَالَتْ: مِنْ مَيْدَانِ الْمَحَبَّةِ.

فَقُلْتُ لَهَا: إِلَى أَيْنَ؟

فَقَالَتْ: إِلَى مَنْ حُبُّهُ يُتَمْنَى.

تَقَدَّسَ أَنْ تُحَاطَ ذَاتُهُ بِالْأَيْنِيَّةِ، أَوْ تُوصَفَ مَحَبَّتُهُ بِالْإِحَاطَةِ  
وَالْكِفِيَّةِ، وَإِنَّمَا هُوَ وَصَفٌ عَلَى حَسَبِ إِدْرَاكِ الْعَبْدِ، وَكَلَامٌ بِلِسَانِ  
الْحَيْرَةِ وَالْعَجْزِ.

وَقَالَ الْجُنَيْدُ<sup>(١)</sup>: مَنْ أَثْبَتَ مَحَبَّتَهُ لِلَّهِ مِنْ غَيْرِ مَحَبَّةِ اللَّهِ لَهُ كَانَ فِي  
دَعْوَاهُ مُبْطَلًا؛ لِأَنَّهُ تَعَالَى قَدَّمَ مَحَبَّتَهُ عَلَى مَحَبَّتِهِمْ، وَجَعَلَ مَحَبَّتَهُ  
شَرْطًا، وَبَيَّنَّ أَنَّ ذَلِكَ تَفْضُّلٌ مِنْهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فَقَالَ: ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ  
يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ [المائدة: ٥٤].

= ترجمته: «طبقات الصوفية» للسُّلَمي (١٥)، وتوسَّع فيها أبو نعيم في  
«حلية الأولياء» (٣٣١/٩، ٤/١٠).  
ولم أقف على مصدر حكايته.

(١) هو الإمام العالم العامل الفقيه، أبو القاسم الجنيد بن محمد بن محمد بن الجنيد  
الخزاز، ضبط سلوكه كما قال: عَلِمْنَا مضبوطًا بالكتاب والسُّنَّة؛ مَنْ  
لم يحفظ القرآن ولم يكتب الحديث ولم يتفقَّه لا يُقْتَدَى به. توفي رَحِمَهُ اللَّهُ سنة  
(٢٩٧هـ). انظر ترجمته: «طبقات الصوفية» للسُّلَمي (١٥٥)، و«حلية  
الأولياء» لأبي نعيم (٢٥٥/١٠).

وانظر قوله عند السُّلَمي في «حقائق التفسير» (١٧٩/١).

وهذا يُشبه قول الواسطي<sup>(١)</sup>: «بَفَضْلِهِ أَحَبَّهُمْ وَأَحْبُوهُ، كما أَنَّهُ بِفَضْلِهِ ذَكَرَهُمْ وَذَكَرُوهُ»<sup>(٢)</sup>.

وَمَحَبَّةُ اللَّهِ تَعَالَى إِذَا دَخَلْتَ قَلْبَ عَبْدٍ أَخْرَجَتْ مَا سِوَاهُ.

قيل: أَوْحَى اللَّهُ تَعَالَى إِلَى دَاوُدَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: يَا دَاوُدُ، إِنِّي حَرَمْتُ عَلَى الْقُلُوبِ أَنْ يَدْخُلَهَا حُبِّي، وَحُبُّ غَيْرِي<sup>(٣)</sup>.

(١) لعله أبو بكر الواسطي؛ وهو بكلامه أشبه، فإن يكن هو؛ فهو محمد بن موسى، يعرف بابن الفرغاني؛ نسبة لفرغانة كورة بما وراء النهر، متاخمة لبلاد تركستان، وهو من قدماء أصحاب الجُنيد، عالم بالأصول وعلوم الظاهر، توفي رَحِمَهُ اللَّهُ (٣٢٠هـ). انظر ترجمته في: «طبقات الصوفية» للسلمي (٣٠٢)، و«حلية الأولياء» لأبي نعيم (٣٤٩/١٠).

(٢) قول الواسطي حكاه عنه السُّلَمي في «حقائق التفسير» (١٧٩/١) لكنه قال: «وسمعت السلامي يقول في قوله: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ بِفَضْلِ حُبِّهِ لَهُمْ أَحْبُوهُ، كذلك ذكرهم بفضل ذكره لهم ذكروه». والظنُّ أَنَّ السلامي تحريف من الواسطي، ويُقَوِّي هذا، أَنَّ الألوَسي نقل هذا القول في «روح المعاني» (٢٥٣/٧ - ٢٦٢) ونسبه له، ثم أورد تعقُّب الزمخشري عليه. وتعليقه على تعقيبه من كلام ابن المنير.

هكذا قلتُ بعد أَن خَلَصْتُ من طول البحث وجرَّد كُتُب كثيرة للوقوف على هذه الكلمة للواسطي، دامت شهراً كاملاً، حتَّى وقفتُ بفضل الله ومَنِّه بعد هذا كُلِّهِ من التعب المُضني على «الكواكب الدُّرية في طبقات الصوفية» للزَّين المناوي (١٦٢/٢) فوجدتها منسوبةً لأبي بكر الواسطي؛ ابن الفرغاني صاحبنا، فالحمد لله على توفيقه، فلا تَسْتَطِلُّ يا أَخِي هذه التعليقة، فوالله ما جاءت إلَّا بعد قراءةٍ وكَد، فخذُها يدًا بيد.

(٣) أورده ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في «روضة المحبين» (٥٥٣) ط: عالم الفوائد.

ولله درُّ القائل حيث يُقولُ:

فلم تهوني ما لم تكن في فانيا ولم تفن ما تجتلى فيك صورتني<sup>(١)</sup>

(١) عفا الله عن المؤلف في قوله: «ولله در القائل» كيف وهو عمر بن علي المعروف بابن الفارض (٦٣٢هـ)، وهذا البيت من تائيته الكبرى المُسمَّاة: «نظم السلوك» كما في «ديوانه» (٥٥)، وفيها تقرير لمذهب الاتحاد = وحدة الوجود، فهو أحد الغلاة الموغلين فيها، فأنى يقال: «لله درُّ القائل»؟ وقد ذمَّ مذهبه جمع من أهل العلم، ورموه بالزندقة.

فها هو شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ يقول عنه: «وابن الفارض من متأخري الاتحادية صاحب القصيدة التائية المعروفة «بنظم السلوك»، وقد نظم فيها الاتحاد نظماً رائق اللفظ فهو أخبث من لحم خنزير في صينية من ذهب، وما أحسن تسميتها بنظم الشكوك، الله أعلم بها وبما اشتملت عليه، وقد نفقت كثيراً وبالعصر أهل العصر في تحسينها والاعتداد بما فيها من الاتحاد». «مجموع الفتاوى» (٧٣/٤).

وهذا الإمام الذهبي رَحِمَهُ اللهُ يقول عن «تائيته»: «صاحب الاتحاد الذي ملأ به التائية، فإن لم يكن في تلك القصيدة صريح الاتحاد الذي لا حيلة في وجوده، فما في العالم زندقة ولا ضلال، اللهم ألهمنا التقوى وأعذنا من الهوى، فيا أئمة الدين ألا تغضبون لله؟ فلا حول ولا قوة إلا بالله». «سير أعلام النبلاء» (٣٦٨/٢٢).

ويقول أيضاً: «يُنْعَقُ بالاتحاد الصريح في شعره، وهذه بلية عظيمة، فتدبرْ نظمه ولا تستعجل، ولكنك حسن الظن بالصوفية، وما ثم إلا زِيُّ الصوفية وإشارات مُجمَلة، وتحت الزِيِّ والعبارة فلسفة وأفاعي، فقد نصحتك، والله الموعد». «ميزان الاعتدال» (٢٢٣/٣).

وقد نقض هذه التائية بعد توبة من العيش في رحابها، الشيخ خليل سليمان في رسالته: «السيل العارض في نقض تائية ابن الفارض» ط: المكتب =

وقال معروف الكرخي<sup>(١)</sup>: المَحَبَّةُ؛ ارتياح الذات لمشاهدة الصفات، أو مشاهدة أسرار الصفات، فيرى بلوغ السؤل، ولو لمشاهدة الرسول.

ولهذا كانت الصحابة رضي الله تعالى عنهم إذا اشتد بهم الشوق، وأزعجتهم لواعج المحبة؛ فصدوا رسول الله ﷺ واستشفوا بمشاهدته، وتلذذوا بالجلوس معه ورؤيته<sup>(٢)</sup>.

حكى أن امرأة مسرفة على نفسها كانت تدعو في أكثر أوقاتها: اللهم أرني محمدًا رسولك في منامي.

ف قيل لها: أي حاجة تسألينه إذا رأيته؟

ف قالت: أشتهي النظرة إليه فحسب.

= الإسلامي، ولخص لك فحوى تائية ابن الفارض بقوله:

ومن يقتري نظم السلوك تدبراً يجدها مزيجاً فيه من كل ملة  
سوى الملة الأهدى فليست بنظمها كذاك الهدى يأبى نظام المصلحة  
(١) هو العالم العامل علم الزهاد، أبو محفوظ، معروف بن الفيروزان،  
الكرخي؛ نسبة لكرخ بغداد، أشهر الزاهدين في الدنيا، ومن جلة المشايخ  
المعروفين بالورع، اتخذ الجهلة قبره للاستشفاء وطلب الحوائج، على  
قوله اشتهرت؛ غير جائزة ولا مرضية: «قبره ترياق مجرب»! فزين لهم  
الشیطان اعتقاداً فاسداً، وعملاً كاسداً، نسأل الله السلامة والعافية.  
توفي ﷺ (٢٠٠هـ)، انظر ترجمته: «طبقات الصوفية» للسلمي (٨٣)،  
و«حلية الأولياء» لأبي نعيم (٣٦٠/٨).

(٢) انظر: «الشفاء بتعريف حقوق المصطفى» للقاضي عياض (٤٩٦) فصل:  
فيما روي عن السلف والأئمة من محبتهم للنبي ﷺ وشوقهم له.



فلَمَّا ماتت، رُئيت في المنام، فقليل لها: ما فعلَ الله بك؟ قالت: غَفَرَ لي. قيل: بماذا؟ قالت: بِمَحَبَّتِي لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ وشَهَوَتِي النَّظَرَ إِلَيْهِ، فَنُودِيْتُ: مَنْ اشْتَهَى النَّظَرَ إِلَى حَبِيبِنَا، نَسْتَحْيِ أَنْ نُذَلَّه بِعِتَابِنَا، بَلْ نَجْمَعُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَنْ يُحِبُّهُ<sup>(١)</sup>.

هذا والكلام في المحبة بحرٌ زاخرٌ، لا يُدرُكُ له قَرَارٌ ولا آخِرُ<sup>(٢)</sup>.

**\* الثاني: في وجه تخصيص اسمه «الرحمن» دون غيره من الأسماء الحسنى<sup>(٣)</sup>:**

وذلك أنه ثبت من محاسن البديع الواقع في الكتاب العزيز وغيره من الكلام الفصيح: أنه لا يُذكرُ في كلِّ محلٍّ إلا الاسم اللائقُ به<sup>(٤)</sup>؛

(١) أوردتها القسطلاني ﷺ في «المواهب اللدنية بالمنح المحمدية» (٢/٦٤٠)، ومثل هذه الحكايا والمنامات لا يُعوَّل عليها، ولا سيَّما وفيها ما يخالف كتاب الله وسنة نبيِّنا ﷺ، من ترك اتِّباع الأوامر المرعية، والابتعاد عن النَّواهي الشرعية، وإيراد مثل هذه المنامات تسويغ للمسرفين والبطالين والكُسالى مهما صدر منهم.

(٢) يطالع للفائدة: «روضة المُحبِّين ونزهة المشتاقين»، ومنزلة المحبة في «مدارج السالكين» (٣/٤٢٩ ط: طيبة) كلاهما للإمام ابن قيم الجوزية ﷺ. (٣) انظر: «الكواكب الدراري شرح البخاري» للكرماني (٢٥/٢٥٠)، و«فتح الباري» لابن حجر (١٣/٥٤٠)، و«إرشاد الساري» للقسطلاني (١٠/٤٨٣).

(٤) انظر ما كتبه الشيخ العلامة عبد الرحمن السعدي ﷺ في كتابه النَّفيس: «القواعد الحسان المتعلقة بتفسير القرآن» (٥١)، قاعدة: ختم الآيات بأسماء الله الحسنى يدلُّ على أن الحكم المذكور له تعلق بذلك الاسم =

كقوله تعالى: ﴿اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا﴾ [نوح: ١٠]، ﴿وَأَرْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ [المائدة: ١١٤]، فكذا هنا لما كان جزاء من يُسَبِّح بِحَمْدِهِ الرَّحْمَةَ ذَكَرَ فِي سِيَاقِهَا الْأَسْمُ الْمُنَاسِبُ لَهَا، وهو «الرَّحْمَن».

وأيضًا: فالمراد من هذا الحديث بيان سعة رحمة تعالى على عباده، حيث يُجازي على العمل القليل بالثواب الجزيل، وليس في الأسماء الحُسنى بعد الجلالة الشريفة أخص بالذات المقدسة العلية من اسمه «الرَّحْمَن» يُؤيِّده: ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ﴾ [الإسراء: ١١٠]؛ ففيه إشارة لأنَّ اسمه الرَّحْمَن عَدْلٌ لِلْجَلَالَةِ الْكَرِيمَةِ، ومن ثمَّ كان الْمُخْتَارُ أَنَّهُ عَلَّمَ لَا وَصَفٌ<sup>(١)</sup>.

وبالجُملة؛ فالْمُنَاسِبُ لِلْمَقَامِ هُوَ الرَّحْمَن، وقد رُوِيَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قال: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى جَعَلَ الرَّحْمَةَ مِثْلَ جُزْءٍ، فَأَمْسَكَ عَنْهُ تِسْعًا وَتِسْعِينَ جُزْءًا، وَأَنْزَلَ فِي الْأَرْضِ جُزْءًا وَاحِدًا؛ فَمِنْ ذَلِكَ الْجُزْءِ يَتَرَاخَمُ الْخَلْقُ، حَتَّى تَرْفَعَ الْفَرَسُ حَافِرَهَا عَنْ وَلَدِهَا خَشْيَةً أَنْ تُصِيبَهُ»<sup>(٢)</sup>.

= الكريم، فقد أفاض في تبيانها بضرب الأمثلة الكثيرة، فانظره إن رُمَتْ عظيم فائدة.

(١) بل هو عَلَّمَ وَصِفَةً، ولا يُنافي أحدهما الآخر على الصَّحیح، وطالع: «بدائع الفوائد» لابن قيم الجوزية (٤٠/١) في نكتة بديعة ﷺ، و«القواعد المثلى في صفات الله تعالى وأسمائه الحسنى» لشيخنا العلامة ابن عثيمين ﷺ (١١ - ١٩).

(٢) أخرجه البخاري (٦٠٠٠) ومسلم (٢٧٥٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وَرَوَى صَاحِبُ «نَرْجِسِ الْقُلُوبِ»<sup>(١)</sup> : أَنَّهُ يُؤْتَى بِالْعَبْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؛  
فِيَوْمَرُ بِهِ إِلَى النَّارِ، فَيَقُولُ: إِلَهِي، قَدْ سَمَّيْتَ نَفْسَكَ الرَّحْمَنَ، وَتُرِيدُ  
أَنْ تُعَذِّبَنِي بِالنَّارِ، فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: أَنَا كَمَا سَمَّيْتَ نَفْسِي يَا مَلَائِكَتِي،  
أَدْخِلُوا عَبْدِي الْجَنَّةَ.

### \* الثَّالِثُ: فِي مَعْنَى التَّسْبِيحِ وَالْحَمْدِ:

يُطْلَقُ عَلَى التَّسْبِيحِ وَيُرَادُ بِهِ جَمِيعُ أَلْفَاظِ الذِّكْرِ، وَيُطْلَقُ عَلَى  
التَّعَجُّبِ، وَعَلَى التَّبَاعُدِ، وَعَلَى الصَّلَاةِ، وَعَلَى غَيْرِ ذَلِكَ<sup>(٢)</sup>.

وَأَصْلُهُ: التَّنْزِيهُ وَالْبَرَاءَةُ مِنَ النَّقَائِصِ، فَمَعْنَى «سُبْحَانَ اللَّهِ»:  
تَنْزِيهًا لِلَّهِ، أَي: أَنْزَهُهُ تَنْزِيهًا عَمَّا لَا يَلِيقُ بِهِ تَعَالَى وَتَقَدَّسَ<sup>(٣)</sup>.

وَالْحَمْدُ لُغَةً<sup>(٤)</sup>: الْوَصْفُ الْجَمِيلُ الْاِخْتِيَارِيُّ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا، وَمِنْ  
ثُمَّ قُدِّمَ التَّسْبِيحُ عَلَيْهِ؛ لِأَنَّ الْأَوَّلَ يُفِيدُ التَّخْلِيَةَ، وَالثَّانِي يُفِيدُ التَّحْلِيَةَ،

(١) هو «نرجس القلوب والదال إلى طريق المحبوب» لابن الجوزي رحمته الله،  
مخطوط، كما أفاده صاحب «كشف الظنون» (١٩٢٧/٢)، ولا أعلمه  
مطبوعاً.

(٢) انظر: «التفسير البسيط» للواحدي (٢٤٣/١٣)، و«فتح الباري» لابن حجر  
(٢٠٦/١١)، و«التحرير والتنوير» لابن عاشور (٤٠٥/١).

(٣) انظر: «الصحاح» للجوهري، و«النهاية في غريب الحديث» لابن الأثير،  
مادة: «سبح».

(٤) انظر معنى الحمد: «جامع البيان» للطبري (١٣٥/١)، و«معاني القرآن»  
للنحاس (٥٧/١)، و«مفردات ألفاظ القرآن» للراغب (٢٥٦)، و«التحرير  
والتنوير» لابن عاشور (١٥٤/١).

والتَّظْمُ الطَّبِيعِيُّ يَقْتَضِي إثباتَ التَّخْلِيَةِ أَوَّلًا، ثُمَّ التَّحْلِيَةَ ثَانِيًا؛ فكَأَنَّهُ قال: أُنَزَّهَ اللهُ تَعَالَى وَأَقْدَسُهُ عَنْ جَمِيعِ النَّقَائِصِ، وَأَصِفُهُ وَأُثْنِي عَلَيْهِ بِجَمِيعِ الْكَمَالَاتِ<sup>(١)</sup>.

وقيل<sup>(٢)</sup>: إِنَّ أَصْلَ التَّسْبِيحِ مِنَ السَّبْحِ وَالسَّابْحَةِ؛ أَي: الْجَرِيِّ فِي طَاعَةِ اللهِ تَعَالَى<sup>(٣)</sup>؛ فَكَأَنَّ الْمُسَبِّحَ يَسْبِّحُ بِقَلْبِهِ فِي مَجَارِي مَلَكُوتِهِ، وَعَلَى هَذَا فَأَصْحَابُ التَّسْبِيحِ مُخْتَلِفُونَ، فَالطَّالِبُ يُسَبِّحُ بِقَلْبِهِ فِي بَحَارِ فِكْرِهِ، وَالْعَارِفُ يُسَبِّحُ بِرُوحِهِ فِي بَحَارِ التَّعْظِيمِ، وَبِسِرِّهِ فِي بَحَارِ الْمَلَكُوتِ، فَإِنَّ أَيْدِيَهُ اللهُ تَعَالَى بَقَطْعِ الْعَقَبَاتِ وَالْمَفَاوِزِ الْمُهِلِكَاتِ؛ أَدْرَكَ جَوَاهِرَ التَّوْحِيدِ، وَتَخَصَّصَ بِخَصَائِصِ التَّفْرِيدِ، وَهَذَا هُوَ الَّذِي يُسَلِّمُ لَهُ عَلَى الْحَقِيقَةِ أَنْ يَقُولَ: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ.

واعلم أَنَّ تَنْزِيهَهُ تَعَالَى يَكُونُ بِالْقَوْلِ وَالْبَيَانِ مَرَّةً، وَبِالاعتقادِ وَالْعَمَلِ أُخْرَى؛ كَالْتَّحْمِيدِ، وَلَا يَصِحُّ ذَلِكَ إِلَّا بَعْدَ كَمَالِ الْمَعْرِفَةِ وَالتَّحْقِيقِ بَعْلَمِ التَّوْحِيدِ، فَإِنَّ حَقِيقَةَ التَّسْبِيحِ تَقْدِيسُ الْحَقِيقَةِ عَنْ مُشَابَهَةِ

(١) يقول الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: «وَلَمَّا كَانَ التَّسْبِيحُ يَتَضَمَّنُ التَّنْزِيهَ وَالتَّبَرُّهَ مِنَ النِّقْصِ بِدَلَالَةِ الْمَطَابَقَةِ، وَيَسْتَلْزِمُ إِثْبَاتَ الْكَمَالِ، كَمَا أَنَّ الْحَمْدَ يَدُلُّ عَلَى إِثْبَاتِ صِفَاتِ الْكَمَالِ مَطَابَقَةً، وَيَسْتَلْزِمُ التَّنْزِيهَ مِنَ النِّقْصِ؛ قَرَنَ بَيْنَهُمَا فِي هَذَا الْمَوْضِعِ، وَفِي مَوَاضِعَ كَثِيرَةٍ مِنَ الْقُرْآنِ». «تفسير القرآن العظيم» (٤٦/٧ ط: طيبة).

(٢) هذا القول: مقتطفات من كلام القشيري رَحِمَهُ اللهُ فِي «التَّحْبِيرِ فِي التَّذْكِيرِ» (٤٣ - ٤٩) فِي مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾.

(٣) انظر: «مفردات ألفاظ القرآن» للراغب (٣٩٢).

الْخَلِيقَةِ، وَإِفْرَادُ الْحَقِّ عَنْ مُشَابَهَةِ الْخَلْقِ، وَلَا يَصْحُحُ مِنَ الْعَبْدِ حَقِيقَةُ التَّنْزِيهِ حَتَّى يُنَزَّهَ عَنْ أَوْصَافِهِ الذَّمِيمَةِ، وَيُنَزَّهَ نَفْسَهُ عَنِ الشَّهَوَاتِ الْوَحِيمَةِ، فَإِنَّ صَاحِبَ الشَّهْوَةِ مَحْجُوبٌ عَنِ اللَّهِ تَعَالَى فِي جَمِيعِ حَالَاتِهِ، مَا دَامَ مُتَلَبِّسًا بِشَهَوَاتِهِ.

قيل: أَوْحَى اللَّهُ تَعَالَى إِلَى دَاوُدَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: أَنْ حَذَرَ أَصْحَابَكَ الشَّهَوَاتِ، فَإِنَّ الْقُلُوبَ الْمُتَعَلِّقَةَ بِشَهَوَاتِ الدُّنْيَا عُقُولُهَا عَنِّي مَحْجُوبَةٌ<sup>(١)</sup>.

فَيَنْبَغِي لِلْعَارِفِ أَنْ يُقَدِّسَ أَعْمَالَهُ مِنَ الرِّيَاءِ وَالْمُصَانَعَاتِ وَالتَّنَزُّيْنِ لِلْمُخْلُوقِينَ؛ بِإِظْهَارِ الطَّاعَاتِ، فَإِنَّهُ تَعَالَى لَا يَقْبَلُ مِنَ الْأَعْمَالِ إِلَّا مَا كَانَ خَالِصًا فِي جَمِيعِ الْحَالَاتِ.

وَأَوَّلُ الْأَشْيَاءِ لِمَنْ يُرِيدُ أَنْ يَصْفَوْ تَسْبِيحُهُ وَيَكْمُلَ تَلْمِيحُهُ، أَنْ يُجَرِّدَ قَلْبَهُ عَنِ الْأَغْيَارِ، وَيَصُونَ سِرَّهُ عَنِ التَّدَنُّسِ بِالْآثَارِ، وَيُقَدِّسَ أَعْمَالَهُ عَنِ الْآثَامِ، وَمَالَهُ عَنِ الْحَرَامِ؛ فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَازَ بِالْقُرْبَةِ وَالْأَمَانِ، وَاسْتَحَقَّ أَنْ يُسَدَّى إِلَيْهِ مِنْ تَمَامِ الْإِحْسَانِ.

**\* الرَّابِعُ: فِي وَجْهِ خَتْمِ الْحَدِيثِ بِاسْمِهِ «الْعَظِيمِ»، وَبَيَانِ مَعْنَاهُ<sup>(٢)</sup>:**

فَنَقُولُ إِنَّمَا خَتَمَ بِهِ؛ لِيَجْمَعَ بَيْنَ مَقَامَي الرَّجَاءِ وَالْخَوْفِ، فَإِنَّهُ ذَكَرَ

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الجوع» (١٥٨).

(٢) هذا الوجه مستفادٌ مع تقديم وتأخير من: «التنقيح في حديث التسبيح» لابن ناصر الدين الدمشقي (١٥٤)، وعنه نقل السخاوي أيضًا في «عمدة القاري والسامع في ختم الصحيح الجامع» (٨٥، ٨٦).

في ابتدائه الرَّحْمَنَ، ومعناه يَرْجِعُ إِلَى الْإِنْعَامِ وَالتَّفْضِيلِ وَالْإِحْسَانِ بِالرَّحْمَةِ الَّتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ عَلَى مَا مَرَّ.

وَمَعْنَى «العظيم»: يَرْجِعُ إِلَى الْهَيْبَةِ وَالْإِجْلَالِ، وَاسْتِحْقَاقِهِ صِفَاتِ الْعُلُوِّ وَالْمَجْدِ وَرِفْعَةِ الْقَدْرِ وَالْكَمَالِ، فَإِذَا اسْتَحْضَرَ الذَّاكِرُ ذَلِكَ لَمْ يَمْنَعْهُ رَجَاءُ الرَّحْمَةِ وَالْإِفْضَالِ الْخَوْفَ مِنْ هَيْبَةِ اللَّهِ تَعَالَى ذِي الْعَظَمَةِ وَالْجَلَالِ، وَلَا تَمْنَعُهُ رَحْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى وَتَوَالِي إِفْضَالِهِ مِنْ خَوْفِهِ مِنْ اللَّهِ تَعَالَى وَهَيْبَتِهِ وَجَلَالِهِ، فَيَكُونُ الذَّاكِرُ بِهِ فِي جَمِيعِ أَحْوَالِهِ خَائِفًا رَاجِيًا؛ لِأَنَّهُ ﴿لَا يَأْتِسُّ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧]، وَلَا ﴿يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [الأعراف: ٩٩]، وَحِينَئِذٍ، فَهُوَ عَلَى حَدِّ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَيَدْعُوكَ رَعْبًا وَرَهْبًا﴾ [الأنبياء: ٩٠]، وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾ [الإسراء: ٥٧].

### \* الْخَامِسُ: فِي وَجْهِ تَكْرِيرِ التَّنْزِيهِ وَفَوَائِدَ أُخَرُ:

اعْلَمْ أَنَّهُ إِنَّمَا كَرَّرَ التَّنْزِيهِ؛ طَلَبًا لِلتَّأْكِيدِ وَاعْتِنَاءً بِشَأْنِ التَّنْزِيهِ وَالتَّفْرِيدِ، فَإِنَّ الْمُرَادَ مِنْ قَوْلِهِ: «سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ» بَعْدَ قَوْلِهِ: «سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ» تَأْكِيدُ التَّنْزِيهِ وَالْبَرَاءَةِ وَالطَّهَارَةِ وَالتَّقْدِيسِ لِلَّهِ تَعَالَى وَالْمُبَالَغَةِ فِيهِ؛ لِأَنَّ الْإِعْتِنَاءَ بِشَأْنِ التَّنْزِيهِ مَرْغُوبٌ فِيهِ وَمَطْلُوبٌ، وَقَدْ رُوِيَ عَنِ الْأَوْزَاعِيِّ<sup>(١)</sup> أَنَّهُ قَالَ: بَلَغَنِي أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ:

(١) هو إمام أهل الشام في الفقه والحديث، وشيخ الإسلام، المحدث الفقيه المرابط، أبو عمرو، عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي، من جميل أقوله: «كان هذا العلم كريماً، يتلاقاه الرجال بينهم، فلمَّا دخل في =

وَعَزَّتِي وَجَلَالِي لَوْ يَعْلَمُ الْعِبَادُ قَدْرَ عَظَمَتِي مَا عَبَدُوا غَيْرِي<sup>(١)</sup>.

وسئل بعضهم: عن عظمة الله تعالى؟

فقال: ما تقولون فيمن له عبدٌ واحدٌ له ستُّ مئة ألف جناح،  
لو نشرَ منها جناحًا لَسَدَّ الْخَافِقِينَ<sup>(٢)</sup>.

وروي عن ابن عباس مرفوعًا قال: إِنَّ اللَّهَ مَلَكًا لَوْ قِيلَ لَهُ: اتَّقِ  
السَّمَوَاتِ السَّبْعَ وَالْأَرْضِينَ السَّبْعَ؛ لَفَعَلَ؛ تَسْبِيحُهُ: سُبْحَانَكَ حَيْثُ  
كَنتَ<sup>(٣)</sup>.

= الكتب، دخل فيه غيرُ أهله»، توفي ﷺ مرابطًا في بيروت (١٥٧هـ).  
انظر ترجمته في: «حلية الأولياء» لأبي نعيم (٥٦/٦)، و«سير أعلام  
النبلاء» للذهبي (١٠٧/٧).

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في «صفة الجنة» (٢٦٤).

(٢) أورده السخاوي في «عمدة القاري» (٨٣) أنه من قول مالك بن دينار ﷺ.  
وهو يشير لحديث ابن مسعود في قوله تعالى: ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾  
[النجم: ٩]، قال: رأى النَّبِيُّ ﷺ جبريل له ستُّ مئة جناح.  
أخرجه البخاري (٣٢٣٢) ومسلم (١٧٥)، وأمَّا قوله: «ست مئة ألف»  
فخطأ.

(٣) أخرجه الطبراني في «الكبير» (١٩٥/١١)، و«الدعاء» (١٧٤٨)، وعنه  
أبو نعيم في «الحلية» (٣١٨/٣)، وقال الذهبي: «منكر» كما في «العلو»  
(٢٥٨)، وذكره ابن كثير في «التفسير» (١١٥/٥) وقال: «غريب، بل  
منكر» وقال في (٣١٠/٨): «وهذا حديث غريب جدًا، وفي رفعه نظر،  
وقد يكون موقوفًا على ابن عباس، ويكون ممَّا تلقَّاه من الإسرائيليات،  
والله أعلم».

وقيل<sup>(١)</sup>: إِنَّ اللَّهَ مَلَكًا لَهُ أَلْفُ رَأْسٍ فِي كُلِّ رَأْسٍ أَلْفٌ وَجْهٌ، وَمَلَكًا آخَرُ لَهُ أَرْبَعَةُ أَجْنَحَةٍ؛ جَنَاحٌ بِالْمَشْرِقِ، وَجَنَاحٌ بِالْمَغْرِبِ، وَجَنَاحٌ فِي السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، وَجَنَاحٌ فِي الْأَرْضِ السَّابِعَةِ، وَإِنَّمَا يَبْكِيَانِ عَلَى الْمُذْنِبِينَ مِنْ أُمَّةٍ مُحَمَّدٍ ﷺ فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: وَلِمَ تَبْكِيَانِ وَهُمَا يَعْمَلُونَ كَذَا وَكَذَا - يُعَدُّ ذُنُوبَهُمْ -؛ فَيَقُولُونَ: أَلَيْسَ نَبِيُّهُمُ مُحَمَّدٌ ﷺ، وَقَدْ أُعْطِيَتْهُمْ شَهْرَ رَمَضَانَ؟ فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: نَعَمْ، اشْهَدُوا يَا مَلَائِكَتَيَّ أَنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُمَا.

وقال كعبٌ: مِيكَائِيلَ لَا يَعْرِفُ أَحَدٌ صِفَتَهُ وَلَا عَدَدَ أَجْنِحَتِهِ إِلَّا اللَّهُ، وَلَوْ أَنَّهُ فَتَحَ فَاهُ لَمْ تَكُنِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ فِي فِيهِ إِلَّا كَالْحَرْدَلَةِ فِي الْبَحْرِ الْأَعْظَمِ.

وقال ابنُ الجوزيُّ في «المُبْتَدَأ»<sup>(٢)</sup>: أَعْطَى اللَّهُ إِسْرَافِيلَ قُوَّةَ سَبْعِ سَمَوَاتٍ، وَقُوَّةَ سَبْعِ أَرْضِينَ، وَقُوَّةَ الرِّيحِ وَالْجِبَالِ، وَهُوَ مِنْ رَأْسِهِ إِلَى

---

= وذكره في «البداية والنهاية» (٧٢/١) وقال: «غريب جدًا، وقد يكون موقوفًا».

وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٨٠/١): رواه الطبراني في «الأوسط» و«الكبير»، وقال: تفرَّد به وهب بن رزق. قلت: ولم أر من ذكر له ترجمة، اهـ.

(١) فيه إشارة للضعف، وأنه من أخبار الإسرائيليات على ما فيه من النكارة، وكذا ما بعده.

(٢) لم أقف عليه في تعداد تصانيفه المخطوطة والمطبوعة. فالله أعلم. ومناكير ووضع هذا الأثر ظاهرة أنها من منكرات القصاص، أو الإسرائيليات.



بُطُونِ قَدَمَيْهِ أَفْوَاهُ وَالْأُسُنُ، وَهِيَ مُغْطِيَةٌ بِأَجْنَحَةٍ وَرِيشٍ، وَكُلُّ رِيشٍ مِنْهُ وَجَنَاحٌ يُقَدِّسُ اللَّهُ تَعَالَى وَيُمَجِّدُهُ، وَيَنْظُرُ كُلُّ يَوْمٍ إِلَى جَهَنَّمَ نَظْرَةً؛ فَيَذُوبُ جِسْمُهُ خَوْفًا مِنَ اللَّهِ جَلَّ جَلَالُهُ حَتَّى يَصِيرَ كَوَتَرِ الْقَوْسِ، ثُمَّ يَبْكِي كُلَّ سَاعَةٍ بَحْرًا مِنَ الدَّمْعِ، لَوْ انْسَكَبَ فِي السَّمَاءِ؛ لَطَبَقَ بِهِ الْأَرْضَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَخْلُقُ مِنْهُ بِكُلِّ قَطْرَةٍ مَلَكًا.

### \* السَّائِسُ: فِي مَعْرِفَةِ الْمِيزَانِ الْمَذْكُورِ فِي الْآيَةِ وَالْحَدِيثِ وَمَا يَتَعَلَّقُ بِذَلِكَ:

وَلَنَذْكُرَ مِنْهُ مَا لَا بُدَّ مِنْهُ عَلَى وَجْهِ الْإِخْتِصَارِ، وَهُوَ أَبْحَاثُ:

#### \* الْأَوَّلُ: فِي حَقِيقَتِهَا:

وَهُوَ جِسْمٌ مَحْسُوسٌ، ذُو لِسَانٍ وَكَفَّتَيْنِ، كُلُّ كِفَّةٍ طَبَاقٌ<sup>(١)</sup> السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ<sup>(٢)</sup>، وَيَمِيلُ بِالْأَعْمَالِ.

(١) الطَّبَاقُ: أَي: يَعْثُمُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فَيَكُونُ طَبَقًا لِهِنَّ. انظر: «النهاية في غريب الحديث والأثر» لابن الأثير (١١٣/٣): «طبق».

(٢) لَا يَكُونُ الْمِيزَانُ مِيزَانًا حَتَّى يَحْتَوِيَ عَلَى اللِّسَانِ وَالْكَفَّتَيْنِ، وَقَدْ أَسْنَدَ اللَّالِكَاثِيُّ فِي «شرح أصول أهل السنة» (٢٢١٠) عَنِ الْحَسَنِ أَنَّهُ قَالَ عَنِ الْمِيزَانِ: «لَهُ لِسَانٌ وَكِفَّتَانِ»، وَإِسْنَادُهُ حَسَنٌ. وَهَذَا مَأْثُورٌ مَشْهُورٌ مَعْرُوفٌ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ﴾ [الرحمن: ٩]، قَالَ الْبُخَارِيُّ فِي «صحيحه»: يَرِيدُ لِسَانَ الْمِيزَانِ.

وَيَقُولُ ابْنُ أَبِي الْعِزِّ الْحَنْفِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَالَّذِي دَلَّتْ عَلَيْهِ السُّنَّةُ أَنَّ مِيزَانَ الْأَعْمَالِ لَهُ كِفَّتَانِ حَسِيَّتَانِ مُشَاهِدَتَانِ». «شرح العقيدة الطحاوية» (٦٠٩/٢).

وقد أجمع أهل السنة ومن تبعهم على الإيمان به<sup>(١)</sup>، وأن أعمال

= أمّا ما وراء ذلك من وصف الكفتين بطباق السموات والأرض، وأنّ كفة الحسنات من نور، وتوضع يمين العرش ومقابل الجنة، والسيئات من ظلام، وعلى يسار العرش ومقابل النار، فهذا لم يأت فيه نصّ صحيح، وأمور الغيب تفتقر إلى التثبت في ذلك، حتّى لا يكون قولاً على الله بغير علم، وإن قاله بعض أهل العلم، كالقرطبي رحمه الله في «التذكرة» (٧٢٤/٢) وغيره.

وقد راجعت هذه المسألة شيخنا العلامة عمر الأشقر رحمه الله في مجالس التفسير التي كان يعقدها عن هذه الأوصاف التي لم تأت بنص صحيح، فقرر صحة ذلك واختاره، ثم ها هو يقول رحمه الله في تفسيره «المعاني الحسان في تفسير القرآن» (١١٤٢/٣): «دلّت نصوص القرآن والأحاديث الصحيحة أن الله تعالى يزن أعمال العباد يوم القيامة بميزان حقيقي الله أعلم بمدى عظمه، فتوضع الأعمال السيئة في كفة، والأعمال الصالحة في كفة» وقال في ما تهدي إليه الآيات: «في يوم القيامة يزن الله أعمال العباد بميزان حقيقي لا ندري كيف هو»، اهـ. فاقصر رحمه الله على ما قرأت.

وعليه فنلزم ما جاء في الشرع من الإثبات والوصف لا نُجاوز ذلك، وهذا حكم ما سيأتي معك من تفاصيل الميزان ممّا لم يثبت، والله أعلم.

(١) قال الإمام ابن بطّة العكبري رحمه الله: «ونحن الآن ذاكرون شرح السنة ووصفها، وما هي في نفسها، وما الذي إذا تمسك به العبد ودان الله به سُمّي بها واستحق الدخول في جملة أهلها، وما إن خالفه أو شيئاً منه دخل في جملة من عبناه وذكرناه وحذرنا منه من أهل البدع والزيغ، ممّا أجمع على شرحنا له أهل الإسلام وسائر الأمة منذ بعث الله نبيه ﷺ إلى وقتنا هذا». «الشرح والإبانة» (١٩١) ثم عدّد أصول معتقد السنة، وفي =

العباد تُوزَنُ فيه يومَ القيامةِ، ولا التِّفَاتَ لمن أنكرَ ذلك وأوَّلَهُ بغرضِهِ  
الفاَسِدِ ونظَرِهِ الكاسِدِ؛ لأنَّه رَدُّ لِمَا جاءَ به الصَّادِقُ.

وما أحسنَ قولَ القائلِ <sup>(١)</sup>:

تذْكَرُ يَوْمَ يَأْتِي اللهُ فَرْدًا      وقد نُصِبَتْ مَوَازِينُ القِضَاءِ  
وهُتِّكَتِ السُّتُورُ عَنِ المَعَاصِي      وجاءَ الذَّنْبُ مَكْشُوفَ الغِطَاءِ  
\* الثاني: في ذِكْرِ صِفَتِهِ:

وقد وردَ أنها ذاتُ كِفَّتَيْنِ وَلِسَانٍ <sup>(٢)</sup>.

وأنَّ كِفَّةَ الحَسَنَاتِ مِنْ نُورٍ، وكِفَّةَ السَّيِّئَاتِ مِنْ ظَلَامٍ، والكِفَّةُ

= (٢٢٢) ذكر الميزان؛ فقال: «ثم الإيمان بالموازين كما قال تعالى:  
﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ﴾»، اهـ.

وقال أبو الحسن ابن القطان الفاسي رحمته الله: «وأجمعوا على الإيمان والإقرار  
والتصديق بالميزان الذي توزن به أعمال العباد». «الإقناع في مسائل  
الإجماع» (٥٩/١).

ويقول الإمام السفاريني رحمته الله: «وأما الإجماع؛ فأجمع أكابر محققي هذه  
الأمة من أهل السُّنَّة بأنَّ الإيمان بثبوت الوزن، والميزان حقٌّ واجبٌ،  
وفرضٌ لازِبٌ؛ لثبوته بالسمع، وعدم استحالة ذلك عقلاً». «لوامع الأنوار  
السنية» (١٧٩/٢).

(١) أوردهما القرطبي في «التذكرة» (٧٢٥/٢) وعنه ابن ناصر الدِّين الدمشقي  
في «منهاج السلامة في ميزان القيامة» (١٢٩) دون نسبة، ولم أقف على  
قائلهما.

(٢) أسنده اللَّالكائِيُّ في «شرح أصول أهل السنة» (٢٢١٠) عن الحسن أنه قال  
عن الميزان: «له لِسَانٌ وَكِفَّتَانِ»، وإسناده حسنٌ.

الكبيرة الثيرة للحسنات، والمُظلمة للسيئات<sup>(١)</sup>.

\* الثالث: في ذكر مقدارها:

وقد ورد أن كلَّ كِفَّةٍ مِنْهَا طَبَاقُ السَّمَوَاتِ والأَرْضِ.

وروي أن داودَ عليه الصلاة والسلام سأل ربَّه أن يُريه المِيزانَ، فأراه كلَّ كِفَّةٍ تَمَلَأُ ما بَيْنَ المَشْرِقِ والمَغْرِبِ؛ فغُشي عليه من هَوْلِهِ، ثمَّ أَفاق فقال: إلهي، مَنْ الذي يَقْدِرُ يَمَلَأُ كِفَّةَ هذه المِيزانِ حَسَنَاتٍ؟ فقال: يا داودُ، إِذَا رَضِيتُ عَنْ عَبْدِي مَلَأْتُهُ لَهُ بِتَمَرَةٍ وَاحِدَةٍ؛ يا داودُ، اَمْلَأْهُ بِقَوْلٍ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ<sup>(٢)</sup>.

\* الرَّابِعُ: في ذكر وَضْعِهَا:

اِخْتُلِفَ فِيهِ، والذي في أَكْثَرِ الأَخْبَارِ: أَنَّ الجَنَّةَ تُوضَعُ عَنْ يَمِينِ العَرْشِ، والنَّارَ عَنْ يَسَارِهِ، ثُمَّ يُؤْتَى بِالمِيزانِ؛ فَيُنْصَبُ بَيْنَ يَدَيِ اللهُ تَعَالَى؛ فَتُوضَعُ كِفَّةُ الحَسَنَاتِ عَنْ يَمِينِ العَرْشِ؛ مُقَابِلَ الجَنَّةِ، وَكِفَّةُ السَّيِّئَاتِ عَنْ يَسَارِ العَرْشِ مُقَابِلَ النَّارِ<sup>(٣)</sup>.

(١) لم يصح في ذلك حديث، وراجع التعليق على البحث الأول: في حقيقتها.

(٢) انظر: «معالم التنزيل» للبغوي (٣٢١/٥)، و«منهاج السلامة في ميزان القيامة» لابن ناصر الدين الدمشقي (١٢٠)، و«التفسير الكبير» للرازي (١٧٦/٢٢)، و«روح المعاني» للآلوسي (٢٨/٩).

(٣) أورده القرطبي في «التذكرة» (٧٢٤/٢)، وعزاه للحكيم الترمذي في «نوارد الأصول» (٤٤/١ ط: النوادر) الأصل الرابع. وراجع التعليق على البحث الأول: في حقيقتها.

## \* الخامس: هل الميزانُ واحدةٌ أم مُتعدِّدةٌ؟

المُعْتَمَدُ وعليه الجُمهورُ أنه مِيزَانٌ واحدٌ، يُوزَنُ به للجَمِيعِ، عَبْرَ عنه بلفظِ الجَمْعِ؛ للتَّفْخِيمِ، كما قال تعالى: ﴿كَذَبَتْ قَوْمٌ نُوحَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الشعراء: ١٠٥]، وإِنَّمَا هُوَ رَسولٌ واحدٌ<sup>(١)</sup>.

\* السادس: في الموزُونِ نَفْسِهِ<sup>(٢)</sup>:

اِخْتُلِفَ فيه على أقوالٍ، أشهرُها قولان:

(١) وحكى السَّخاويُّ رَحِمَهُ اللهُ بعد ترجيحه أنه ميزانٌ واحدٌ، توجيهاً آخر في جمع الموازين، فقال: «يكون الجمع باعتبار تنوع الأعمال الموزونة». قاله في «تحرير المقال والبيان في الكلام على الميزان» (١٥٨) ط: مجلة البحوث الإسلامية ع (٥٦) سنة (١٤١٩هـ).

وانظر: «المحرر الوجيز» لابن عطية (٥١٧/٣)، و«الجامع لأحكام القرآن» للقرطبي (٢١١/١٤)، و«تفسير القرآن العظيم» لابن كثير (٣٤٥/٥)، و«فتح البيان» للقنوجي (٣٣٣/٨). وهذا ما رجَّحه الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ في «فتح الباري» (٥٣٧/١٣) حيث قال: «والذي يترجَّح أنه ميزان واحدٌ، ولا يُشكَلُ بكثرة مَنْ يُوزَنُ عمله؛ لأنَّ أحوال القيامة لا تُكَيَّفُ بأحوال الدنيا»، وتبعه تلميذه السخاوي في «تحرير المقال والبيان في الكلام على الميزان» (١٥٨).

وأما من رجَّح تعدُّد الموازين لظاهر النصوص، فانظر: «أضواء البيان» للشنقيطي (٧٣٠/٤)، وله أيضاً في «العذب النمير من مجالس الشنقيطي في التفسير» (٧٦/٣).

(٢) انظر: «تحرير المقال والبيان في الكلام على الميزان» للسخاوي (١٦٢) ط: مجلة البحوث الإسلامية ع (٥٦) سنة (١٤١٩هـ).

أَحَدُهُمَا : أَنَّ الْأَعْمَالَ أَنْفُسَهَا تُوزَنُ ، وَذَلِكَ بِأَنْ تُجَسَّمَ وَتُوزَنَ ، وَقَدْ رُوِيَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى : يَقْلِبُ الْأَعْرَاضَ أَجْسَامًا فَيَزِنُهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ <sup>(١)</sup> .

وَاسْتَشْهَدَ لَهُ بِمَا قِيلَ بِمَثَلِهِ فِي ذَبْحِ الْمَوْتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُجَسِّدُ الْمَعَانِي أَجْسَامًا <sup>(٢)</sup> .

الثاني : أَنَّ الْمَوْزُونَ إِنَّمَا هُوَ صَحَائِفُ الْأَعْمَالِ ؛ لِمَا رُوِيَ عَنْهُ ﷺ أَنَّهُ قَالَ : «تَثْقُلُ الْمَوَازِينُ بِالصُّحُفِ الَّتِي فِيهَا الْأَعْمَالُ ، وَبِهَا تَخَفُ» <sup>(٣)</sup> .

وَقَالَ ابْنُ عُمَرَ : تُوزَنُ صَحَائِفُ الْأَعْمَالِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ <sup>(٤)</sup> .

(١) حكاه عنه البغوي في «معالم التنزيل» (٣/٢١٥)، وابن كثير في «تفسير القرآن العظيم» (٣/٣٨٩).

(٢) كما أخرجه البخاري (٤٧٣٠) ومسلم (٢٨٤٩) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

وأيضاً يشهد له : مَجِيءُ سورتا البقرة وآل عمران غمامتين تُحَاجَّانِ عَنْ صَاحِبِهِمَا ، أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ (٨٠٥) ، وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنَ الْأَدْلَةِ .  
وَانْظُرْ مُزِيدًا فِي : «شرح العقيدة الطحاوية» لابن أبي العز الحنفي (٢/٦١٢) ، و«تفسير القرآن العظيم» لابن كثير (٣/٣٨٩).

(٣) أورده الواحدي في «التفسير البسيط» (٩/٢٤) دون عزو ، ولم أقف عليه .

(٤) ذكره القرطبي في «التذكرة» (٢/٧٢٢) بدون إسناد .

ولعله استُفيد من حديثه ، فعن صفوان بن مُخْرَزٍ المازني ، قال : بينما أنا أمشي مع ابن عمر رضي الله عنهما آخذٌ بيده ، إِذْ عَرَضَ رَجُلٌ ، فَقَالَ : كَيْفَ سَمِعْتَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ فِي النَّجْوَى ؟ فَقَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : =

والأوّل وإن أمكن القول به، لكنّ هذا هو الرَّاجِحُ؛ لكثرة ما ورد فيه مثلُ قوله تعالى: ﴿هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الجاثية: ٢٩]، ﴿فَأَمَّا مَنْ أَوْتِيَ كِتَابَهُ﴾ الآية [الحاقة: ١٩]، ﴿وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ﴾ [التكوير: ١٠].

وفي «الصّحيحين»: «فِيُعْطَى صَحِيفَةً حَسَنَاتِهِ»<sup>(١)</sup>، فهذا ونحوه يدلُّ على المِيزانِ الحَقِيقِيِّ، وأنَّ المَوْزُونَ صُحُفُ الأَعْمَالِ.

هذا، والتَّحْقِيقُ أَنَّ كِلَا الأمرينِ جامعٌ<sup>(٢)</sup>، وأنَّ المَعْنَى

= «إِنَّ اللَّهَ يُدْنِي الْمُؤْمِنَ، فَيَضَعُ عَلَيْهِ كَنَفَهُ وَيَسْتُرُهُ، فيقولُ: أتعرفُ ذَنْبَ كذا، أتعرفُ ذَنْبَ كذا؟ فيقول: نعم أي ربّ؛ حتّى إذا قرّره بذنوبه، ورأى في نفسه أنه هلَك، قال: سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا، وَأَنَا أَغْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ؛ فَيُعْطَى كِتَابَ حَسَنَاتِهِ» هذا لفظ البخاري (٢٤٤١) وأما لفظ مسلم (٢٧٦٨): «فِيُعْطَى صَحِيفَةً حَسَنَاتِهِ»، والله أعلم.

(١) البخاري (٢٤٤١)، ومسلم (٢٧٦٨) واللفظ له، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

ولفظ البخاري: «فيعطى كتاب حسناته».

(٢) وهناك قولٌ ثالثٌ جامعٌ أيضًا، فات المصنّف ﷺ ذكره، وقد شهدت له النصوص الشرعية، وهو أن العامل نفسه يوزن، واستشهد له بحديث، رواه عبيد بن عمير، عن النّبِيِّ ﷺ أنه قال: «يُؤْتَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِالرَّجُلِ الطَّوِيلِ الْعَرِيضِ الْأَكْوَلِ الشَّرُوبِ، فَلَا يَزِنُ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ» قال عبيد: وهو معنى قوله تعالى: ﴿وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ﴾ [الأعراف: ٨]، أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (٤٤٥/٣)، وابن جرير في «جامع البيان» (٦٨/١٠)، وأبو نعيم في «الحلية» (٢٧٠/٣) مرسلًا.

قال أبو نعيم: رواه عمرو بن دينار، عن عبيد بن عمير، وهو صحيح =

الشَّاهِدُ<sup>(١)</sup> لذلك ولغيره أَنَّ جَمِيعَ الْمَعَانِي الْمَعْلُومَةِ عِنْدَنَا مُتَصَوِّرَةٌ

= ثابت متصل .

قلت: يريد ما رُوي مرفوعاً عند البخاري (٤٧٢٩)، ومسلم (٢٧٨٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّهُ لَيَأْتِي الرَّجُلُ الْعَظِيمُ السَّمِينُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، لَا يَزُنُّ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحٌ بِعَوْضَةٍ، اقْرَؤُوا: ﴿فَلَا تُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَزَنًا﴾» [الكهف: ١٠٥]، وطالع: «تفسير القرآن العظيم» لابن كثير (٣/٣٨٩) حيث قال: «وقد يمكن الجمع بين هذه الآثار: بأن يكون ذلك كله صحيحاً، فتارة توزن الأعمال، وتارة توزن محالها، وتارة يوزن فاعلها، والله أعلم».

وقال ابن أبي العز الحنفي رحمته الله: «ثبت وزن الأعمال والعامل وصحائف الأعمال، وثبت أن الميزان له كفتان. والله تعالى أعلم بما وراء ذلك من الكيفيات. فعلينا الإيمان بالغيب، كما أخبرنا الصادق عليه السلام من غير زيادة ولا نقصان. ويا خيبة من ينفي وضع الموازين القسط ليوم القيامة كما أخبر الشارع، لخفاء الحكمة عليه، ويقدح في النصوص بقوله: لا يحتاج إلى الميزان إلا البقال والفوال!! وما أحرأه بأن يكون من الذين لا يقيم الله لهم يوم القيامة وزناً، ولو لم يكن من الحكمة في وزن الأعمال إلا ظهور عدله سبحانه لجميع عباده، فلا أحد أحب إليه العذر من الله، من أجل ذلك أرسل الرسل مبشرين ومنذرين. فكيف ووراء ذلك من الحكم ما لا اطلاع لنا عليه».

«شرح الطحاوية» (٢/٦١٣) وهو اختيار شيخنا العلامة أ. د. عمر الأشقر رحمته الله، وانظر: «القيامة الكبرى» (٢٤٥، ط: ١٣)، وشيخنا العلامة المحدث شبيب الأرنؤوط، في إملأته على ثلاثيات البخاري ضمن «رحلة العلامة المحدث شبيب الأرنؤوط إلى الديار الكويتية» لراقمه (٦٧٦، ط: ١).

(١) في (ت) و(ج) و(ز): «الشامل».



عند الله تعالى بصورة الأجسام ومُتَشَخَّصَةً<sup>(١)</sup> بهيئة الأشخاص، وإن كُنَّا لا نُحَسُّ ذلك لِقُصُورِنَا عنه.

وقد عدَّ أربابُ عِلْمِ الْحَقِيقَةِ<sup>(٢)</sup> مِنْ وُجُوهِ الْكَشْفِ؛ الْإِطْلَاعَ عَلَى صُورِ الْمَعَانِي الْمَعْقُولَةِ فِي هَيْئَةِ الْأَجْسَامِ الْمُشَخَّصَةِ، وَقَدْ بَسَطْنَا ذَلِكَ فِي «هَدَايَةِ الْقَارِي» وَاسْتَوْفَيْنَاهُ فِي «بُلُوغِ الْأَمَانِي فِي الْكَشْفِ عَنْ صُورِ / الْمَعَانِي»<sup>(٣)</sup>؛ لِكُونِنَا مَحْجُوبِينَ عَنْهُ، وَقَدْ عَدَّ أَرْبَابُ عِلْمِ الْحَقِيقَةِ، نَفَعَنَا اللَّهُ بِهِمْ وَحَشَرْنَا فِي زُمْرَتِهِمْ<sup>(٤)</sup>، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

(١) فِي (ز): «مُسْتَنْسَخَةٌ».

(٢) أَرْبَابُ عِلْمِ الْحَقِيقَةِ: يَرِيدُ مِنَ الْمُتَصَوِّفَةِ، وَهُمْ مِنْ بَلِغِ مَنْزِلَةِ الْوَلَايَةِ.

وهذه المنزلة لا تكون بالتشهي والتمني، فهي مضبوطة مقرونة بالسير على شرع الله وامتنال سنة نبينا ﷺ حَذْوُ الْقُدَّةِ بِالْقُدَّةِ، وَقَدْ نَقَلَ الْإِمَامُ الشَّاطِبِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «الاعتصام» (١/ ١٦٠) عَنْ أَبِي يَزِيدَ الْبِسْطَامِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ مَعْلَمًا مُنِيرًا لِهَذِهِ الْوَلَايَةِ، فَيَقُولُ لِأَحَدِ جُلَسَائِهِ: «قُمْ بِنَا حَتَّى نَنْظُرَ إِلَى هَذَا الرَّجُلِ الَّذِي قَدْ شَهَرَ نَفْسَهُ بِالْوَلَايَةِ - وَكَانَ رَجُلًا مَقْصُودًا، مَشْهُورًا بِالزُّهْدِ - قَالَ الرَّاوِي: فَمَضَيْنَا، فَلَمَّا خَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ وَدَخَلَ الْمَسْجِدَ رَمَى بِبِصَاقِهِ تَجَاهَ الْقِبْلَةِ؛ فَانْصَرَفَ أَبُو يَزِيدَ وَلَمْ يُسَلِّمْ عَلَيْهِ، وَقَالَ: «هَذَا غَيْرُ مَأْمُونٍ عَلَى أَدَبٍ مِنْ آدَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَكَيْفَ يَكُونُ مَأْمُونًا عَلَى مَا يَدَّعِيهِ؟».

وهذا أَصْلُ أَصْلِهِ أَبُو يَزِيدَ رَحِمَهُ اللَّهُ لِلْقَوْمِ، وَهُوَ أَنَّ الْوَلَايَةَ لَا نَحْصُلُ لِتَارِكِ السُّنَّةِ، وَإِنْ كَانَ ذَلِكَ جَهْلًا مِنْهُ، فَمَا ظَنُّكَ بِهِ إِذَا كَانَ عَامِلًا بِالْبِدْعَةِ كَفَاحًا؟»، اهـ.

(٣) هَذَا الْكِتَابُ لِلْمُصَنِّفِ رَحِمَهُ اللَّهُ، وَلَمْ أَقِفْ لَهُ عَلَى ذِكْرٍ بَعْدَ طَوْلِ بَحْثٍ، فَاللَّهُ أَعْلَمُ.

(٤) مِنْ (/) إِلَى هُنَا سَقَطَ مِنَ الْأَصْلِ، وَاسْتَدْرَكَتْهُ مِنْ بَقِيَةِ النُّسخِ. وَقَضِيَّةُ الْكَشْفِ هَذِهِ، هِيَ دَرَجَةٌ مِنْ دَرَجَاتِ الْمَكَاشِفَةِ، فَإِنَّ مُتَعَلِّقَهَا =

\* السابع: اختلف في أن الموزون هل جميع الأعمال أم خواتيمها:

الظاهر الجميع، ويشهد له قوله في حديث البطاقة المشهور: «فِيُخْرِجُ بِطَاقَةً فِيهَا أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ؛ فَيَقُولُ لَهُ: احْضُرْ وَزَنِّكَ؛ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، مَا هَذِهِ الْبَطَاقَةُ مَعَ هَذِهِ السَّجَّلَاتِ؟ فَيُقَالُ لَهُ: فَإِنَّكَ لَا تُظَلِّمُ شَيْئًا، فَتُوضَعُ السَّجَّلَاتُ فِي

= الصورة الذهنية المطابقة للحقيقة الخارجية. فكشف العلم: أن يكون مطابقاً لمعلومه، وكشف العيان: أن يصير المعلوم مشاهداً للقلب كما تشاهد العين المرئي.

وباب الكشف فيه ما هو حق صحيح، كحادثة عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «يا سارية الجبل» المشهورة وغيرها، أو هو باطل قبيح؛ وما أكثره عند المتصوفة المتأخرين، والصحيح ما كان من غير قصد ولا تتبع، ويتقيد بنصوص الكتاب والسنة ولا يخالفهما، وأما القبيح والمنكر فما كان خلاف ذلك، بل فيه مزاعم وخيالات. نسأل الله السلامة والعافية من تلبس إبليس.

ومن أجل ذلك قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله: «فإنَّ كُلَّ ذِي مَكْاشِفَةٍ إِنْ لَمْ يَزِنْهَا بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَلَا دَخَلَ فِي الضَّلَالَاتِ». «درء تعارض العقل والنقل» (٣٤٨/٥).

ومن لسان القوم يقول عبد الوهاب الشعراني رحمته الله: «دوروا مع الشرع كيف دار، لا مع الكشف؛ فإنه يُخطئ». كما في «الكواكب الدرية في طبقات الصوفية» للزين المناوي (٣٩٧/٣).

وانظر في تبيان ذلك مع شرحه وتفصيله «مدارج السالكين» (٦٤/٤) للإمام ابن قيم الجوزية رحمته الله، في «منزلة المكاشفة».

كَفَّةً، وَالْبَطَاقَةُ فِي كِفَّةٍ، فَطَاشَتِ السَّجَّلَاتُ، وَثَقُلَتِ الْبَطَاقَةُ، فَلَا يَثْقُلُ  
مَعَ اسْمِ اللَّهِ شَيْءٌ<sup>(١)</sup>.

\* الثَّامِنُ: فِي كَيْفِيَّةِ الرَّجْحَانِ مِنْهَا وَالنَّقْصِ<sup>(٢)</sup>:

قِيلَ: إِنَّ الرَّاجِحَ مِنْهُ يَصْعَدُ عَكْسَ مَا فِي الدُّنْيَا.

وَالظَّاهِرُ وَالْمُعْتَمَدُ أَنَّ الرَّجْحَانَ وَالنَّقْصَ وَالثَّقَلَ وَالْخِفَّةَ بِالنَّظَرِ  
إِلَى الْمَعْهُودِ الْآنَ، وَيُؤَيِّدُهُ قَوْلُهُ فِي خَبَرِ الْبَطَاقَةِ الْمُتَقَدِّمَةِ: «فَطَاشَتِ  
السَّجَّلَاتُ وَثَقُلَتِ الْبَطَاقَةُ، فَلَا يَثْقُلُ مَعَ اسْمِ اللَّهِ شَيْءٌ»، وَاللَّهُ أَعْلَمُ<sup>(٣)</sup>.

\* التَّاسِعُ: الْمَنْقُولُ أَنَّ وَزْنَ الْأَعْمَالِ إِنَّمَا يَكُونُ بَعْدَ انْقِضَاءِ  
الْحِسَابِ لَا قَبْلَهُ:

لَأَنَّ الْمُحَاسَبَةَ لَتَقْرِيرِ الْأَعْمَالِ، وَثُبُوتِهَا وَالْوَزْنَ لِإِظْهَارِ مَقَادِيرِهَا؛

(١) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ فِي «الْمُسْنَدِ» (٦٩٩٤)، وَابْنُ مَاجَهَ (٤٣٠٠)، وَالتِّرْمِذِيُّ  
(٢٦٣٩)، وَالْحَاكِمُ فِي «الْمُسْتَدْرَكِ» (٦/١ و ٥٢٩)، وَالبُغْوِيُّ فِي «شَرْحِ  
السُّنَنِ» (١٣٤/١٥)، وَهُوَ صَحِيحٌ.

وَقَدْ أَفْرَدَهُ وَخَرَّجَهُ أَبُو الْقَاسِمِ الْكِنَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي جُزْءٍ لَطِيفٍ، وَتَطَرَّقَ لَهُ  
ابْنُ نَاصِرٍ الدِّينِ الدِّمَشْقِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ «مَنْهَاجُ السَّلَامَةِ فِي مِيزَانِ الْقِيَامَةِ»  
(٥٠) فَلْيَنْظُرْ.

(٢) انْظُرْ فِي الثَّامِنِ وَالتَّاسِعِ: «تَحْرِيرُ الْمَقَالِ وَالْبَيَانُ فِي الْكَلَامِ عَلَى الْمِيزَانِ»  
لِلسَّخَاوِيِّ (١٥٩) ط: مَجْلَةُ الْبَحْثِ الْإِسْلَامِيَّةِ ع (٥٦) سَنَةِ (١٤١٩هـ).

(٣) وَهَذَا هُوَ الصَّوَابُ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ، وَانْظُرْ: «التَّنْقِيحُ لِأَلْفَاظِ الْجَامِعِ الصَّحِيحِ»  
لِلزَّرْكَشِيِّ (١٢٨٣/٣) فِي تَخْطِئَتِهِ مِنْ ذَهَبٍ لِلْقَوْلِ الْأَوَّلِ وَاسْتِدْلَالِهِ بِقَوْلِهِ  
تَعَالَى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكُلُّ الطَّيِّبُ﴾ [فَاطَرُ: ١٠].

لِيَكُونَ الْجَزَاءُ بِحَسَبِهَا ، ومعرفة مقدار الشيء فَرْعٌ وَجُودِ الشيء وثبوته<sup>(١)</sup> .

\* العاشر: في الموزون لهم<sup>(٢)</sup>:

اختلف فيه ، فقل: يُوزَنُ لَجَمِيعِ أَهْلِ الْمَحْشَرِ ؛ لِعُمُومِ الْأَدَلَّةِ فِي ذَلِكَ .

وحكمته والله أعلم<sup>(٣)</sup> : إظهارُ الإنعام والإحسانِ في مَنْ ليس له إِلَّا حَسَنَاتٌ فَقَطْ ، وزيادةُ التَّنْكِيلِ والتَّوْبِيخِ لِمُضَاعَفَةِ الْعَذَابِ فِيمَنْ ليس له إِلَّا سَيِّئَاتٌ فَقَطْ ، وللمُّجَازَاتِ وَالْعَدْلِ فِيمَنْ خَلَطَ عَمَلًا صَالِحًا بِغَيْرِهِ .

وقيل: وعليه أَكْثَرُ الْعُلَمَاءِ وَهُوَ الْمُعْتَمَدُ ، أَنَّهُمْ فِي ذَلِكَ مُتَّفَاوِتُونَ .

• فَاَلْمُؤْمِنُونَ أَقْسَامٌ :

قِسْمٌ : يَدْخُلُ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلَا مِيزَانَ ، وَهُمْ السَّبْعُونَ أَلْفًا ، الْوَارِدُ ذِكْرُهُمْ فِي «الصَّحِيحِ»<sup>(٤)</sup> وَمَنْ تَبِعَهُمْ<sup>(٥)</sup> .

(١) انظر: «التذكرة» للقرطبي (٢/٧١٥) ، وأصله في «شعب الإيمان» للبيهقي (٤٣٧/١) .

(٢) انظر: «التذكرة» للقرطبي (٢/٧٢٥ وما بعدها) ، وأصله عند البيهقي في «شعب الإيمان» (٤٣٧/١) .

(٣) انظر في حُكْمِهِ : «زاد المسير» لابن الجوزي (٣/١٧٠) .

(٤) أخرجه البخاري (٤٧١٢) ، ومسلم (١٩٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه . وانظر: «التذكرة» للقرطبي (٢/٧١٩) .

(٥) وَمَنْ تَبِعَهُمْ سَبْعُونَ أَلْفًا مَعَ كُلِّ أَلْفٍ ، وَيَشْهَدُ لَهُ حَدِيثُ أَبِي أَمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ رضي الله عنه يَقُولُ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : «وَعَدَنِي رَبِّي أَنْ يَدْخُلَ =

وَقِسْمٌ: مُتَّقُونَ لَا كِبَائِرَ لَهُمْ؛ فَتَوَضَّعُ حَسَنَاتُهُمْ فِي الْكِفَّةِ النَّيِّرَةِ، وَصَغَائِرُهُمْ إِنْ كَانَتْ فِي الْأُخْرَى الْمُظْلِمَةِ، فَلَا يَجْعَلُ اللَّهُ لَتِلْكَ الصَّغَائِرِ وَزْنَ، وَتَثْقُلُ الْكِفَّةُ النَّيِّرَةُ، وَتَرْتَفِعُ الْمُظْلِمَةُ ارْتِفَاعَ الْفَارِغِ الْخَالِي.

وَقِسْمٌ: مُخْلَطٌ يَأْتِي بِالْفَوَاحِشِ وَالْكِبَائِرِ؛ فَتَوَضَّعُ حَسَنَاتُهُ فِي النَّيِّرَةِ وَسَيِّئَاتُهُ فِي الْمُظْلِمَةِ؛ فَيَكُونُ لِكِبَائِرِهِ ثِقْلٌ، فَإِنْ ثَقُلَتِ الْحَسَنَاتُ وَلَوْ بِخَرْدَلَةٍ دَخَلَ الْجَنَّةَ، أَوِ السَّيِّئَاتُ كَذَلِكَ دَخَلَ النَّارَ، مَا لَمْ يُعْفَ عَنْهُ هَذَا فِي كِبَائِرِ بَيْنِهِ وَبَيْنَ اللَّهِ تَعَالَى، فَإِنْ كَانَتْ لِأَحَدٍ مِنَ الْخَلْقِ؛ نُقْصَ مِنْ حَسَنَاتِهِ بِقَدَرِهَا، فَإِنْ لَمْ تَفِ حَسَنَاتُهُ بِمَا عَلَيْهِ أَوْ لَمْ تَكُنْ، حُمِلَ عَلَيْهِ مِنْ أَوْزَارٍ مِنْ ظُلْمِهِ، ثُمَّ يُعَذَّبُ عَلَى الْجَمِيعِ مَا لَمْ يُعْفَرَ لَهُ<sup>(١)</sup>.

= الْجَنَّةُ مِنْ أُمَّتِي سَبْعِينَ أَلْفًا لَا حِسَابَ عَلَيْهِمْ وَلَا عَذَابَ مَعَ كُلِّ أَلْفٍ سَبْعُونَ أَلْفًا، وَثَلَاثُ حَثِيَّاتٍ مِنْ حَثِيَّاتِهِ، أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ فِي «الْمُسْنَدِ» (٢٢٣٠٣)، وَالتِّرْمِذِيُّ (٢٤٣٧)، وَابْنُ مَاجَهَ (٤٢٨٦)، وَهُوَ صَحِيحٌ.

(١) يشهد لهذا حديثُ الْمُفْلِسِ، مِمَّا رَوَاهُ مُسْلِمٌ فِي «الصَّحِيحِ» (٢٥٨١) مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «أَنْذَرُونَ مَا الْمُفْلِسُ؟» قَالُوا: الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دَرَاهِمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ. فَقَالَ: «إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ، وَصِيَامٍ، وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا؛ فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ؛ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ؛ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ». وَانْظُرِ الْبُخَارِيُّ (٢٤٤٩).

• والكُفَّارُ كذلك مُتَفَاوِتُونَ<sup>(١)</sup>:

مِنْهُمْ: مَنْ يُرْمَى بِهِ فِي جَهَنَّمَ وَلَا يُقَامُ لَهُ وَزَنٌ<sup>(٢)</sup>.

وَمِنْهُمْ: مَنْ يُوَضَّعُ كُفْرُهُ وَسَيِّئَاتُهُ فِي إِحْدَى كَفَّتَي الْمِيزَانِ، ثُمَّ يُقَالُ لَهُ: هَلْ لَكَ مِنْ طَاعَةٍ تَضَعُهَا فِي الْكِفَّةِ الْأُخْرَى؛ فَلَا يَجِدُهَا؛ فَيَتَنَاقَلُ<sup>(٣)</sup> الْمِيزَانُ؛ فَتَرْتَفِعُ الْكِفَّةُ الْفَارِغَةُ، وَتَثْقُلُ الْكِفَّةُ الْمَشْغُولَةُ؛ فَذَلِكَ خِفَّةُ الْمِيزَانِ فِي حَقِّهِ.

وَمِنْهُمْ: مَنْ يَكُونُ فِي صِلَةِ الْأَرْحَامِ وَمُوَاسَاةِ الْخَلْقِ، وَعَتَقِ الْأَرْقَابِ وَنَحْوِ ذَلِكَ مِمَّا لَوْ وُجِدَتْ مِنْ مُسْلِمٍ لَكَانَتْ طَاعَةً، فَإِنَّهَا تُجْمَعُ وَتُوضَعُ فِي مِيزَانٍ، غَيْرَ أَنَّ الْكُفْرَ إِذَا قَابَلَهَا رَجَحَ عَلَيْهَا؛ إِذِ الْكُفْرُ لَا يَرْجَحُ عَلَيْهِ شَيْءٌ، فَيَهْبِطُ بِهِ إِلَى جَهَنَّمَ وَيَخْلُدُ فِيهَا، لَكِنَّ عَذَابَهُ أَخَفُّ مِمَّنْ لَمْ يَعْمَلْ مِثْلَهُ مِنَ الْكُفَّارِ<sup>(٤)</sup>، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

(١) انظر: «التذكرة» للقرطبي (٢/٧٢٠)، و«القيامة الكبرى» لشيخنا عمر

الأشقر رحمته الله (١٨٨) في بيان الحكم من وزن أعمال الكفار.

(٢) يشهد له قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا﴾ (١٣) الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَّهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٤﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِمْ فَبُخِطُوا أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَزَنًا﴾ [الكهف: ١٠٣ - ١٠٥].

(٣) في الأصل، و«ت» و«ج» و«ز»: «فيشال» تحريف، والمثبت الصحيح كما يدل عليه سياقه، وهو كذلك في «الشعب» للبيهقي (١/٤٤٢).

(٤) وهذا الأخير ذهولٌ من المُصَنِّف رحمته الله في نقله عن القرطبي ولا يصح، والذي قبله أصحُّ وأرجحُ منه؛ لأنَّ الكفر والشرك مُحِيطٌ لجميع العمل؛ فلا يقبل معه شيء، ودلَّ على ذلك قوله سبحانه وتعالى: =

\* الحادي عشر: فيمن يزن الأعمال يوم القيامة بين يدي الله

تعالى:

رُوي مَوْقُوفًا على حُذِيفَةَ بْنِ الْيَمَانِ رضي الله عنه - وَرَفَعَهُ بَعْضُهُمْ -: «إِنَّ صَاحِبَ الْمِيزَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ جَبْرِيلُ عليه السلام، وَهُوَ الَّذِي يَزِنُ أَعْمَالَ الْخَلَائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»<sup>(١)</sup>.

= «وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ» [البقرة: ٢١٧]، وغيرها من عموم الآيات الدالة على أَنَّ العبد إذا كفر أو أشرك حبط عمله وأصبح من الخاسرين، ويوضح ذلك جلياً حديث أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مُؤْمِنًا حَسَنَةً، يُعْطَى بِهَا فِي الدُّنْيَا وَيُجْزَى بِهَا فِي الْآخِرَةِ، وَأَمَّا الْكَافِرُ فَيُطْعَمُ بِحَسَنَاتٍ مَا عَمِلَ بِهَا اللَّهُ فِي الدُّنْيَا، حَتَّى إِذَا أَفْضَى إِلَى الْآخِرَةِ، لَمْ تَكُنْ لَهُ حَسَنَةٌ يُجْزَى بِهَا»، أخرجه مسلم (٢٨٠٨)، وهذه النصوص ترد على هذا القول بأنَّ ثمة حسنات تُدخِر للكافر يوم القيامة. وهذا اختيار شيخنا العلامة عمر الأشقر رحمته الله كما في «القيامة الكبرى» (١٩١)، وشيخنا العلامة المحدث شعيب الأرنؤوط حفظه الله تعالى، والله أعلم.

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٦٩/١٠)، وابن أبي الدنيا - كما ذكره الحافظ ابن كثير في «البداية النهاية» (٢٨٥/١٧، ط: ابن كثير) -، واللالكائي في «شرح أصول أهل السنة» (٢٢٠٩)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٣٢٢/٦) كلهم من طريق يوسف بن صهيب، عن موسى بن أبي المختار، عن بلال العبسي، عن حذيفة موقوفاً، وإسناده ضعيف؛ لجهالة موسى بن أبي المختار، وقد تفرّد بالرواية عنه يوسف بن صهيب مع ثقته، وقد وثقه ابن حبان، والذهبي في «الكاشف» (٥٤٦/٤).

\* الثاني عشر: في بعض شواهد لما مرَّ منها:

حديث السَّبعين ألفاً، الصَّحيح المشهور، وفي الحديث: «يا مُحَمَّدُ، أَدْخِلِ الْجَنَّةَ مَنْ أَمَّتَكَ مَنْ لَا حِسَابَ عَلَيْهِ»<sup>(١)</sup>.

وذكر ابنُ الجوزي رحمه الله تعالى في «رَوْضَةِ الْمُشْتَقِ»<sup>(٢)</sup> عن الحُسين بن علي رضي الله عنهما أنه قال: قَالَ جَدِّي ﷺ: «يَا بُنَيَّ، إِنَّ فِي الْجَنَّةِ شَجَرَةً يُقَالُ لَهَا: شَجَرَةُ الْبَلَوَى؛ يُؤْتَى بِأَهْلِ الْبَلَاءِ فَلَا يُنْصَبُ لَهُمْ مِيزَانٌ، وَلَا يُنْشَرُ لَهُمْ دِيْوَانٌ، يُصَبُّ عَلَيْهِمُ الْأَجْرُ صَبًّا» ثم قرأ: ﴿إِنَّمَا يُؤَقِّ الْأَصْنِيرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠].

(١) أخرجه البخاري (٤٧١٢)، ومسلم (١٩٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وانظر: «التذكرة» للقرطبي (٧١٩/٢).

(٢) هو «روضة المشتاق والطريق إلى الملك الخلاق»، نقل عنه غير واحد من أهل العلم، مخطوط، ولم أقف عليه.

وأورد هذا الخبر القرطبي في «التذكرة» (٧٢٠/٢).

وأخرجه الطبراني في «الكبير» (٢٧٦٠) وفيه ابن طريف، والأصبع.

قال الهيثمي في «المجمع» (٣٠٥/٢): «رواه الطبراني في الكبير، وفيه سعد بن طريف وهو ضعيف جداً».

وقال ابن الجوزي في «الموضوعات» (٢٠٢/٣): «هذا حديث لا يصح؛ قال يحيى: أصبغ لا يساوى شيئاً. وقال ابنُ حبان: فُتِنَ بِحُبِّ علي بن أبي طالب فأتى بالطَّامَاتِ في الروايات؛ فاستحق من أجلها الترك. قال يحيى: وسعد بن طريف لا يحلُّ لأحدٍ أن يروي عنه؛ وقال النَّسائي، والدارقطني: متروك؛ وقال ابن حبان: كان يضع الحديث على الفور».



وَرَوَى الْحَافِظُ أَبُو نُعَيْمٍ: عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «يُؤْتَى بِالشَّهِيدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؛ فَيُنْصَبُ لِلْحِسَابِ، ثُمَّ يُؤْتَى بِالْمُتَصَدِّقِ فَيُنْصَبُ لِلْحِسَابِ، ثُمَّ يُؤْتَى بِأَهْلِ الْبَلَاءِ فَلَا يُنْصَبُ لَهُمْ مِيزَانٌ، وَلَا يُنْشَرُ لَهُمْ دِيوَانٌ، فَيُصَبُّ لَهُمُ الْأَجْرُ صَبًّا، حَتَّى أَنْ أَهْلَ الْعَافِيَةِ لَيَتَمَنَّوْنَ فِي الْمَوْقِفِ أَنَّ أَجْسَادَهُمْ قُرِضَتْ بِالْمَقَارِضِ مِنْ حُسْنِ ثَوَابِ اللَّهِ لَهُمْ»<sup>(١)</sup>.

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ جَاءَ أَقْوَامٌ وَالنَّاسُ فِي الْحِسَابِ قَدْ أَنْبَتَ اللَّهُ لَهُمْ أَجْنَحَةً خُضْرًا، فَتَسَاقَطُوا عَلَى حِيطَانِ الْجَنَّةِ، فَيَقُولُونَ لَهُمْ خَزَنَةُ الْجَنَّةِ: مَنْ أَنْتُمْ؟

فَيَقُولُونَ: نَحْنُ وَلَدُ آدَمَ.

(١) «حلية الأولياء» (٩١/٣) وقال: هذا حديث غريبٌ من حديث جابر وقتادة، تفرَّد به عنه مُجَاعَة.

وأورده القرطبي في «التذكرة» (٧١٩/٢) عنه، وقال: «هذا حديث غريب من حديث جابر الجعفي وقتادة، وتفرَّد به عن قتادة، عن جابر، عن ابن عباس؛ مُجَاعَة بن الزبير». قلتُ: وجابر بن زيد رافضي ضعيف.

وأخرجه الطبراني في «الكبير» (١٢٨٢٩)، وفيه مقال لأجل السري بن عاصم بن سهل، فقد اتهم الوضع والكذب، وأيضًا فيه مُجَاعَة بن الزبير، ضعفه الدراقطني.

وجاء بأكثر من طريق وكلها ضعاف. انظر: «تخريج أحاديث الكشاف» للزيلعي (٢٠٠/٣).

فَيَقُولُونَ: هل شَهِدْتُمُ الحِسابَ؟

قَالُوا: لا.

قَالُوا: أَفَعَبَرْتُمُ الصِّرَاطَ؟

قَالُوا: مَا الصِّرَاطُ؟

فَيُقَالُ لَهُمْ: لِمَ نِلْتُمُ هذه المنزلة؟

قَالُوا: كُنَّا نَعْبُدُ اللهَ سِرًّا؛ فأدخلنا الجنةَ سِرًّا». رَوَاهُ أبو منصور الدَّيْلَمِيُّ<sup>(١)</sup>.

وحكى القُشَيْرِيُّ في «تَحْيِيرِهِ»<sup>(٢)</sup>: أَنَّ بَعْضَهُمْ رُئِيَ فِي النَّوْمِ فَقِيلَ لَهُ: مَا فَعَلَ اللهُ بِكَ؟ قَالَ: وَزِنْتُ حَسَنَاتِي فَرَجَحَتِ السَّيِّئَاتُ عَلَى الْحَسَنَاتِ، فَسَقَطَتْ صُرَّةٌ فِي كِفَّةِ الْحَسَنَاتِ فَرَجَحَتْ، فَحُلَّتِ الصُّرَّةُ فَإِذَا فِيهَا: كَفُّ تَرَابٍ كُنْتُ أَلْقَيْتُهُ فِي قَبْرِ مُسْلِمٍ.

(١) «مسند الفردوس» (١/٢٥٥).

وقال ابن الجوزي رَحِمَهُ اللهُ: «هذا حديث موضوع على رسول الله ﷺ، والمُتَّهَم بوضعه، حميد التَّيْنِسِيِّ، قال أبو حاتم بن حَبَّان: أَتَيْنَاهُ فَحَدَّثَنَا بِهَذَا الْحَدِيثِ، وَأَمَلَى عَلَيْنَا مِنْ هَذَا الضَّرْبِ، فَقُمْنَا وَتَرَكْنَاهُ، فَلَا يَجُوزُ الْاِحْتِجَاجُ بِهِ بَعْدَ رَوَايَتِهِ مِثْلَ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ». «الموضوعات» (٣/٢٥٢).

(٢) و«التَّحْيِيرُ فِي التَّذْكِيرِ» كِتَابُ بِنَاءِ الْقُشَيْرِيِّ عَلَى تَبْيَانِ مَعَانِي الْأَسْمَاءِ الْحَسَنَى، كَمَا قَالَ الرَّافِعِيُّ رَحِمَهُ اللهُ فِي «الْأَمَالِي الشَّارِحَةِ لِمَفْرَدَاتِ الْفَاتِحَةِ» (٥١).

وانظر قوله في: «التَّحْيِيرِ» (١٤٨)، شرح اسمي: «الغفور الشكور». وأوردها القرطبي في «التذكرة» (٢/٧٣١).

وذكر القشيري أيضاً في «تفسيره»<sup>(١)</sup>: إِنَّهُ إِذَا خَفَّتْ حَسَنَاتُ الْمُؤْمِنِ، أَخْرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَطَاقَةً كَالْأَنْمُلَةِ؛ فَيُلْقِيهَا فِي كِفَّةِ الْمِيزَانِ الَّتِي فِيهَا حَسَنَاتُهُ، فَتَرْجَحُ الْحَسَنَاتُ عَلَى السَّيِّئَاتِ. فيقول ذلك العبدُ المؤمنُ لِلنَّبِيِّ ﷺ: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي مَا أَحْسَنَ وَجْهَكَ وَمَا أَحْسَنَ خُلُقَكَ، فَمَنْ أَنْتَ؟ فيقول: أَنَا نَبِيُّ مُحَمَّدٍ، وَهَذِهِ صَلَاتُكَ عَلَيَّ، وَقَدْ وَفَّيْتُكَ إِيَّاهَا أَحْوَجَ مَا تَكُونُ إِلَيْهَا.

وذكر الغزالي<sup>(٢)</sup>: أَنَّهُ يُؤْتَى بِرَجُلٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَا يَجِدُ حَسَنَةً

(١) لم أقف عليه في المطبوع من «تفسيره».

وأورده الواحدي في «التفسير البسيط» (٢٧/٩)، والقرطبي في «التذكرة» (٧١٨/٢)، والرازي في «التفسير الكبير» (٢٠٤/١٤)، وابن عادل الحنبلي في «اللباب في علوم الكتاب» (٢٤/٩). وطالع «الدر المنثور» للسيوطي (٣٢٧/٦) فقد عزاه لابن أبي الدنيا، والنميري في «الإعلام». وطالع: «حسن الظن بالله» لابن أبي الدنيا (٨٠)، وفي «الإعلام بفضل الصلاة على النبي والسلام»: (١٤٩، ط: الكتب العلمية) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، وإسناده واه.

انظر: «منهاج السلامة في ميزان القيامة» لابن ناصر الدين الدمشقي (١٠٩)، و«القول البديع في الصلاة على الحبيب الشفيع» للسخاوي (١٢٩) حيث قال: «وسنده هالك».

(٢) في كتابه: «الدرة الفاخرة في كشف علوم الآخرة» (٦٦، ط: الحكمة)، وعنه أوردها القرطبي في «التذكرة» (٧٣٣/٢).

تنبيه: يقول الحافظ ابن حجر العسقلاني رحمه الله عن كتاب الغزالي: «ولقد أكثر في هذا الكتاب من إيراد أحاديث لا أصول لها، فلا يُغترّ بشيء منها». «فتح الباري» (٤٣٤/١١).

تَرْجَحُ بِهَا مِيزَانُهُ، وَقَدْ اعْتَدَلَتْ بِالسَّوِيَّةِ، فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى لَهُ رَحْمَةً مِنْهُ: اذْهَبْ فِي النَّاسِ فَالْتَمَسْ مَنْ يُعْطِيكَ حَسَنَةً أُدْخِلْكَ بِهَا الْجَنَّةَ؛ فَمَا يَجِدُ أَحَدًا يُكَلِّمُهُ فِي ذَلِكَ إِلَّا يَقُولُ لَهُ: أَنَا أَحْوَجُ لَذَلِكَ مِنْكَ؛ فَيَأْسُ، فَيَقُولُ لَهُ رَجُلٌ: لَيْسَ فِي صَحِيفَتِي إِلَّا حَسَنَةٌ وَاحِدَةٌ، وَمَا أَظْنُهَا تُغْنِي عَنِّي شَيْئًا؛ خُذْهَا هِبَةً مِنِّي إِلَيْكَ؛ فَيَنْطَلِقُ بِهَا مَسْرُورًا، فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: مَا شَأْنُكَ - وَهُوَ أَعْلَمُ -؟ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، اتَّفَقَ مِن أَمْرِي كَيْتَ وَكِيتَ؛ قَالَ: فَيُنَادِي اللَّهُ صَاحِبَهُ الَّذِي وَهَبَهُ الْحَسَنَةَ، فَيَقُولُ تَعَالَى: كَرِّمِي أَوْسَعُ مِن كَرَمِكَ؛ خُذْ بِيَدِ أَخِيكَ وَادْخُلَا الْجَنَّةَ.

### \* الثالثُ عَشَرَ: فِي ذِكْرِ مَا نَاسَبَ ذَلِكَ مِنَ الرَّقَائِقِ.

قَالَ عَطَاءُ بْنُ وَاسِعٍ<sup>(١)</sup>: قَسَى قَلْبِي عَلَيَّ مَرَّةً فَأَرَدْتُ تَهْذِيبَهُ، فَتَفَكَّرْتُ فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَفِي الْمَوْتِ وَمَا فِيهِ وَمَا بَعْدَهُ؛ مِنْ أَهْوَالٍ، وَبَعْثٍ وَنُشُورٍ، وَحِسَابٍ، وَمِيزَانٍ، وَصِرَاطٍ؛ فَكَبَّرَ عَلَيَّ

(١) لَمْ أَقِفْ لَهُ عَلَى تَرْجُمَةٍ بَعْدَ طَوْلِ بَحْثٍ فِيمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنْ مَرَاجِعٍ. وَمَا سِذَكَرَهُ مِنَ التَّعْفِيرِ فِي التَّرَابِ وَالْهِيَامِ فِي الْمَقَابِرِ وَمَا يَتَّبِعُ ذَلِكَ مِمَّا نَزَعَ إِلَيْهِ هُوَ أَوْ بَعْضُ أَهْلِ التَّصَوُّفِ، مُخَالِفٌ لِلشَّرِيعَةِ وَجَهْلٌ بِهَا وَبِهْذِي نَبِيْنًا ﷺ؛ فَإِنَّهُ قَدْ أَمَرَ بِزِيَارَةِ الْقُبُورِ وَالِاتِّعَاطِ بِهَا، وَلَمْ يَأْمُرْ بِمِثْلِ هَذِهِ الْأَفْعَالِ الْمُنْكَرَةِ، وَكَذَا كَانَ هَدْيِ صَحَابَتِهِ ﷺ مِنْ بَعْدِهِ فِي هَذَا الْبَابِ، أَفْتَرَى غَيْرَهُمْ أَخْشَى لِلَّهِ وَأَكْثَرَ خَوْفًا مِنْهُمْ؟! وَانْظُرْ: «تَلْبِيسُ إِبْلِيسَ» لِابْنِ الْجَوْزِيِّ (٣/٩١٨)، وَانْظُرْ فِيهِ كَيْفَ لَبَسَ الشَّيْطَانُ عَلَى كَثِيرٍ مِنَ الصُّوفِيَةِ فَوْقَعُوا فِي الْبَدْعِ وَالْمُنْكَرَاتِ مِنْ حَيْثُ ظَنُّوْهَا غَايَةَ الْقُرْبَةِ وَالتَّأَلُّهِ، نَسَأَلُ اللَّهَ السَّلَامَةَ وَالْعَافِيَةَ.

الأمر وعَظُم واشتدَّ جَزَعِي وَخَوْفِي وبكاي ونَحْيِي؛ فَعَرَضْتُ عملي على نفسي فلم أَجِدْ لي عملاً يَصْلُحُ لِلخَلاصِ مِنْ ذلك؛ فَبَكَيْتُ وازدَدْتُ نَحِيْبًا وَجَزَعًا.

ثُمَّ بَادَرَ واضْطَنَعَ له قَبْرًا في بَيْتِهِ وَحَفَرَهُ، وصار كُلَّمَا غَفَلَ عن العبادَةِ ومُجاهدَةِ النفس؛ نَزَلَ في قَبْرِهِ وَعَقَّرَ وَجْهَهُ بِالتُّرابِ واضْطَجَعَ فيه يَبْكِي على نَفْسِهِ، وَيُذَكِّرُهَا وَحْدَةَ القَبْرِ وَغُرْبَتَهُ وَضِيقَهُ وَوَحْشَتَهُ، وَيَذَكِّرُ قِلَّةَ عَمَلِهِ وَعَجْزَهُ وَتَقْصِيرَهُ، وَعَرَضَهُ على الحساب، وَوزَنَ أَعْمَالِهِ، وَيَتَفَكَّرُ، وَيَتْلُوا هذه الآية: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَزِينَ الْقِسْطَ﴾ الآية [الأنبياء: ٤٧]، ثم يقول: ﴿رَبِّ ارْجِعُونِ﴾ (٩٩) لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ﴾ [المؤمنون: ٩٩، ١٠٠]، يُرَدِّدُهَا على نَفْسِهِ مرارًا، وَيَبْكِي، ثم يَرُدُّ على نَفْسِهِ فيقول: قد رَجَعْتُكَ؛ فَلَمَّا اشْتَدَّ به هذا الجَزَعُ؛ خَرَجَ إلى المَقَابِرِ، مُتَأَمِّلًا فيها فرأى مَكْتُوبًا على قَبْرِ:

يا أيها الناسُ كان لي أَمَلٌ قَصَّرَ بي عن بُلوغِهِ الأجلِ  
فليَتَّقِ اللهَ رَبَّهُ رَجُلٌ أَمَكَنَهُ في حَيَاتِهِ العَمَلُ  
ما أنا وَحْدِي نُقِلْتُ حيثُ تَرَى كُلُّ إلى مثله سينتقلُ

فبَكَى واشتدَّ جَزَعُهُ ونَحْيُهُ، وعَاهَدَ اللهَ تعالى أن لا يَرْجِعَ إلى بَيْتِهِ، ولم يزل هائِمًا يأوي المَقَابِرَ حَتَّى ماتَ رحمه الله تعالى.  
وخرجَ مالِكُ بْنُ دِينَارٍ رحمه الله تعالى<sup>(١)</sup> إلى المَقَابِرِ، وكان قد

(١) هو: العالم العابد الزاهد، أبو يحيى مالك بن دينار البصري من ثقات التابعين، توفي ﷺ (١٢٧هـ) وقيل: (١٣٠هـ)، انظر ترجمته: «تهذيب الأسماء واللغات» للنووي (٢/ ١٦٨، ط: كوشك)، و«سير أعلام النبلاء» للذهبي (٣٦٢/٥).

ذَكَرَ الْمَوْتَ وَأَهْوَالَهُ وَمَا بَعْدَهُ، فَلَمْ يَنْمَ تِلْكَ اللَّيْلَةَ، فَوَقَفَ عِنْدَ الْمَقَابِرِ مُتَفَكِّرًا بَاكِيًا مُنْشِدًا يَقُولُ:

أَتَيْتُ الْقُبُورَ فَنَادَيْتُهَا      أَيْنَ الْمُعْظَمُ وَالْمُحْتَقَرُ  
وَأَيْنَ الْمُذِلُّ<sup>(١)</sup> بِسُلْطَانِهِ      وَأَيْنَ الْعَزِيزُ إِذَا مَا افْتَخَرَ

قَالَ فَنُودِيتُ مِنْ بَيْنِهِمْ أَسْمَعُ صَوْتًا وَلَا أَرَى شَخْصًا:

تَفَانُوا جَمِيعًا فَلَا مُخِيرٌ      وَمَاتُوا جَمِيعًا وَعَادُوا عِبرٌ  
وَصَارُوا إِلَى مَلِكٍ قَادِرٍ      عَزِيزٍ مُطَاعٍ إِذَا مَا أَمَرَ  
تَنُوحُ عَلَيْهِمَ بَنَاتُ الثَّرَى      وَتَمْحُوا مَحَاسِنَ تِلْكَ الصُّورِ  
وَقَدْ غَوَّضُوا عَنْ قُصُورِ لَهُمْ      فَلِمَا نَعِيمٌ وَإِمَّا سَقَرُ  
فَيَا سَائِلِي عَنْ أَنْاسٍ مَضَوْا      أَمْالَكَ فِيمَا مَضَى مُعْتَبَرُ<sup>(٢)</sup>

وقال بعضهم: بَيْنَا أَنَا فِي سِيَّاحَتِي، إِذَا بِصَوْتٍ أَسْمَعُهُ وَلَا أَرَى شَخْصَهُ يَقُولُ: يَا عِبَادَ اللَّهِ، إِنَّ الْجَنَّةَ رَخِيصَةٌ، فَاشْتَرُوا، وَإِنَّ الرَّبَّ كَرِيمٌ فَأَقْبِلُوا عَلَيْهِ؛ فَالْتَفْتُ يَمِينًا وَشِمَالًا فَلَمْ أَرَ أَحَدًا، وَإِذَا بِهِ يَقُولُ: يَا هَذَا، اشْتَرِ الْجَنَّةَ، وَتَاجِرٌ فِيهَا تَرْبُحُ، فَإِنَّهَا رَخِيصَةٌ؛ فَقُلْتُ: بِمَاذَا؟

فَقَالَ: بِصَلَاةٍ، أَوْ صِيَامٍ، أَوْ حَجٍّ، أَوْ صَدَقَةٍ، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ؛ فَبِشِقِّ تَمْرَةٍ، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ؛ فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ؛ ثُمَّ أَنْشَأَ يَقُولُ:

(١) كَذَا فِي الْأَصْلِ بِالذَّالِ الْمَعْجَمَةِ، وَفِي بَعْضِ الْمَصَادِرِ: «الْمُذِلُّ» بِالذَّالِ الْمَهْمَلَةِ، وَكِلَاهُمَا صَوَابٌ.

(٢) انْظُرْ: «الْمَجَالِسَةُ وَجَوَاهِرُ الْعِلْمِ» لِابْنِ قَتَيْبَةَ (٢/٤٠٨)، وَ«أَهْوَالُ الْقُبُورِ» لِابْنِ رَجَبٍ (٢٣٣) دُونَ الْبَيْتَيْنِ الْأَخِيرَيْنِ.

عَجِبْتُ مِنْ عَاقِلٍ لَبِيبٍ يُذْهَبُ فِي الْفَانِيَاتِ عُمرَهُ  
وَيَبْذُلُ الْمَالَ فِي مَتَاعٍ يَفْنَى وَيَبْقَى عَلَيْهِ حَسْرَهُ  
بَيْنَ يَدَيْهِ الْعَدَاةُ نَارٌ مَا يَتَّقِيهَا بَشِقٌ تَمَرَهُ  
فيا عبادَ الله، إذا كان الأمرُ كذلك، فأقبلوا بقلوبكم عليه، وقفوا  
بالخضوع والخشوع لديه، وانكسروا بالذل بين يديه، إنه جواد كريم،  
تَوَّابٌ رَحِيمٌ.

\* الرَّابِعُ عَشَرَ، وَهُوَ الْخَاتِمَةُ: فِي ذِكْرِ بَعْضِ مَا وَرَدَ فِي فَضْلِ  
التَّسْبِيحِ وَالتَّحْمِيدِ وَالذِّكْرِ، مُطْلَقًا وَمُقَيَّدًا:

قَالَ ﷺ: «إِذَا مَرَرْتُمْ بِرِیَاضِ الْجَنَّةِ فَارْتَعُوا».

قَالُوا: وَمَا رِیَاضُ الْجَنَّةِ، يَا رَسُولَ اللَّهِ؟

قَالَ: «حِلْقُ الذِّكْرِ»<sup>(١)</sup>.

(١) أخرجه أحمد في «المسند» (١٢٥٢٣)، والترمذي (٣٥١٠)، من حديث  
أنس بن مالك رضي الله عنه، وفيه ضعف؛ لضعف محمد بن ثابت البناني، وقد  
سأل الترمذي البخاري عنه، فلم يعرفه وقال: لمحمد بن ثابت عجائب.  
قاله في «العلل الكبير» (٥٨٤).

ورغني عنه ما أخرجه مسلم في «الصحيح» (٢٦٨٩) من حديث  
أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ، قال: «إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مَلَائِكَةُ سَيَّارَةٍ،  
فَضْلًا يَتَّبِعُونَ مَجَالِسَ الذِّكْرِ، فَإِذَا وَجَدُوا مَجْلِسًا فِيهِ ذِكْرٌ قَعَدُوا مَعَهُمْ،  
وَحَفَّتْ بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِأَجْنَحَتِهِمْ، حَتَّى يَمْلَأُوا مَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ السَّمَاءِ الدُّنْيَا،  
فَإِذَا تَفَرَّقُوا عَرَجُوا وَصَعَدُوا إِلَى السَّمَاءِ؛ قَالَ: فَيَسْأَلُهُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ  
= وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ: مِنْ أَيْنَ جِئْتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: جِئْنَا مِنْ عِنْدِ عِبَادِكَ فِي =

وفي الحديث: «مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ؛ خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ؛ غَفَرَ اللَّهُ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»<sup>(١)</sup>، وحاسبَهُ حِسَابًا يَسِيرًا، وأَدْخَلَهُ الْجَنَّةَ بِفَضْلِهِ وَرَحْمَتِهِ؛ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا.

= الأرض، يسبحونك ويكبرونك ويهللونك ويحمدونك ويسألونك. قال: وماذا يسألوني؟ قالوا: يسألونك جنتك. قال: وهل رأوا جنتي؟ قالوا: لا، أي رب. قال: فكيف لو رأوا جنتي؟ قالوا: ويستجيرونك. قال: ومم يستجيرونني؟ قالوا: من نارك يا رب. قال: وهل رأوا ناري؟ قالوا: لا. قال: فكيف لو رأوا ناري؟ قالوا: ويستغفرونك. قال: فيقول: قد غفرت لهم فأعطيتهم ما سألوا، وأجرتهم مما استجاروا؛ قال: فيقولون: رب فيهم فلان عبد خطاء، إنما مرّ فجلس معهم. قال: فيقول: وله غفرت، هم القوم لا يشقى بهم جليسهم».

(١) لم أقف على حديث بهذا اللفظ، ولعل المصنف يروي بالمعنى هذه الأحاديث.

ومما ورد في هذا السياق، حديث: «مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُخْلِصًا مِنْ قَلْبِهِ - أَوْ: يَقِينًا مِنْ قَلْبِهِ -؛ دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَلَمْ تَمْسَسْهُ النَّارُ» أخرجه الحميدي في «مسنده» (٣٧٣) من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه وإسناده صحيح، وانظر: «صحيح مسلم» (٣٢).

ومما ورد أيضًا: حديث عثبان بن مالك رضي الله عنه: «فَإِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَى النَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ؛ يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجَهَ اللَّهِ». البخاري (٤٢٥)، ومسلم (٦٥٧، ٢٦٣).

وكذا ما أخرجه مسلم (٢٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ أنه قال: «أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنْنِي رَسُولُ اللَّهِ، لَا يَلْقَى اللَّهُ بِهِمَا عَبْدٌ غَيْرُ شَاكٍ؛ فَيُحْجَبُ عَنِ الْجَنَّةِ».

وأيضًا: حديث عن أبي هريرة رضي الله عنه، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لَهُ يَوْمًا: =



= «مَنْ لَقِيَ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُسْتَقِنًا بِهَا قَلْبَهُ؛ فَبَشَّرُهُ بِالْجَنَّةِ»، مسلم (٣١).

والأحاديث في هذا الباب مستفيضة بلغت حدَّ التواتر، وانظر: «نظم المتناثر من الحديث المتواتر» للكتاني (٣٩).

وهنا فائدة في أهمية حُسن الفهم والجمع بين الأحاديث المطلقة والمُقيدة في أحاديث دخول الجنة بالإتيان بكلمة التوحيد.

يقول ابن رجب رحمته الله: «قال طائفة من العلماء: إِنَّ كلمة التوحيد سببٌ مُقتَضٍ لدخول الجنة وللنَّجاة من النار، لكن لها شروط: وهي الإتيان بالفرائض؛ وموانع: وهي إتيان الكبائر.

وقيل للحسن: إن ناسًا يقولون: من قال: «لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» دخل الجنة؛ فقال: من قال: «لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»؛ فأدَّى حَقَّها وفرضها؛ دخل الجنة.

وقيل لوهب بن مُنبه: أليس «لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» مفتاح الجنة؟ قال: بلى، ولكن ما مِنْ مفتاح إِلَّا وله أسنان، فَإِنْ جِئْتَ بمفتاح له أسنان، فُتِحَ لك، وَإِلَّا لم يفتح لك.

وقالت طائفة: هذه النصوص المطلقة جاءت مقيدة بأن يقولها بصدق وإخلاص، وإخلاصها وصدقها يمنع الإصرار على معصية.

فتبيَّن بهذا أنه لا يصح تحقيق معنى قول: لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ إِلَّا لمن لم يكن في قلبه إصرار على محبة ما يكرهه الله، ولا على إرادة ما لا يريده الله، ومتى كان في القلب شيء من ذلك، كان ذلك نقصًا في التوحيد، وهو نوع من الشرك الخفي.

فتبيَّن بهذا معنى قوله رحمته الله: «من شهد أن لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ صادقًا من قلبه حرَّمه الله على النار»، وأنَّ مَنْ دخل النار من أهل هذه الكلمة، فَلِقَلَّةٌ صدقه في قولها، فَإِنَّ هذه الكلمة إذا صدَّقَتْ طَهَّرَتْ مِنَ القلب كلَّ =

وعنه عليه السلام: «مَنْ جَلَسَ فِي مَجْلِسٍ كَثُرَ فِيهِ لَغَطُهُ، فَقَالَ قَبْلَ أَنْ يَقُومَ مِنْهُ: سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا وَبِحَمْدِكَ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ؛ إِلَّا غُفِرَ لَهُ مَا كَانَ فِي مَجْلِسِهِ ذَلِكَ»<sup>(١)</sup>.

وفي «الحلية» لأبي نعيم: «مَنْ أَرَادَ أَنْ يُكَالَ بِالْمِكْيَالِ الْأَوْفَى؛ فَلْيَقُلْ عِنْدَ إِرَادَتِهِ الْقِيَامَ مِنْ مَجْلِسِهِ: ﴿سُبْحَنَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾» [الصفات: ١٨٠] <sup>(٢)</sup>.

وعنه عليه السلام: «مَنْ قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ [فِي كُلِّ يَوْمٍ مِئَةَ مَرَّةٍ]<sup>(٣)</sup>؛ حُطَّتْ خَطَايَاهُ وَلَوْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ»<sup>(٤)</sup>.

= ما سوى الله، فمن صدق في قوله: «لا إله إلا الله» لم يحبَّ سواه، ولم يَرْجُ إِلَّا إِيَّاهُ، ولم يخشَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ، ولم يتوَكَّلْ إِلَّا عَلَى اللَّهِ، ولم تَبْقَ لَهُ بَقِيَّةٌ مِنْ إِثَارِ نَفْسِهِ وَهَوَاهُ، ومتى بقي في القلب أثرٌ لِسَوَى اللَّهِ، فَمِنْ قِلَّةِ الصَّدَقِ فِي قَوْلِهَا. «جامع العلوم والحكم» (١/٥٢٢ - ٥٢٦) مختصراً.

- (١) أخرجه الترمذي في «الجامع الكبير» (٣٤٣٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. وأخرجه أحمد في «المسند» (١٠٤١/٥) وهو صحيح.
- (٢) «حلية الأولياء» (١٢٣/٧) من قول علي عليه السلام، ولا يصح رفعه.
- (٣) ما بين المعقوفتين سقط من جميع النسخ، والاستدراك من «الصحيحين».
- (٤) أخرجه البخاري (٣٢٩٣)، ومسلم (٢٦٩١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، دون لفظة: «كل».

و«مَنْ قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ؛ فِي كُلِّ يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ، لَمْ يَأْتِ بِمِثْلِ مَا جَاءَ بِهِ إِلَّا رَجُلٌ قَالَ مِثْلَهُ، أَوْ زَادَ عَلَيْهِ»<sup>(١)</sup>.

و«مَنْ قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ؛ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»<sup>(٢)</sup>.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: إِنِّي أَلَمَمْتُ بِذَنْبٍ، فَمَاذَا يُكَفِّرُ عَنِّي؟

قَالَ: «عَلَيْكَ بِالْجِهَادِ». قَالَ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ، إِنِّي لَمِنْ أَجْبَنِ النَّاسِ، وَمَا آتَى حَاجَتِي إِلَّا وَمَعِيَ مُؤْنِسٌ مِنْ أَهْلِي.

قَالَ: «عَلَيْكَ بِالصَّلَاةِ». قَالَ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ، إِنِّي لَمِنْ أَهْلِ بَيْتٍ يَنَامُونَ عَنِ الصَّلَاةِ، وَلَوْ لَا أَنَّ أَهْلَ بَيْتِي يُوقِظُونَنِي الْفَرِيضَةَ لَمَّا يَقْضَتْ وَمَا قُتِّ إِلَيْهَا.

قَالَ: «عَلَيْكَ بِالصَّوْمِ». قَالَ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ، مَا أَشْبَعُ مِنْ أَكْلٍ؛ فَضَحِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ، وَقَالَ: «عَلَيْكَ

(١) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ (٢٦٩٢) مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، بِلَفْظٍ: «مَنْ قَالَ حِينَ يَصْبِحُ وَحِينَ يَمْسِي»، وَدُونَ لَفْظَةٍ: «كُلَّ».

(٢) لَمْ أَقِفْ عَلَيْهِ بِهَذَا اللَّفْظِ.

وَمِمَّا وَرَدَ فِي ذَلِكَ حَدِيثُ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ قَالَ حِينَ يَصْبِحُ: سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ وَبِحَمْدِهِ، مِائَةَ مَرَّةٍ، فَإِذَا أَمْسَى كَذَلِكَ لَمْ يُؤَافِ أَحَدٌ مِنَ الْخَلَائِقِ بِمِثْلِ مَا وَافَى»، أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ (٥٠٩٢). وَهُوَ صَحِيحٌ.

الْأَحَادِيثُ فِي هَذَا الْبَابِ كَثِيرَةٌ، وَالْفَافِظُهَا مُخْتَلِفَةٌ.

بِكَلِمَتَيْنِ خَفِيفَتَيْنِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَيْنِ فِي الْمِيزَانِ، تُرْضِيَانِ الرَّحْمَنَ؛  
سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ»<sup>(١)</sup>.



(١) أسنده ابن ناصر الدين الدمشقي رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «التنقيح في حديث التسبيح» (١٢٨) للحاكم، فقال:

حدثنا علي بن حمشاذ، ثنا أحمد بن سلمة، ثنا عبد العزيز بن يحيى،  
ثنا عبد العزيز بن محمد الدراوردي، عن سهيل بن أبي صالح، عن أبيه،  
عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وليس في المطبوع منه، وهذا إسناده ضعيف جداً، لأجل عبد العزيز بن  
يحيى المدني، اتَّهَمَهُ الْبُخَارِيُّ بِالْوَضْعِ، وَكَذَّبَهُ غَيْرُهُ.

انظر: «مِيزَانُ الْعَدَالِ» لِلزَّهَبِيِّ (٥٥٥/٢).

## قيد السماع في المسجد الأقصى

«لا إله إلا الله» عُدَّة للقاءه

بلغ بقراءتي قراءة عرض ومقابلة لـ «بداية القاري في ختم البخاري» للعلامة الطبلاوي رحمته الله، تحقيق فضيلة الشيخ الدكتور محمد بن يوسف الجوراني العسقلاني؛ فصَحَّ ذلك وثبت في مجلسين:

١ - يوم السبت ٦ / ربيع الأول / ١٤٣٦ هـ، الموافق ١٢ / ٢٧ / ٢٠١٤ م.

٢ - يوم الثلاثاء ٩ / ربيع الأول / ١٤٣٦ هـ، الموافق ١٢ / ٣٠ / ٢٠١٤ م.

وقد شاركني في المقابلة أخي حضرة الأستاذ أيمن حسونه حفظه الله، وذلك في مكتبة المسجد الأقصى المبارك أعاد الله مجدها.

وكتب

أمين المخطوطات بمكتبة المسجد الأقصى  
يوسف الأوزبكي المقدسي

## قيد السماع في المسجد الحرام

الحمد لله وكفى، والصلاة والسلام على نبيه المجتبي، وبعد...  
فقد قرأ عليّ هذا الختم «بداية القاري» بتحقيق الشيخ الدكتور  
محمد بن يوسف الجوراني العسقلاني، بقراءة المقرئ الشيخ محمد بن  
أحمد محمود آل رحاب وفقه الله لكل خير، وسمع طرفاً منه الأخ  
الوجيه المفضل هاني ساب، وإبراهيم التوم في المسجد الحرام تجاه  
الكعبة المشرفة في ٢٠ رمضان المبارك ١٤٣٥هـ.



## فهرس المصادر والمراجع

- ١ - الأبواب والتراجم لصحيح البخاري، للكاندهلوي، تحقيق د. ولي الدين الندوي، دار البشائر الإسلامية، ط١، ١٤٣٣هـ.
- ٢ - إحياء علوم الدين، لحجة الإسلام أبي حامد الغزالي، مصورة بدون تحقيق، دار المعرفة، بيروت، بدون تأريخ.
- ٣ - أدب الإملاء والاستملاء، للسمعاني، تحقيق أحمد محمد عبد الرحمن محمود، مؤسسة تبوك، بدون تأريخ.
- ٤ - إرشاد الساري شرح صحيح البخاري، للحافظ القسطلاني، الأميرية، بولاق مصر، ط١، ١٣٠٥هـ.
- ٥ - أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، للشنقيطي، دار عالم الفوائد، ط٣، ١٤٣٣هـ.
- ٦ - الاعتصام، للشاطبي، تحقيق د. محمد الشقير وآخرون، دار ابن الجوزي، ط١، ١٤٢٩هـ.
- ٧ - الإعلام بفضل الصلاة على النبي والسلام، للنميري، تحقيق حسين محمد شكري، دار الكتب العلمية، ط١، ٢٠٠٩م.
- ٨ - الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام = نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر، لمؤرخ الهند عبد الحي الحسني، دار ابن حزم، ط١، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.
- ٩ - الأعلام، لخير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت ط١٥، ٢٠٠٢م.
- ١٠ - إفادة النصيح في التعريف بالجامع الصحيح، لابن رشيد السبتي، تحقيق محمد الحبيب بلخوجة، الدار التونسية بدون تأريخ.
- ١١ - الإقناع في مسائل الإجماع، لابن القطان، تحقيق فاروق حمادة، دار القلم، ط١، ١٤٢٤هـ.

- ١٢ - الإمام الترمذي والموازنة بين جامعهِ وبين الصحيح، د. نور الدّين عتر، دار البصائر، مصر، ط١، ٢٠١٤م.
- ١٣ - إمتاع الفضلاء بتراجم القراء، إلياس البرماوي، دار الزمان، المدينة المنورة، ط٢، ١٤٢٨هـ.
- ١٤ - إنباء الغمر بأبناء العُمر، للحافظ ابن حجر العسقلاني، تحقيق حسن حبشي، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، مصر، ط١، ١٤٣٠هـ / ٢٠١٠م.
- ١٥ - أهوال القبور، لابن رجب الحنبلي، تحقيق عاطف شاهين، دار الغد الجديد، مصر، ط١، ١٤٢٦هـ.
- ١٦ - إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون، إسماعيل البغدادي، دار إحياء التراث العربي، مصورة، بدون تأريخ.
- ١٧ - بدائع الفوائد، لابن قيم الجوزية، تحقيق علي العمران، دار عالم الفوائد، ط٣، ١٤٣٣هـ.
- ١٨ - البداية والنهاية، لابن كثير، تحقيق مجموعة من الباحثين، دار ابن كثير، دمشق، ط٢، ١٤٣١هـ.
- ١٩ - البرهان في علوم القرآن، للزركشي، تحقيق د. يوسف المرعشلي وزملاؤه، دار المعرفة، ط١، ١٤٠٩هـ.
- ٢٠ - بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، للفيروز آبادي، تحقيق محمد النجار، دار الكتب العلمية، ط١.
- ٢١ - تاج العروس من جواهر القاموس، للسيد محمد مرتضى الزبيدي، مجموعة محققين، طبعة وزارة الإرشاد والأنباء الكويت، ط١، ١٣٨٥هـ / ١٩٦٥م.
- ٢٢ - تاريخ بغداد، للخطيب البغدادي، تحقيق د. بشار عواد، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ.
- ٢٣ - تاريخ دمشق، لابن عساكر، تحقيق عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر، ١٤١٥هـ.
- ٢٤ - تأهب الراوي الفصيح لفتح الجامع الصحيح، أبو القاسم ابن أبي دينار القيرواني، تحقيق د. الهادي روشو، دار سحنون وابن حزم، ط١، ١٤٣٥هـ.



- ٢٥ - التعبير في التذكير، للقشيري، عناية أحمد الحلواني، دار أزال، بيروت، ط٢، ١٤٠٦هـ.
- ٢٦ - تحرير المقال والبيان في الكلام على الميزان، للسخاوي، تحقيق بدر العماش، مجلة البحوث الإسلامية ع (٥٦) سنة ١٤١٩هـ.
- ٢٧ - التحرير والتنوير، لابن عاشور، دار سحنون، تونس، ١٩٨٤م.
- ٢٨ - تحفة الأخباري بترجمة البخاري، لابن ناصر الدين الدمشقي، تحقيق محمد بن ناصر العجمي، دار البشائر الإسلامية، ط٢، ١٤٣٣هـ / ٢٠١٢م.
- ٢٩ - تحقيق اسمي الصحيحين وجامع الترمذي، عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، ط١، ١٤١٤هـ.
- ٣٠ - تخريج أحاديث الكشف، للزيلعي، تحقيق عبد الله السعد، دار ابن خزيمة، ط١، ١٤١٤هـ.
- ٣١ - تذكرة الحفاظ، للحافظ الذهبي، تصحيح عبد الرحمن المعلمي اليماني، مكتبة ابن تيمية، مصورة بدون تأريخ.
- ٣٢ - التعديل والتجريح لمن خرَّج له البخاري في الجامع الصحيح، لأبي الوليد الباجي، تحقيق أ. د. أبو لبابة الطاهر حسين، دار الغرب، ط٢، ١٤٣١هـ.
- ٣٣ - تغليق التعليق، للحافظ ابن حجر العسقلاني، تحقيق د. سعيد القزقي، المكتب الإسلامي، ودار عمار، ط١، ١٤٠٥هـ.
- ٣٤ - تفسير الإمام عبد الرزاق الصنعاني، تحقيق مصطفى مسلم، مكتبة الرشد، ط١، ١٤١٠هـ.
- ٣٥ - تفسير ابن أبي حاتم، لابن أبي حاتم، تحقيق أسعد الطيب، مكتبة نزار الباز، ط٣، ١٤١٩هـ.
- ٣٦ - التفسير البسيط، للواحدي، تحقيق مجموعة من الأكاديميين، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ط١، ١٤٣٠هـ.
- ٣٧ - تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، تحقيق سامي السلامة، دار طيبة، ط٢، ١٤٢٠هـ.
- ٣٨ - التفسير الكبير، للرازي، دار إحياء التراث، ط٣، ١٤٢٠هـ.
- ٣٩ - التفسير الوسيط، للواحدي، تحقيق علي عبد الموجود، وعادل معوض، وآخرون، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٥هـ.

- ٤٠ - تـكـحـيـل العـيـن بـجـواز السـؤال عـن الله بـأين، لـلصـادق بـن سـليـم، دار التـوحيـد، الرـيـاض، ط١، ١٤٢٧هـ.
- ٤١ - تـلبـيـس إبـليـس، لابـن الجـوزي، تـحـقـيـق د. أحمـد عثمـان المـزيـد، دار الوطـن، السـعوـديـة، ط١، ١٤٢٣هـ.
- ٤٢ - التـنـقـيـح فـي حـديث التـسـبيـح، لابـن ناصـر الدّين الدمشـقي، تـحـقـيـق مـحمـد بـن ناصـر العـجـمي، دار البشائر الإسلامـية، ط٢، ١٤٣١هـ.
- ٤٣ - التـنـقـيـح لألفـاظ الجـامـع الصـحـيـح، للزركشـي، تـحـقـيـق د. يحيى الحـكـمي، مـكـتـبـة الرشد ناشرون، ط١، بدون تأريـخ.
- ٤٤ - تـهـذـيـب الأسماء واللغات، للإمام النـووي، تـحـقـيـق عبـده كوشـك، دار الفـيحاء، دمشـق، دار المنهل ناشرون دمشـق، ط١، ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م.
- ٤٥ - تـهـذـيـب الكمال فـي أسمـاء الرـجال، للحافظ المـزي، تـحـقـيـق د. بشار عواد، مؤسـسة الرـسالة، بيـروت، ط١، ١٤٠٠هـ.
- ٤٦ - التـوـشـيـح شـرح الجـامـع الصـحـيـح، للسيوطي، تـحـقـيـق رضوان جـامـع رضوان، مـكـتـبـة الرشد، ط١، ١٤١٩هـ.
- ٤٧ - ثـبـت ابـن العمـاد الحـنبـلي، ويليـه مختصر ثـبـت عبـد الباقي البـعـلي الدمشـقي، اختصار أبي المواهب الحنبلي، تـحـقـيـق مـحمـد بـن ناصـر العـجـمي، دار البشائر الإسلامـية، بيـروت، ط١، ١٤٣٤هـ / ٢٠١٣م.
- ٤٨ - ثـبـت الإمام شـيـخ الإسلام ابـن حـجر الهـيـتمي، لابـن حـجر الهـيـتمي، تـحـقـيـق د. أمجد رشيد، دار الفتح، عمّان، ٢٠١٤م.
- ٤٩ - جـامـع البـيـان عـن نـاويل آي القرآن، لابـن جـريـر الطـبري، تـحـقـيـق دار هـجر، مـصر، ط١، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م.
- ٥٠ - الجـامـع الصـحـيـح = «صـحـيـح البخاري»، للإمام البخاري، تـحـقـيـق د. مـحمـد بـن يوسـف الجـوراني العسقلاني، وآخرون، مؤسـسة الرـسالة العالـميـة، بيـروت، ط١، ١٤٣٢هـ / ٢٠١١م.
- ٥١ - جـامـع العـلـوم والحـكم، لابـن رجب الحنبلي، تـحـقـيـق شـعـيـب الأرنؤوط، وإبراهيم باجس، مؤسـسة الرـسالة، ط٧، ١٤٢٢هـ.

- ٥٢ - الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، تحقيق مجموعة من الباحثين في مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٧هـ.
- ٥٣ - الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، للخطيب البغدادي، تحقيق محمد عجاج الخطيب، مؤسسة الرسالة، ط٣، ١٤١٦هـ.
- ٥٤ - جمهرة اللغة، لابن دريد، تحقيق منير البعلبكي، دار العلم للملايين، ط١، ١٩٨٧م.
- ٥٥ - الجواهر الغوالي في ذكر الأسانيد العوالي، محمد البديري الحسيني (مخطوط) = نسخة المكتبة الشاملة.
- ٥٦ - الجوع، لابن أبي الدنيا، تحقيق محمد خير رمضان يوسف، دار ابن حزم، ط١، ١٤١٧هـ.
- ٥٧ - حُسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، للحافظ السيوطي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، ط١، ١٣٨٧هـ / ١٩٦٧م.
- ٥٨ - حقائق التفسير، للسلمي، تحقيق سيد عمران، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢١هـ.
- ٥٩ - الحكم العطائية بشرح زروق الفاسي - الشرح الحادي عشر -، تحقيق نزار حمادي، دار ابن حزم، ط١، ١٤٣٢هـ.
- ٦٠ - حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، لأبي نعيم، مكتبة الخانجي، ودار الفكر، ١٤١٦هـ، مصورة.
- ٦١ - الحواشي والنكات والفوائد المحررات، أحمد بن قاسم العبادي، تحقيق إبراهيم الجعيد، رسالة علمية في جامعة أم القرى مرقومة على الآلة الكاتبة.
- ٦٢ - خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، للمحبي، دار صادر، بيروت، مصورة.
- ٦٣ - الدر المنثور في التفسير بالمأثور، للسيوطي، تحقيق دار هجر، القاهرة، ط١، ١٤٢٤هـ.
- ٦٤ - درء تعارض العقل والنقل، لابن تيمية، تحقيق محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط١، ١٤١١هـ.
- ٦٥ - الدرّة الفاخرة في كشف علوم الآخرة، للغزالي، ضبطه موفق الجبر، دار الحكمة، دمشق، ط١، ١٤١٥هـ.

- ٦٦ - الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، للحافظ ابن حجر العسقلاني، مراقبة محمد خان، مجلس دائرة المعارف العثمانية - حيدر آباد - الهند، ط ٢، ١٣٩٢هـ / ١٩٧٢م.
- ٦٧ - الدعاء، للطبراني، تحقيق عبد القادر مصطفى عطا، دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤١٣هـ.
- ٦٨ - ديوان أبي الفتح البستي، مجمع اللغة بدمشق، ط ١، ١٤١٠هـ.
- ٦٩ - ديوان شيخ الإسلام الحافظ ابن حجر العسقلاني، تحقيق فردوس نور علي حسين، دار الفضيلة مصر، بدون تأريخ.
- ٧٠ - رحلة العلامة المحدث شبيب الأرنبوط إلى الديار الكويتية، د. محمد بن يوسف الجوراني العسقلاني، وزارة الأوقاف الكويتية، إدارة الثقافة الإسلامية، ١٤٣٢هـ.
- ٧١ - الرسالة، للشافعي، تحقيق أحمد شاكر، مكتبة الحلبي، ط ١، ١٣٨٥هـ.
- ٧٢ - روح المعاني، للآلوسي، مجموعة باحثين، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١، ١٤٣١هـ.
- ٧٣ - روضة المحبين، لابن القيم الجوزية، تحقيق محمد عزيز شمس، دار عالم الفوائد، ط ١، ١٤٣١هـ.
- ٧٤ - زاد المسير في علم التفسير، لابن الجوزي، تحقيق شبيب الأرنبوط، وعبد القادر الأرنبوط، المكتب الإسلامي، ط ٣، ١٤٠٤هـ.
- ٧٥ - زهر الآداب وثمر الألباب، للقيرواني الحصري، تحقيق زكي مبارك، مؤسسة الرسالة، بيروت.
- ٧٦ - السلوك لمعرفة دول الملوك، للمقريزي، تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤١٨هـ.
- ٧٧ - السّنن الأبين والمورد الأمعن في المحاكمة بين الإمامين في السّنن المّعنن، لابن رشيد السبتي، تحقيق صلاح المصراطي، دار الغرباء الأثرية، ط ١، ١٤١٧هـ.
- ٧٨ - السّنن الكبرى، للإمام النسائي، تحقيق حسن شلبي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١، ١٤٢١هـ / ٢٠٠١م.

- ٧٩ - السنن، للإمام ابن ماجه القزويني، تحقيق الشيخ شعيب الأرناؤوط، وآخرون، دار الرسالة العالمية، ط ١، ١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م.
- ٨٠ - السنن، للإمام أبي داود السجستاني، تحقيق الشيخ شعيب الأرناؤوط، وآخرون، دار الرسالة العالمية، ط ١، ١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م.
- ٨١ - السنن، للإمام الترمذي، تحقيق الشيخ شعيب الأرناؤوط، وآخرون، دار الرسالة العالمية، ط ١، ١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م.
- ٨٢ - سير أعلام النبلاء، للإمام الذهبي، تحقيق وإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، وآخرون، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٣، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م.
- ٨٣ - سيرة الإمام البخاري، عبدالسلام المباركفوري، تحقيق د. عبد العليم البستوي، دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، ط ١.
- ٨٤ - السيل العارض في نقض تائيه ابن الفارض، خليل سليمان، المكتب الإسلامي، ط ١، ١٤١٩هـ.
- ٨٥ - شذرات الذهب في أخبار من ذهب، لابن العماد الحنبلي، تحقيق محمود الأرناؤوط، أشرف عليه وخرّج أحاديثه الشيخ عبد القادر الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق، ط ١، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م.
- ٨٦ - شرح أصول أهل السنة، للآلكائي، تحقيق أحمد حمدان الغامدي، دار طيبة، ط ٨، ١٤٢٣هـ.
- ٨٧ - شرح السنة، للبغوي، تحقيق شعيب الأرناؤوط، المكتب الإسلامي، ط ٢، ١٤٠٣هـ.
- ٨٨ - شرح العقيدة الطحاوية، لابن أبي العز الحنفي، تحقيق شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط ١٠، ١٤١٧هـ.
- ٨٩ - الشرح والإبانه، لابن بطة العكبري، تحقيق رضا نعان معطي، مكتبة العلوم والحكم، ط ١، ١٤٢٣هـ.
- ٩٠ - شرف أصحاب الحديث، للخطيب البغدادي، تحقيق أ. د. محمد سعيد أوغلي، نشر رئاسة الشؤون الدينية بأنقرة، ط ٢، ١٩٩١م.
- ٩١ - شعب الإيمان، للبيهقي، تحقيق د. عبد العلي عبد الحميد حامد، مكتبة الرشد، ط ١، ١٤٢٣هـ.

- ٩٢ - الشفا بتعريف حقوق المصطفى، للقاضي عياض، تحقيق عبده كوشك، مكتبة الغزالي، ودار الفيحاء، ط ٢، ١٤٢٧هـ.
- ٩٣ - الصحاح، للجوهري، تحقيق أحمد عطار، در الكتب للملايين، ط ٤، ١٤٠٧هـ.
- ٩٤ - صفة الجنة، لابن أبي الدنيا، تحقيق عمرو عبد المنعم سليم، مكتبة ابن تيمية القاهرة، ومكتبة العلم جدة، بدون تاريخ.
- ٩٥ - صفحات من صبر العلماء، عبد الفتاح أبو غدة، مكتب التوعية الإسلامية، ودار البشائر الإسلامية، ط ١٠، ١٤٣٣هـ.
- ٩٦ - صلة الخلف بموصل السلف، للروداني، تحقيق محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، ط ١، ١٤٠٨هـ.
- ٩٧ - الضوء اللامع في أخبار القرن التاسع، للحافظ السخاوي، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت.
- ٩٨ - طبقات الأولياء، لابن الملتن، تحقيق نور الدين شريعة، مكتبة الخانجي، ط ٣، ١٤٢٧هـ.
- ٩٩ - طبقات الحنابلة، لابن أبي يعلى، دار المعرفة، مصورة.
- ١٠٠ - الطبقات السنيّة في تراجم الحنفية، تقي الدين الدري الغزي، تحقيق عبد الفتاح الحلو، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية - مصر، ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م.
- ١٠١ - طبقات الشافعية الكبرى، للسبكي، تحقيق د. محمود الطناحي، ود. عبد الفتاح الحلو، دار هجر، ط ٢، ١٤١٣هـ.
- ١٠٢ - الطبقات الصغرى، للشعراني، تحقيق وضبط أ. د. أحمد السايح، والمستشار توفيق وهبة، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط ١، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.
- ١٠٣ - طبقات الصوفية، للسلمي، تحقيق نور الدين شريعة، مكتبة الخانجي، ط ٤، ١٤٣٤هـ.
- ١٠٤ - عادات الإمام البخاري، عبد الحق الهاشمي، تحقيق محمد بن ناصر العجمي، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط ٣، ١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م.

- ١٠٥ - العذب النمير من مجالس الشنقيطي في التفسير، للشنقيطي، إعداد د. خالد السبت، دار عالم الفوائد، ط ٣، ١٤٣٣هـ.
- ١٠٦ - العقد الفريد، لابن عبد ربه، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت، بدون تاريخ.
- ١٠٧ - العلل الكبير، للترمذي، تحقيق صبحي السامرائي وآخرون، عالم الكتب، بيروت، ط ١، ١٤٠٩هـ.
- ١٠٨ - العلو للعلي العظيم، للذهبي، تحقيق عبد الله البراك، دار الوطن، الرياض، ط ١، ١٤٢٠هـ.
- ١٠٩ - عمدة القاري والسماع في ختم الصحيح الجامع، للسخاوي، تحقيق علي العمران، عالم الفوائد، ط ١، ١٤١٨هـ.
- ١١٠ - فتح الباري بشرح صحيح البخاري، للحافظ ابن حجر العسقلاني، صححه محب الدين الخطيب، ورقم أحاديثه محمد فؤاد عبد الباقي، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ.
- ١١١ - الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي، للحجوي، اعتنى به أيمن صالح شعبان، دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م.
- ١١٢ - الفهرس الشامل للتراث العربي الإسلامي المخطوط (علوم القرآن - مخطوطات التجويد)، مؤسسة آل البيت، الأردن.
- ١١٣ - فهرس الفهارس، للكتاني، اعتناء إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، ط ٢، ١٤٣٢هـ.
- ١١٤ - فوائد الارتحال والسفر في أخبار القرن الحادي عشر، للحموي، تحقيق عبد الله الكندري، دار النوادر، سوريا، ط ١، ١٤٣٢هـ.
- ١١٥ - فوات الوفيات، لابن شاکر الكتبي، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، ط ١، ١٩٧٣م.
- ١١٦ - في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق، ط ١٧، ١٤١٢هـ.
- ١١٧ - القاموس المحيط، للفيروزآبادي، تحقيق باحثو مؤسسة الرسالة، ط ٦، ١٤١٩هـ.

- ١١٨ - قواعد التحديث، جمال الدين القاسمي، تحقيق مصطفى شيخ مصطفى، الرسالة ناشرون، ط ١، ١٤٢٥هـ.
- ١١٩ - القواعد الحسان المتعلقة بتفسير القرآن، عبد الرحمن السعدي، تحقيق د. خالد السبت، دار ابن الجوزي، ط ٢، ١٤٢١هـ.
- ١٢٠ - القواعد المثلى في صفات الله تعالى وأسمائه الحسنى، محمد بن صالح العثيمين، دار الوطن، ط ١، ١٤٣١هـ.
- ١٢١ - القول البديع في الصلاة على الحبيب الشفيع، للسخاوي، تحقيق محمد عوامة، دار الريان، ط ١، ١٤٢٢هـ.
- ١٢٢ - القيامة الكبرى، أ. د. عمر سليمان الأشقر، دار النفائس، عمان، ط ١٢، ١٤٢٥هـ.
- ١٢٣ - الكامل في الضعفاء، لابن عدي، تحقيق عادل عبد الموجود، وعلي معوض، دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤١٨هـ.
- ١٢٤ - الكامل، للمبرّد، تحقيق محمد الدالي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٥، ١٤٢٩هـ.
- ١٢٥ - كتب ليست من الإسلام، محمود الإسلامبولي، المكتب الإسلامي، ط ٢، ١٤٠٣هـ.
- ١٢٦ - الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل، للزمخشري، تحقيق عادل عبد الموجود، وعلي معوض، مكتبة العبيكان، الرياض، ط ١، ١٤١٨هـ.
- ١٢٧ - كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، حاجي خليفة، مكتبة المثنى، بغداد، مصورة، ١٩٤١م.
- ١٢٨ - الكواكب الدراري على البخاري، للكرماني، الطبعة المصرية، مصورة.
- ١٢٩ - الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية، للمناوي، تحقيق محمد أديب الجادر، دار صادر، بيروت.
- ١٣٠ - الكواكب السائرة في أعيان المئة العاشرة، لابن تغري بردي، تحقيق خليل المنصور، دار الكتب العلمية.
- ١٣١ - نُبُ اللباب في التراجم والأبواب، عبد الحق الهاشمي، دار النوادر، ط ١، ١٤٣٢هـ.



- ١٣٢ - لباب التأويل في معاني التنزيل، للخازن، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٥هـ.
- ١٣٣ - اللباب في علوم الكتاب، لابن عادل الحنبلي، تحقيق عادل عبد الموجود، وعلي معوض، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٩هـ.
- ١٣٤ - لسان الميزان، لابن حجر، تحقيق عبد الفتاح أبو غدة، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط١، ٢٠٠٢م.
- ١٣٥ - لوامع الأنوار السنية، للسفاريني، مؤسسة الخافقين، ط١، ١٤٠٢هـ.
- ١٣٦ - المُنْتَوَى عَلَى أَبْوَابِ الْبُخَارِيِّ، لابن المُنِير، تحقيق علي حسن عبد الحميد، المكتب الإسلامي، ودار عمار، ط١، ١٤١١هـ / ١٩٩٠م.
- ١٣٧ - المجالسة وجواهر العلم، لابن قتيبة الدينوري، تحقيق مشهور حسن آل سلمان، جمعية التربية الإسلامية، البحرين، ودار ابن حزم، ط١، ١٤١٩هـ.
- ١٣٨ - مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، للهيثمي، مكتبة القدسي، القاهرة، ط١، ١٤١٤هـ.
- ١٣٩ - مجموع الفتاوى، لابن تيمية، جمع ابن قاسم، مجمع الملك فهد في المدينة النبوية، ط١، مصورة.
- ١٤٠ - المحرر الوجيز، لابن عطية، تحقيق الرحالي الفارقي وآخرون، وزارة الأوقاف القطرية، ط٢، ٢٠٠٨م.
- ١٤١ - مختصر تذكرة ابن هشام الأنصاري، للتباني، تحقيق جابر السريع، دار الريان، ط١، ١٤٣٥هـ.
- ١٤٢ - مدارج السالكين، لابن قيم الجوزية، تحقيق عبد العزيز الجليل، دار طيبة، الرياض، ط١، ١٤٢٢هـ.
- ١٤٣ - مدارك التنزيل، للنسفي، تحقيق يوسف بديوي، دار الكلم الطيب، ط١، ١٤١٩هـ.
- ١٤٤ - مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ملا علي القاري، دار الفكر، ط١، ١٤٢٢هـ.
- ١٤٥ - المستدرك، للحاكم، الطبعة الهندية، مصورة، بدون تاريخ.

- ١٤٦ - المسند الصحيح = «صحيح مسلم»، للإمام مسلم، الدار العامرة، تركيا، اسطنبول.
- ١٤٧ - مسند الفردوس، للدليمي، تحقيق السيد بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠٦هـ.
- ١٤٨ - المسند، للحميدي، تحقيق حسين أسد، دار السقا، دمشق، ط١، ١٩٩٦م.
- ١٤٩ - المسند، للإمام أحمد بن حنبل، تحقيق الشيخ شعيب الأرناؤوط، وآخرون، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢١هـ.
- ١٥٠ - مشخية أبي المواهب الحنبلي، تحقيق محمد مطيع الحافظ، دار الفكر المعاصر، دمشق، ط١، ١٤١٠هـ.
- ١٥١ - معالم التنزيل، للبغوي، تحقيق عثمان جمعة ضميرية وزملاؤه، دار طيبة، الرياض، ط٤، ١٤١٧هـ.
- ١٥٢ - المعاني الحسان في تفسير القرآن، أ. د. عمر سليمان الأشقر، دار النفائس، عمّان، ط١، ١٤٣٦هـ.
- ١٥٣ - معاني القرآن، للنحاس، تحقيق محمد الصابوني، جامعة أم القرى، ط١، ١٤٠٩هـ.
- ١٥٤ - معترك الأقران في إعجاز القرآن، للسيوطي، تصحيح أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠٨هـ.
- ١٥٥ - المعجم الكبير، للطبراني، تحقيق حمدي السلفي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة.
- ١٥٦ - معجم المؤلفين، لعمر رضا كحالة، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.
- ١٥٧ - مُعَرَّب القرآن، للشيخ حمزة فتح الله دراسة تحليلية نقدية، د. محمد إبراهيم مصطفى، دار الكلمة، مصر، ط١، ١٤٣٣هـ.
- ١٥٨ - المُعَرَّب، للجواليقي، تحقيق أحمد شاكر، مكتبة ابن تيمية، مصر، ط١، ١٣٨٩هـ.
- ١٥٩ - مفردات ألفاظ القرآن، للراغب الأصفهاني، تحقيق صفوان داودي، دار القلم، ط٢، ١٤١٨هـ.

- ١٦٠ - مناسبات أبواب البخاري، للبلقيني، تحقيق د. أحمد فارس السلوم، دار المعارف الرياض، ط١، ١٤٣١هـ.
- ١٦١ - مُنتخبُ الدَّراري في ختم صحيح البخاري، للقلعي (مخطوط) نسخة الحرم المكي (مكتبتي الخاصة).
- ١٦٢ - المُنتظم في تاريخ الملوك والأمم، لابن الجوزي، تحقيق محمد عبد القادر عطا، ومصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٢هـ.
- ١٦٣ - منهاج السلامة في ميزان القيامة، لابن ناصر الدين الدمشقي، تحقيق مشعل باني الجبرين، دار ابن حزم، ط١، ١٤١٦هـ.
- ١٦٤ - المنهاج شرح صحيح مسلم ابن الحجاج، للنووي، إحياء التراث العربي، ط١، ١٣٩٢هـ، مصورة.
- ١٦٥ - المُهذَّب فيما وقع في القرآن من المعرَّب، للسيوطي، تحقيق التهامي الهاشمي، نشر صندوق إحياء التراث الإسلامي، ط١، بدون تأريخ.
- ١٦٦ - الموافقات، للشاطبي، تحقيق مشهور حسن آل سلمان، دار ابن عفان، ط١، ١٤١٧هـ.
- ١٦٧ - المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، للقسطلاني، المكتبة التوقيفية، القاهرة، بدون تأريخ.
- ١٦٨ - الموضوعات، لابن الجوزي، تحقيق عبد الرحمن محمد عثمان، المكتبة السلفية، في المدينة، ط١، ١٣٨٦هـ.
- ١٦٩ - ميزان الاعتدال، للذهبي، تحقيق محمد رضوان عرقسوسي، وآخرون، مؤسسة الرسالة العالمية، ط١، ١٤٣٠هـ.
- ١٧٠ - نتيجة الفكر فيمن درّس تحت قبة النّسر، عبد الرزاق البيطار، تحقيق محمد بن ناصر العجمي، دار البشائر الإسلامية، ط١، ١٩٩٩م.
- ١٧١ - النشر في القراءات العشر، لابن الجوزي، أشرف على تصحيحه ومراجعته علي محمد الضباع، مصورة، المطبعة التجارية الكبرى، بدون تأريخ.
- ١٧٢ - نظم الفرائد لما تضمّن حديث ذي الـيدين من الفوائد، للحافظ العلائي، تحقيق بدر البدر، دار ابن الجوزي، ط١، ١٤١٦هـ.

- ١٧٣ - نظم المتنائر من الحديث المتواتر، للكتاني، عناية شرف حجازي، دار الكتب السلفية، مصر، ط١، بدون تاريخ.
- ١٧٤ - نفائس الدرر في سيرة شيخ الإسلام ابن حجر، لأبي بكر السيفي (مخطوط)، نسخة جامعة الملك سعود.
- ١٧٥ - النهاية في غريب الحديث، لابن الأثير، تحقيق الدكتور محمود الطناحي وظاهر الزواوي، المكتبة العلمية، بيروت، ١٣٩٩هـ.
- ١٧٦ - نوارد الأصول في معرفة أحاديث الرسول، للحكيم الترمذي، تحقيق توفيق تكلة، دار النوادر، ط١، ١٤٣١هـ.
- ١٧٧ - النور السافر عن أخبار القرن العاشر، للعيدروس، تحقيق أحمد حالو، وآخرون، دار صادر، بيروت، ط٢، ١٤٢٧هـ.
- ١٧٨ - هداية القاري إلى تجويد كلام الباري، عبد الفتاح المرصفي، مكتبة طيبة، المدينة المنورة، ط٢، بدون تاريخ.
- ١٧٩ - الوافي بالوفيات، للصفدي، تحقيق أحمد الأرنبوط، إحياء التراث العربي، ط١، ١٤٢٠هـ.
- ١٨٠ - وفيات الأعيان، وأنباء أبناء الزمان، لابن خلّكان، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، ط١، ١٣٩٨هـ.



## فهرس الموضوعات

### الصفحة

### الموضوع

#### الدراسة

٣	إهداء
٥	تقريظ فضيلة الشيخ المحدث شبيب الأرناؤوط
٩	المقدمة
١٩	ترجمة موجزة لإمام المحدثين البخاري <small>رحمته الله</small> مع التعريف بصحيحه
١٩	اسمه ونسبه
١٩	مولده
٢٠	عنايته بتحصيل العلم
٢٢	مناقبه وسعة حفظه وعلمه
٢٧	عبادته وأخلاقه
٢٩	ثناء أهل العلم عليه
٣٠	مشايخه وتلاميذه
٣٣	تصانيفه
٣٤	وفاته
٣٧	التعريف بالجامع الصحيح
٣٧	أولاً : اسم الكتاب ودلالته
٣٨	ثانياً : موضوع الكتاب
٤٠	ثالثاً : سبب تصنيف الكتاب
٤١	رابعاً : كيفية تصنيفه للصحيح
٤١	خامساً : عاداته في الصحيح

٥٠	سادساً: شرط البخاري في الصحيح
٥٤	سابعاً: تراجم البخاري
٥٧	ثامناً: المعلقات
٥٩	تاسعاً: رواية الصحيح
٦٢	ترجمة موجزة للعلامة ناصر الدين الطبراني <small>رحمته الله</small>
٦٢	اسمه ونسبه
٦٣	نشأته العلمية
٦٦	أخلاقه وعبادته
٦٩	شيوخه
٧١	أبرز تلاميذه
٧٦	تصانيفه
٨١	ثناء أهل العلم عليه
٨٣	وفاته
٨٤	دراسة الرسالة
٨٦	وصف النسخ الخطية
٩٠	العمل في تحقيق النص
٩٢	صور من المخطوط

### النص محققاً

١٠٧	المقدمة
١٠٩	باب قول الله تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَزِينَ الْقِسْطَ﴾ ، وأن أعمال بني آدم وقولهم يوزن
١١١	الشرح
١١١	فأما الآية الكريمة
١١٦	وأما الحديث
١١٨	وأما مناسبته للترجمة
١١٩	وفيه من اللطائف الصوفية
١٢٠	ومما يستفاد من أحكامه

- وههنا أمور لا بُدَّ من التعرض لها والإشارة إليها ..... ١٢١
- الأول: في معنى المحبة المشار إليها في قوله: «كلمتان حبيبتان» ..... ١٢١
- الثاني: في وجه تخصيص اسمه «الرحمن» دون غيره ..... ١٢٩
- الثالث: في معنى التسبيح والحمد ..... ١٣١
- الرابع: في وجه ختم الحديث باسمه «العظيم» ..... ١٣٣
- الخامس: في وجه تكرير التنزيه وفوائد أُخِرُ ..... ١٣٤
- السادس: في معرفة الميزان المذكور في الآية والحديث ..... ١٣٧
- الأول: في حقيقتها ..... ١٣٧
- الثاني: في ذكر صفته ..... ١٣٩
- الثالث: في ذكر مقدارها ..... ١٤٠
- الرابع: في ذكر وضعها ..... ١٤٠
- الخامس: هل الميزان واحدة أم متعددة ..... ١٤١
- السادس: في الموزون نفسه ..... ١٤١
- السابع: اختلف في أن الموزون هل جميع الأعمال أم خواتيمها ..... ١٤٦
- الثامن: في كيفية الرجحان منها والنقص ..... ١٤٧
- التاسع: وزن الأعمال إنما يكون بعد انقضاء الحساب لا قبله ..... ١٤٧
- العاشر: في الموزون لهم ..... ١٤٨
- الحادي عشر: فيمن يزن الأعمال يوم القيامة بين يدي الله تعالى ..... ١٥١
- الثاني عشر: في بعض شواهد لما مر ..... ١٥٢
- الثالث عشر: في ذكر ما ناسب ذلك من الرقائق ..... ١٥٦
- الرابع عشر: بعض ما ورد في فضل التسبيح والتحميد والذكر ..... ١٥٩
- قيد السماع في المسجد الأقصى ..... ١٦٥
- قيد السماع في المسجد الحرام ..... ١٦٦
- فهرس المصادر والمراجع ..... ١٦٧
- فهرس الموضوعات ..... ١٨١